

٥٤٦٢

شرح الحكم لابن عطاء

سم ١٠ الأوراق ١١٦ ق



DEAN
UNIVERSITY LIBRARIES

Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Higher Education
Riyad University
RIYAD, SAUDI ARABIA

No. .... : الرقم   Date ....

ورجاؤهم الأنس به انتهى واما غيرهم فيبقوا مع نفوسهم في نسبة الافعال
اليها وطلب الحظ لها وعليها فاعتمدوا على اعمالهم وسكنوا الى احوالهم فاذا
وقعوا في زلة نقص بذلك رجاؤهم كما انهم اذا عملوا طاعة جعلوها
من اعظم عددهم واقوى معتمدهم فتعلقوا بالاسباب وحجبوا بتفرقهم
بها عن رب الارباب فمن وجد هذه العلامة في نفسه فليعرف منزلته
وقدره ولا يتعدى طوره فيدعي مقامات الخاصة من المقربين وانما هو
من عامة اصحاب اليمين وسياتي اشارات الى هذه المعنى في مواضع من
كلام المؤلف ان شا الله تعالى وقد ذكر الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي
والحافظ ابو نعيم الاصبهاني عن يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنهم
قال عارضني بعض الناس في كلام وقال لي لا تستدرك مرادك من
علمك الا ان تتوب فقلت مجيبا لو ان التوبة تطرق بابي ما اذنت لها على اني
انجو بها من ربي ولو ان الصدق والاخلاص كانا عبدين لي لبعتهما زهدا
مني فيهما لاني ان كنت عند الله في علم الغيب سعيدا مقبولا لم اتخلف باقتراف
الذنوب والمآثم وان كنت عنده شقيا مخذولا لم تسعدني توبتي
واخلاصي وصدقي وان الله خلقني انسانا بلا عمل ولا شفيع كان لي اليه
وهداني لدينه الذي ارتضاه لنفسه فقال عز وجل ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين فاعتمادي على فضله
وكرمه اولى به ان كنت حرا عاقلا من اعتمادي على افعالي المدخولة وصفاتي
المعلولة لان مقابلة فضله وكرمه بافعالنا من قلة المعرفة بالكريم المتفضل
قلت وهذه الحكاية وامثالها ربما تزعج سمع من لا حقيقة عنده من
طريق القوم فينكر معناها ولا يعتقده او يسلمه ويدعيه مقاما لنفسه وكلتا
الحالتين مؤدية لصاحبها الى ضرر وخطر فليتق الله عبد ليس له بصر في هذه
الطريقة ان ينكر ما ذكرناه فيقع في الاعتراض على السادة والاوليا وفي ذلك

بعد من الله تعالى او يد عليه مقاما لنفسه من عنوان يستظهر عليها ويتوثق منها ويزنها
بالمعيار التي نزهنا عليه ويحال وجود ذلك ممن لم يصحح مقام القناعة للنفس فيرتكب حينئذ
مساخط الله تعالى ويتعدى حدوده ويجعل ذلك حجة لنفسه غلطا وجهلا وهذا من باب
الزندقة والعياذ بالله ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في الاسباب من الشهوة
الخفية وارادتك الاسباب مع اقامة الله اياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية
الاسباب ههنا عبارة عما يتوصل به الى غرض ما ينال في الدنيا والتجريد عبارة عن عدم
تشاغله بذلك الشي وبتلك الاسباب فيحصل ذلك فمن اقامه [illegible] في الاسباب واراد
هو الخروج منها فذلك من شهوته الخفية وانما كانت من الشهوة الخفية لعدم وقوفه
مع مراد الله تعالى به وارادته هو خلاف ذلك وانما كانت خفية لانه لم يقصد بذلك
نيل حظ عاجل وانما قصد بذلك التقرب الى الله تعالى بكونه على حال هي اعلى
بزعمه لكن فاته الادب بعدم وقوفه مع مراد الله تعالى من اقامته اياه فيما اقامه
فيه وتطلعه الى مقام رفيع لا يليق به في الوقت وعلامة اقامته اياه في الاسباب ان يدوم
له ذلك وان تحصل له ثمرته ونتيجته وذلك بان يجد عند تشاغله بالاسباب سلامة في
دينه وقطعا للطمع عن غيره وحسن نية في صلة رحم او اعانة فقير معدم الى غير ذلك
من فوايد المال المتعلقة بالدين ومن اقامه الحق تعالى في التجريد واراد هو الخروج منه
الى الاسباب فذلك من انحطاط همته وسوء ادبه وكان واقفا مع شهوته الجلية لان
التجريد مقام رفيع اقام الحق تعالى فيه خواص عباده من الموحدين والعارفين فاذا اقامه
الحق تعالى في مقام الخواص فلم ينحط عن رتبتهم الى منازل اهل الانتقاص قال الشيخ
ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه من لم يأنف من مشاركة الاضداد في الاسباب فهو
خسيس الهمة وعلامة اقامته اياه في التجريد ما ذكرناه من الدوام ووجدان الثمرة ومن
ثمرات ذلك طيب وقت المتجرد وصفا قلبه ووجدان راحته من ملابسة الخلق ومخالطتهم
والهمة حالة للقلب وهي قوة ارادته وغلبة انبعاثه الى نيل مقصود ما وتكون عالية ان
تعلقت بمعالي الامور وسافلة ان تعلقت بادانيها قال الشاعر

للحق

لكن

وقابله

وقابلته لعلك الهموم واري كل ممتثل في الامم فقلت ذريني على حالتي فان الهموم بقدر الهمم
وقال اخر اذا اعطشتك اكف اللئام كفتك القناعة شبعا وريا فكن رجلا رجله في الثرى
وهامة همته في الثريا وما ذكرته من معاني الاقامة في نوعي الاسباب والتجريد هو شي
فهمته مما يقوله بعد هذا من علامة اقامة الحق لك في الشي ادامته اياك فيه مع حصول
النتايج والله اعلم وقد ذكر في التنوير هذه المسئلة بنصها حاكيا عن هذا الكتاب وقال
بابنه واعلم رحمك الله ان من شان العدو ان ياتيك فيما انت فيه مما اقامك الله فيه فيحقره
عندك لتطلب غير ما اقامك الله فيه فيشوش عليك قلبك ويكدر وقتك وذلك انه
ياتي المتسببين فيقول لو تركتم الاسباب وتجردتم لاشرقت لكم الانوار ولصفت منكم
ويذهب ايقانه ويتوجه الى الطلب من الخلق والى الاهتمام بامر الرزق فيرميه
في بحر القطيعة وذلك قصد العدو منه لانه انما ياتيك في صورة ناصح اذ لو اتاك
في غيرها لم تقبل منه كما اتى ابوينا رضي الله عنهما وقال لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين كما تقدم
بيانه وكذلك ياتي المتجردين ويقول لهم الى متى تتركون الاسباب الم تعلموا ان ترك
الاسباب تتطلع معه القلوب الى ما في ايدي الناس ويفتح باب الطمع ولا يمكنكم
الاسعاف والايثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما تكون منتظرا ما يفتح به عليك من
الخلق فلو دخلت في الاسباب بقي غيرك منتظرا ما يفتح به عليه منك الى غير
ذلك ويكون هذا العبد قد طاب وقته او انبسط نوره ووجد الراحة في الانقطاع
عن الخلق فلا يزال به حتى يعود الى الاسباب فتصيبه كدرتها وتغشاه ظلمتها
ويعود الدايم في تسببه احسن حالا منه لان ذلك ما سلك طريقا ثم رجع عنها ولا قصد
مقصدا ثم انعطف عنه فافهم واستقم واعتصم بالله منه ومن يعتصم بالله فقد هدي الى
صراط مستقيم وانما قصد الشيطان بذلك ان يمنع العباد الرضا عن الله تعالى
فيما هم فيه وان يخرجهم عن مختار الله تعالى لهم الى مختارهم لانفسهم وما ادخلك الله
تعالى فيه تولى اعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك اليك وقل رب

رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا
والمدخل الصدق ان تدخل فيه لا بنفسك والمخرج الصدق ايضا كذلك فانهم والذي
يقتضيه الحق منك ان تمكث حيث اقامك حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى اخراجك
كما تولى ادخالك وليس الشان ان تترك السبب بل الشان ان يتركك السبب قال
بعضهم تركت السبب كذا كذا مرة فعدت اليه ثم تركني السبب فلم اعد اليه ودخلت
على الشيخ رضي الله عنه وفي نفسي العزم على التجريد قائلا في نفسي ان الوصول الى
الله تعالى على هذه الحالة بعيد من الاشتغال بالعلم الظاهر ووجود المخالطة
للناس فقال لي من غير ان اسئله صحبني انسان مشتغل بالعلوم الظاهرة ومتصدر
فيها فذاق من هذه الطريق شيئا فجاء الي فقال يا سيدي اخرج عما انا فيه واتفرغ
لصحبتك فقلت له ليس الشان ذا ولكن امكث فيما انت فيه وما اقسم الله تعالى لكم
على ايدينا هو اليكم واصل ثم قال الشيخ ونظر الي وهكذا يكون شان الصديقين
لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى اخراجهم فخرجت من
عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبي ووجدت الراحة بالتسليم الى الله
تعالى ولكنهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم القوم لا يشقى بهم
جليسهم انتهى كلامه في التنوير في هذا المعنى وهو كلام حسن وانما اثبتناه
هنا على طوله لانه تولى فيه بيان ما الذي ذكرناها في هذا الكتاب بيانا شافيا
فنقلته بلفظه ووددنا ان جميع مسايله تكون هكذا وقال رضي الله عنه
سوابق الهمم لا تخرق اسوار الاقدار الهمم السوابق هي قوى فعل
النفس التي ينفعل عنها بعض الموجودات باذن الله تعالى ويسميها الصوفية همة
فيقولون فلان همته على امر ما فانفعل له ذلك وهذه الهمم السابقة لا
تنفعل الاشياء عنها الا بالقضاء والقدر وهو معنى قولنا باذن الله تعالى فهي على حال
سبقتها ونفوذها لا تخرق اسوار الاقدار ولا تنفذها وهذه الهمم قد تكون
للاولياء كرامات كما ذكرناه وحاصل ذلك انه يجب ان يعتقد انها اسباب لا تاثير

وقد تكون لغيرهم استدراجا ومكرا كما
يكون للعائن والساحر وقد ثبت ان
العين حق وان السحر حق ويصاحبه
ومعناه ما هو

لها

لها ولا فاعلية وان الفاعل هو الله تعالى وحده عندها لا بها وكان المولف رحمه الله تعالى
انما اورد هذه المسئلة بين يدي كلامه في التدبير ليعرفك بذلك ان وجود التدبير
لا جدوى له ولا فائدة لان الهمة الفعالة اذا لم تنفذ في خرق اسوار الاقدار شيا فكيف
يفيد في ذلك التدبير وما لا فائدة فيه فضول لا ينبغي ان يشتغل به ويتعب فيه
ذوو العقول ولذلك قال ارح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم
به لنفسك تدبير الخلق لامورهم وقيامهم على الوجه الذي يتولونه مذموم لان الله
تبارك وتعالى قد تكفل لهم بذلك وقام به عنهم وطلب منهم ان يفرغوا قلوبهم منه
ويقوموا بحق عبوديته ووظايف تكليفاته فقط وهو ان يقدر العبد لنفسه
شئونا يكون عليها من امر دنياه على ما تقتضيه شهوته وهواه ويدبر لها ما
يليق بها من احوال واعمال ويستعد لذلك ويهتم لاجله وهذا تعب عظيم ود
استعجله لنفسه ولعل اكثر ما يقدره لا يقع فيخيب ظنه ويبطل سعيه ثم فيه من ترك
العبودية ومصادرة احكام الربوبية ومنازعة القدر واضاعة النعم
ما يحمل العاقل على تركه واجتنابه وقطع مراده واسبابه قال سهل بن عبد الله
رضي الله عنه ذروا التدبير والاختيار فانهما يكدران على الناس عيشهم وقال سيدي
ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان كان ولا بد من التدبير فدبروا ان لا تدبروا
وهذه المسئلة اساس طريق القوم بل هي جملته وكليته والكلام فيها طويل عريض
وانما اقتصرنا فيها على هذا القدر اليسير من التنبيه لان المولف رحمه الله افرد في
هذا المعنى كتابا سماه التنوير في اسقاط التدبير احسن فيه غاية الاحسان وهو
من ديوان في تحصيله متعين على كل مريد يجب أخذها ذكر فيما ضمن لك وتقصيرك
فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك الشيء المضمون للعبد هو رزقه
الذي يحصل به قوام وجوده في دنياه ومعنى كونه مضمونا ان الله سبحانه تكفل
بذلك وفرغ العباد عنه ولم يطلب منهم الاجتهاد في السعي فيه ولا الاهتمام له والشيء
المطلوب من العبد هو العمل الذي يتوصل به الى سعادة الاخرة والقرب من الله تعالى

من عبادات وطاعات ومعنى كونه مطلوبا انه موكول الى اكتساب العبد لو اجتهاده منه
ومراعاة شروطه واسبابه واوقاته بعد ما جرت سنة الله تعالى في عبادة قال الله عز
وجل في المعنى الاول الذي ضمنه للعبد وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم
وقال تعالى في المعنى الثاني الذي طلبه منه وان ليس للانسان الا ما سعى وقد ورد
في بعض الآثار عن الله عز وجل انه قال عبدي اطعني فيما امرتك ولا تعلمني بما
يصلحك وذكر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما بال اقوام
يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين ويعملون بالقرآن ما وافق اهواءهم
وما خالف اهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض يسعون
فيما يدرك بغير سعي من القدر المقدور والاجل المكتوب والرزق المقسوم ولا
يسعون فيما لا يدرك الا بالسعي من الجزاء الموفور والسعي المشكور والتجارة التي لا
تبور وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه العلم كله في كلمتين لا تتكلف ما كفيت
ولا تضيع ما استكفيت فمن قام بهذا الامر على ما ينبغي له من الوجه الذي ذكرناه
من الاجتهاد في الامر المطلوب منه وتفريغ القلب من الامر المضمون له فقد انفتحت
بصيرته واشرق نور الحق في قلبه وحصل على غاية المقصود ومن عكس هذا الامر فهو
مطموس البصيرة اعمى القلب وفعله دليل على ذلك والبصيرة ناظر القلب كما ان
البصر ناظر النفس وناظر القلب انما ينظر الى العاقبة والعاقبة للمتقين والتقوى
هي التي تجب بالكلام وهو كذلك لانه مباح ومأذون فيه فلا يدل ذلك على انطماس
البصيرة بصيرة صاحبه الا ان اقترن به تقصير فيما امر به قال في التنوير في قوله عز
وجل وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك الآية اي قم بخدمتنا ونحن
نقوم لك بقسمتنا وهما شيئان شيء ضمنه الله لك فلا تتهمه فيه وشيء طلبه منك فلا تهمله فمن
اشتغل بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته وقل من ينبهه لمن يوقظه
على اهل الايمان فقد علمت ايها العبد ان الدنيا مضمونة لك اي مضمونة لك منها ما يقوم باودك والتقوى
والآخرة مطلوبة منك اي انجل اما لقوله سبحانه وتعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى
فكيف يثبت لك عقل او بصيرة واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك بما طلب منك
من

بعضهم ان الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة فليته ضمن لنا الآخرة
وطلب منا الدنيا لا يكن تاخير امد العطاء مع الالحاح في الدعا موجبا ليأسك
فهو ضمن لك الاجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك وفي الوقت الذي
يريد لا في الوقت الذي تريد حكم العبد ان لا يتحكم شيئا على مولاه ولا يجزم
بصلاحية حال من الاحوال له لانه جاهل من كل وجه فقد يكره الشيء وهو خير
له ويحب الشيء وهو شر له قال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه لا تختر من
امرك شيئا واختر ان لا تختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شيء
الى الله عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار ودخل رجل على سيدي ابو العباس
المرسي رضي الله عنه وهو متألم لما به فقال ذلك الرجل عافاك الله يا سيدي
فسكت ولم يجاوبه ثم سكت ذلك الرجل ساعة وقال الله يعافيك يا سيدي
فقال الشيخ ابو العباس وانا ما سألت الله العافية اني سألته العافية والذي
انا فيه هو العافية رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سأل الله العافية وقد
قال ما زالت اكلة خيبر تعاودني فالآن قد قطعت ابهري ابو بكر رضي
الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك مات مسموما وان عمر رضي الله عنه
سأل الله العافية وبعد ذلك مات مطعونا وان عثمان رضي الله عنه سأل الله
العافية وبعد ذلك مات مذبوحا وان علي رضي الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك
مات مقتولا فاذا سألت الله العافية فاسأله العافية من حيث يعلمها
لك انها عافية انتهى فعلى العبد ان يسلم نفسه الى مولاه ويعتقد ان الخيرة
له في جميع ما به يتولاه وان خالف ذلك مراده وهواه فاذا دعا وطلب من مولاه
شيئا يرى ان له فيه مصلحة ايقن بالاجابة لا محالة قال الله تعالى وقال ربكم
ادعوني استجب لكم وقال تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب
دعوة الداع اذا دعان وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما من احد يدعو بدعاء الا آتاه الله ما سأل او كف
عنه من السوء مثله ما لم يدع باثم او قطيعة رحم وعن انس رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من داع يدعو الا استجاب الله دعوته او
صرف عنه مثلها سوءا او حط من ذنوبه بقدرها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم
فاذا الاجابة المطلقة حاصلة لكل داع بحق حسبما ورد الوعد الصدق

الا ان الاجابة امرها الى الله تعالى يجعلها ما يشا وقد يكون المنع وتاخير
العطا اجابة وعطا لمن فهم عن الله تعالى في ذلك فلا ييئس العبد من فضل
الله تعالى اذا راى منعا او تاخيرا او الح في دعائه وسواله وقد يكون
تاخير ذلك الى الاخرة خيرا له فقد جا في بعض الاخبار يبعث عبد فيقول
الله تعالى ما سالتني شيا الا اجبتك فيه ولكن اخرت البعض في الدنيا
وما لم انجزه في الدنيا فهو مدخر لك فخذه الان حتى يقول ذلك العبد
ليته لم تقض لي حاجة في الدنيا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
معنى النهي عن الاستعجال في اجابة الدعا فقوله يستجاب لاحدكم ما لم
يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي وقد دعا موسى وهارون عليهما
السلام على فرعون فيما اخبر الله به عنهما حيث قالا ربنا اطمس على
اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم اخبر انه
اجاب دعاهما في قوله سبحانه وتعالى قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما
ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون قالوا وكان بين قول الله تعالى لهما قد
اجيبت دعوتكما وهلاك فرعون اربعين سنة قال سيدي ابو الحسن
رضي الله عنه في قوله تعالى فاستقيما اي على عدم استعجال ما طلبتما ولا
تتبعان سبيل الذين لا يعلمون هم الذين يستعجلون الاجابة وقد يكون شرفا
وحظا ما يتحصل له بسبب مداومة الدعا من الظفر بمحبة الله وموافقة
رضاه فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يحب الملحين
في الدعا وقد جا في الحديث قال جبريل عليه السلام يا رب عبدك فلان اقض له
حاجته فيقول دعوا عبدي فاني احب ان اسمع صوته ذكره انس ابن مالك
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتضى هذا ان من الناس
من يعجل الله له نوال الحاجة لكراهة صوته وقد روي هذا المعنى ايضا
منصوصا فليكن العبد خائفا من ذلك عند تعجيل اجابة دعائه قال ابو محمد
بن عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه كل من لم يكن في دعائه تاركا لاختياره
وراضيا باختيار الحق فهو مستدرج وهو ممن قيل له اقضوا حاجته فاني
اكره ان اسمع صوته فاذا كان في دعائه مع اختيار الحق تعالى لا مع اختيار
نفسه كان مجابا وان لم يعط والاعمال بخواتمها انتهى وقد تكون الاجابة

مرتبة

مرتبة على شرط لا علم للداعي بها فيتاخر لعدم وقوع ذلك او بعضه
وذلك مثل وجود الاضطرار قال الله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه
فرتب الاجابة على الاضطرار وقال بعض العارفين اذا اراد الله تعالى
ان يستجيب دعا عبد رزقه الاضطرار في الدعا والاضطرار لا يتحقق
للعبد من نفسه في جميع حالاته قال بعضهم المضطر اذا رفع الى الله
يده لم ير لنفسه عملا وهذا حال شريف ومقام منيف يعز
على كثير الناس الوصول اليه فكيف يتحقق ما ينبني عليه وفي
المسالة التي تاتي باثر هذا التنبيه على هذا المعنى لا يتشككك في
الوعد عدم وقوع الموعود وان تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا
في بصيرتك واخمادا لنور سريرتك الحق سبحانه لا يخلف الميعاد
فمن وعده مولاه شيا وان كان معين الزمان ثم لم يقع ذلك
الموعود فلا ينبغي ان يتشكك ذلك في صدق ربه ويجوز ان
يكون وقوع ذلك الوعد معلقا على اسباب وشروط استاثر
الحق تعالى بعلمها دون العبد فعلى العبد ان يعرف قدره
ويتادب مع ربه ويسكن اليه فيما وعده به ويطمين اليه ولا يتشكك
في ذلك ولا يتزلزل اعتقاده فيه فمن كان على هذا الوصف فهو عارف
بالله تعالى سالم البصيرة منور السريرة والامر على العكس اذا فتح لك
وجهة من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك فانه ما فتحها لك
الا وهو يريد ان يتعرف اليك الم تعلم ان التعرف هو مورده عليك
والاعمال انت مهديها اليه واين ما تهديه اليه مما هو مورده عليك
معرفة الله تعالى هي غاية المطالب ونهاية الامال والمآرب فاذا
واجلى الله تعالى عبده ببعض اسبابها وفتح له باب التعرف له منها
فذلك من النعم الجزيلة عليه فينبغي له ان لا يكترث بما يفوته بسبب
ذلك من اعمال البر وما يترتب عليها من جزيل الاجر وليعلم انه سلك
به مسلك الخاصة المقربين المودي الى حقائق التوحيد واليقين من
غير اكتساب من العبد ولا بعمل من الاعمال التي من شانه ان
يلتبس بها هو باكتسابه وبعمله فلا تسلم من دخول الافات

عليها والمطالبة بوجود الاخلاص فيها وقد لا يحصل له ما امله من الثواب
عند مناقشة الحساب وابن احدهما من الاخر ومثاله ما يصاب به
الانسان من البلايا والشدايد التي تنغص عليه لذات الدنيا وتمنعه
من تكثير اعماله البرية فان مراده ان يستمر بقاوه في دنياه طيب العيش
ناعم البال ويكون حاله في طلب سعادة الاخره حال المترفين المستورين
فلا تسخوا نفسه الا بالاعمال الظاهره التي لا كبير مونة عليه فيها ولا
مشقه ولا يقطع عليه لذه ولا تفوته شهوه ومراد الله منه ان يطهره
من اخلاقه اللييمه ويحول بينه وبين صفاته الذميمه ويخرجه من
وجوده الى متسع شهوده ولا سبيل له الى الوصول الى هذا المقام على غاية
التمام والكمال الا بما يضاد مراده ويشوش عليه معتاده ويكون
حينيذ المعامله بالباطن ولا مناسبة بينها وبين الاعمال الظاهره
فاذا فهم هذا علم ان اختيار الله له ومراده منه خيرا له من اختياره
لنفسه ومراده لها وقد روي ان الله تعالى اوحى الى بعض انبياه انزلت
بعبدي بلايي فدعاني فما طلته بالاجابه فشكا فقلت عبدي كيف ارحمك
من شي به ارحمك وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى اذا ابتليت عبدي المومن فلم يشكني
الى عواده انشطته من عقالي وبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من
دمه ويستانف العمل وروي عن سعيد المقبري قال سمعت ابا هريرة رضي الله
عنه يقول قال الله تعالى ابتلي عبدي المومن فاذا لم يشكني الى عواده حللت
عنه عقدي وبدلت له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم قلت ايتنف
العمل قال ابو عبد الله محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه ولقد مرضت في
سالف ايامي مرضة فلما شفاني الله تعالى منها مثلت في نفسي ما دبر الله
تعالى لي من هذه العله في مقدار هذه المده وبين عبادة الثقلين في قدر ايام
علتي فقلت لو خيرت بين هذه العله وبين ان يكون لي عبادة الثقلين في مقدار
مداتها الى ايها تميل اختيارا فاتضح عزمي ودام يقيني ووقعت بصيرتي ان ما اختاره
الله تعالى لي اكثر شرفا واعظم خطرا وانفع عاقبة وهي العله التي دبرها لي ولا
شوب فيه اذا كان فعله فشتان بين فعله بك لتنحوا به وبين فعلك

لتنحوا به

لتنحوا به فلما رايت هذا في عيني عبادة الثقلين مقدار تلك المده في
جنب ما اتاني فصارت العله عندي نعمة وصارت النعمة منه وصارت
المنة املا وصار الامل عطفا فقلت في نفسي بهذا كانوا يستمرون في البلا
على طيب النفوس سمح الحق وبهذا الذي انكشف كانوا يفرحون بالبلا
انتهى فهذه هي وجهة النعوت التي نتحها الله تعالى وحصلت له الغبطة بها و
اثرها على عبادة الثقلين والله اعلم فاذا اورد الله تعالى على العبد شيا
من البلا فليستشعر ما ذكرناه وليجعله نصب عينيه وليجدد تذكاره على
نفسه حتى تحصل له من السكون والطمانينة ما تحل عنه اثقال ذلك وتزيل
عنه مرارته ويوجد حلاوته وعند ذلك يكون حاله في بلايه حال الشاكرين
من الفرح والاغتباط له فيرى من الحق تشكره ان ياتي بما يمكنه من اعمال
بره واعتبر جميع ما قدمناه في هذه المسيله بالحكاية التي ذكرها ابو العباس
بن العريف رحمه الله تعالى في كتاب مفتاح السعاده ومنهاج طريق الاراده
قال فيه كان بالمغرب عمره الله بالاسلام رجل يدعى ابو الخيار رحمه الله تعالى
ونفع به اصله من صقليه وموطنه بغداد وجلوسه الشعبيه وهو
في الرق لم يعتقه مولاه وذلك منه عن قصد واختيار وعم جسده الجذام
ورايحة المسك توجد منه مسافة بعيدة قال الذي حدثني رايته
يصلي على المايم لتستجمع محل السنجي فاذا هو مبرص فقلت له يا ابيك
كان الله تعالى لم يجد للبلا محلا من اعدايه حتى انزله بكم وانتم خاصة اوليايه
قال فقال لي اسكت لا تقل كذلك انا لما اشرفنا على خزاين العطا لم نجد
عند الله شيا اشرف ولا اقرب اليه من البلا فسالناه اياه فكيف بك
لو رايت سيد الزهاد وقطب العباد وامام الاولياء والاوتاد في غار بارض
طرسوس وجالها لحمه يتناثر وجسده يسيل قيحا وصديدا وقد احاط
به الذباب والنمل فاذا كان الليل لم يقنع لذكر الله وشكره على ما اعطاه
من الرحمه واسكن جسده من العافيه حتى يشد نفسه بالحديد
ويستقبل القبله ليله حتى يطلع الفجر انتهى وسياتي شي من كلام
المولف رحمه الله في هذا المعنى والتنبيه عليه والله ولي التوفيق
تنوعت اجناس الاعمال لتنوع واردات الاحوال هيما يرد على القلوب
واردات
بتنوع

والاستراحة بهم في الاحوال انتهى فاذا احل العبد نفسه والزمها التواضع والمذله واستمر على ذلك حتى صار له خلقا وجبلة بحيث لا يجد لضعته الما ولا لمذلته طعمًا فحينئذ يزكا نفسه ويستنير بنور الاخلاص قلبه وينال من ربه اعلا درجات الخصوصيه وحصل على اوفر نصيب من المحبه الحقيقه قال الشيخ ابو طالب ومتى ذل في نفسه واتضع عند نفسه فلم يجد لذلته طعما ولا لضعته حسا فقد صار الذل والتواضع كونه فهذا لا يكره الذم من الخلق لوجود النقص في نفسه ولا يحب المدح منهم لفقد القدر والمنزلة في نفسه ففارقت الذلة والضعة صفة لا تفارقه لازمة لزوم الوباله للزبال او الكساحة للكساح هما صنعتان له كسائر الصنايع وربما فخروا بها لعدم النظر الى نقصها فهذه ولايه عظيمه له من ربه قد ولاه على نفسه وملكه عليها فقهرها بغيره وهذا مقام محبوب وبعده المكاشفات بسرائر الغيوب ثم قال ومن كان حاله مع الله تعالى الذل طلبه واستحلاه كما يطلب المتكبر العز ويستحليه اذا وجده فان فارق ذلك الذل ساعة تغير قلبه لفراق حاله كما ان المتعزز فارق العز ساعة تكدر عليه عيشه لان ذلك عيش نفسه انتهى فاذا لابد للمريد من اسقاط جاهه واخمال ذكره وفراره من موضع اشتهاره وتعاطيه امورا مباحة تسقطه من اعين كقصه السايح الذي سمع به ملك زمانه فجا اليه فلما علم بذلك السايح استدعا بقلا وجعل ياكله اكلا عنيفا بمراي من الملك فلما راه على تلك الحاله استحقره واستصغره وانصرف عنه ذاما له وسياتي نص هذه القصه بعد هذا عند قوله ربما دخل عليك الريا حيث لا ينظر الخلق اليك وقد بالغ بعض ايمة الصوفيه رضي الله عنهم في مداواة علة الجاه الذي علق بالقلوب حتى استعملوا في ذلك اشيا منكره في ظاهر الشرع وما ذاك جابر الهوان يفعلوه ويامروا به وذلك مثل قصة الرجل الذي دخل الحمام ولبس من فاخر ثياب الناس ثيابه بحيث تظاهر ومشى بذلك متمهلا بحيث يرى ويظن به السرقه فلما راه الناس اخذوه وصفعوه ونزعوا الثياب عنه واشتهر

عدهم

عندهم بالسرقه حتى كان يعرف بلص الحمام فحينئذ وجد قلبه ومثل ما يروى عن ابي يزيد رضي الله عنه في قصة الشاهد الشاهد الذي امره ان يحلق راسه ولحيته وتعليق مخلاة الجوز في عنقه واعطا به ذلك لمن يصفعه من الصبيان وطوافه على تلك الحالة في المحافل والحكايتان مشهورتان ذكرهما الامام ابو حامد الغزالي وغيره قال بعض المصنفين رضي الله عنه ولا حاجة لمن غص بلقمة من طعام حلال ان يسيغها بجرعة من الخمر اذا لم يجد غيره مع ان تحريمه مقطوع به ولا يفوته الا حياة فانيه فلان يجوز مثل هذا اذا تعين اولى ان يفوته به تلك الحياه الباقيه والقرب من الله فاذا التزم العبد هذه الطرق من الرياضات ماتت نفسه وحيي قلبه وقرب من حضرة ربه واجتنى ثمرة غرسه على غاية الكمال والتمام وتلك الثمره اخلاق الايمان التي يتصف بها نفسه وصارت كصفات ذاتيه له وهي نتيجة الحكمه التي انبتها الله في قلوب عباده المتواضعين ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قال عيسى لاصحابه اين تنبت الحبه قالوا في الارض فقال عليه السلام كذلك الحكمة لا تنبت الا في قلب مثل الارض قلت وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في مدح الخمول وذم الشهوة احاديث كثيره منها ما روى ابو امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اغبط اوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نقر بيده فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين تنبو عنه اعين الناس لو اقسم على الله لابره وروى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان يسير الريا شرك وان من عادى اوليا الله فقد بارز الله بالمحاربه وان الله يحب الاخفيا الاتقيا الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم

مصابيح الهدى يخرجون من كل غبرا مظلمه وروى ابو هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الذي نوه
فيه باسم اويس القرني واشار بذكره ونبه على عظيم امره رضي الله
عنه انه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلقة
من اصحابه اذ قال ليصلين معكم غدا رجل من اهل الجنه قال ابو هريرة
فطمعت ان اكون ذلك الرجل فغدوت فصليت خلف النبي صلى الله عليه
وسلم فاقمت في المسجد حتى انصرف الناس فبقيت انا وهو فبينما نحن
كذلك اذ اقبل رجل اسود متزر بخرقة مرتد بخرقه فجا حتى وضع يده
في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا نبي الله ادع الله لي بالشهاده فدعا
النبي صلى الله عليه وسلم له بالشهاده وانا لنجد منه ريح المسك الاذفر فقلت
يا رسول الله اهو هو قال نعم انه لمملوك بني فلان قلت افلا نشتريه فنعتقه
يا نبي الله قال واني لي بذلك ان كان الله تعالى يريد ان يجعله من ملوك
الجنه يا ابا هريره ان لاهل الجنه ملوكا وسادة وان هذا الاسود اصبح
من ملوك الجنه وساداتهم يا ابا هريره ان الله عز وجل يحب من خلقه
الاصفيا الاخفيا الابريا الشعثة روسهم المغبرة وجوههم الخمصه
بطونهم من كسب الحلال الذين اذا استاذنوا على الامرا لم يوذن
لهم وان خطبوا المنعمات لم ينكحوا وان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا
لم يدعوا وان طلعوا لم يفرح بطلعتهم وان مرضوا لم يعادوا وان ماتوا
لم يشهدوا فقالوا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم قال ذلك اويس القرني
قالوا وما اويس قال اشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل
القامه ادم شديد الادمه ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره
الى موضع سجوده واضع يمينه على شماله يتلو القران يبكي على نفسه
ذو طمرين لا يوبه له متزر بازار صوف ورداء صوف مجهول في
اهل الارض معروف في اهل السما لو اقسم على الله لابر قسمه الا وان
تحت منكبه الايسر لمعة بيضا الا وانه اذا كان يوم القيامه قيل
للعباد ادخلوا الجنه ويقال لاويس القرني قف فاشفع فيشفعه
الله في مثل عدد ربيعة ومضر يا عمر وعلي اذا انتما لقيتماه فاطلبا

اليه

اليه يستغفر لكما يغفر الله لكما وذكرا في الحديث وفي حديث
اخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون في امتي رجل يقال له
اويس القرني يدخل بشفاعته عدد ربيعه ومضر لو اقسم على الله لابره
فمن لقيه بعدي فليقراه مني السلام ثم سيل عن علامته فقال هو رجل
اصهب اشهل ذو طمرين ابيضين لهاام وقد كان به بياض فدعا الله
عز وجل فاذهبه عنه الا مقدار الدينار او الدرهم لا يوبه به مجهول في
الارض معروف في السما وكان قد بلغ من شدة خموله وبذاذة هيئته ان الناس
كانوا يسخرون منه ويستهزون به ويوذونه ويرون فيه اهلية
الجنان والتلصص وينسبونه الى ذلك فقد روي انه دفع اليه بعض
فقها الكوفه ثوبين وكان يجالسهم فانقطع عن مجلسه لاجل العري
فردها عليه بعد ان اخذها منه وقال ان الناس يقولون من اين له
هذان الثوبان ترى من خدع عليهما وكان في ذلك الوقت يجالس
الفقها ويظهر للناس ذلك قبل ان يعرف برفعة القدر وجلالة الخطر
وتنويه عمر رضي الله عنه به على المنبر فلما راى ان الناس عرفوا
حاله هرب عنهم واستخفى منهم وليس له مره عليهم برعاية الابل
وغير ذلك وقيل لعمر رضي الله عنه لما سال عنه قومه ما فينا اخمل منه
ذكرا فلما لقيه هو وعلي رضي الله عنهما وساله من هو فقال له راعي
غنم واجير قوم وستر ذكر اويس فلما ساله عن اسمه قال له عبد الله
فلما ساله عن اسمه الذي سمته به امه امتنع ان يجيبه على ذلك
فلما اخبراه بصفه النبي صلى الله عليه وسلم له وانهما عرفاه بذلك
قال لهما عسى ان يكون ذلك غيري فلما قالوا له انبانا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان تحت منكبك الايسر لمعة بيضا وطلبا منه ان
يوضحها لهما لم يجد بدا من ان يوضحها وذلك والله اعلم ليريهما
رويه عين لصحة قول النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه في اخباره بالغيب
وذلك امر واجب عليه والا لعله كان يتعلل لهما كما فعله في كل ما
يسال عنه ثم بعد ذلك لما ساله عمر رضي الله عنه ان يلتقي معه

وبجعل ذلك الموضع ميعادا بيننا هو بينه فقال له يا امير المومنين لا ميعاد
بيني وبينك ولا اعرفك ولا تعرفني بعد اليوم ثم دفع الابل الي صاحبها وخلي
عن الخليفه وكذلك فعل مع هرم بن حيان رضي الله عنه لما لقيه بشاطي
الفرات ووقع بينهما التعرف فقال له حدثني بحديث عن رسول الله
صلى الله عليه احفظه عنك فقال له لا احب ان افتح هذا الباب على نفسي
ولا احب ان اكون محدثا ولا مفتيا ولا قاضيا فلما فرغا من الكلام الذي
كان بصدده ساله مداومة الاجتماع به فابي وامتنع وقال لي لا اراك
بعد اليوم تطلبني ولا تسال عني انطلق انت ها هنا حتى انطلق
انا ها هنا ثم بعد ذلك اجتهد في طلبه والبحث عنه فلم يقع له على خبر
ومن عجيب امره ان حقق الله بهذا الحال من التخفي والتستر وانمه
له بعد موته مع ما اظهره بسببه من الايات والغير حينيذ قال عبد الله
بن مسلمه غزونا اذ ربيحان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعنا
اويس القرني فلما رجعنا مرض فمات فنزلنا فاذا قبر محفور وما
مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه
فقال بعضنا لبعض لو رجعنا فعلمنا قبره فرجعنا فاذا لا قبر ولا اثر فلت
والحكايات والاثار في مدح الخمول وذم الاشتهار اكثر من ان ياتي عليها
الحصار وقد اورد كثيرا منها الايمة المصنفون في هذا العلم فليطالع ذلك
المريد مستمدا من الله تعالى حسن التوفيق والتاييد وانتهى المولف
رحمه الله تعالى ها هنا بالدفن والارض والنبات والنتاج من مليح
الاستعارات ما نفع القلب شي مثل عزلة يدخل بها ميدان فكره مداومة
امراض القلب واجبة على المريد ولمراضه انما تكون من غلبة احكام
الطبع عليه من صحبته للاضداد ووقوفه مع المعتاد وانقياده الي هوا
النفس وانسه بعالم الحس ومداوات هذه الامراض تاتي من وجوه
كثيره وابلغها في ذلك وانفعها العزله عن الناس المصحوبه بالفكره
فبالعزلة يتقيد الظاهر عن مخالطة من لا تفلح مخالطته ومن لا يامن من
دخول الافات عليه بصحبته فيتخلص بذلك المعتزل من المعاصي التي يتعرض

لها بالمخالطة مثل الغيبة والمداهنة والريا والتصنع ويحصل له بذلك السلامة
من مسارقة الطباع الرديه والاخلاق الدنيه ويستفيد ايضا بذلك صيانة دينه
ونفسه عن التعرض للخصومات وانواع الشرور والفتن فان للنفس تولعا
وتسارعا الي الخوض في مثل هذا فواجب على المعتزل ان يكف لسانه عن السوال
عن اخبار الناس وما هم مشغولون به ومنهمكون فيه ومكبون عليه ويصون
سمعه عن الاصغا الي اراجيف البلد وما اشتملت عليه من الاحوال التي ذكرناها
ويحرص على ان لا تغشاه في خلوته وعزلته من شانه التطلع لذلك والبحث
عنه وليتجنب صحبة من لا يتورع في منطقه ولا يضبط لسانه عن الاسترسال
في دقايق الغيبه والوقيعه والتعريض بالطعن على الناس والقدح فيهم فان ذلك
مما يكدر صفا القلب ويوجب الي ارتكاب مساخط الرب فليهجره المعتزل
وليفر منه فراره من الاسد ولا يجتمع معه في مكان البته وليتنكر الي كل من
تعرف له ممن هذا شانه من المنسوبين الي الدين فضلا عن غيرهم كما
قال بعضهم ان كنت ممن يعرف ولا تتعرف الي من لا تعرف وفي الخبر مثل جليس
السوء كمثل الكير ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه وفي الاخبار السالفه
ان اوحى الله الي موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا
وكل اخ او صاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو واوحى الله تعالى الي داود
عليه السلام فقال له يا داود ما لي اراك منتبذا وحدانيا فقال الاهي قليت
الخلق من اجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل اخ لا
يوافقك على مسرتي فلا تصحبه فانه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني وما
احسن قول ابي اسحاق ابراهيم بن مسعود الالبيري في هذا المعنى

فخف ابنا جنسك واخش منهم ... كما تخشى الضراغم والسبنتا
وخالطهم وزايلهم حذارا ... وكن كالسامري اذا لمستا

وبالعزلة ايضا تجتمع همه وتتقوي في ذات الله عز وجل عزمه بخلاف
الخلطة فانها تفرق الهم وتضعف العزم فقد قيل ان العبد ليفعل
في خلوته على خصال من الخير يعملها فاذا خرج الي الناس حلوا عليه
ذلك عقدة عقدة حتى يرجع الي بيته وقد انحلت العقد كلها
وروي عن عيسى عليه السلام لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم

الكير

قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها وفي الخبر المروي عن
نبينا صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتي ضعف اليقين وضعف
اليقين انما يكون من رويا اهل الغفله ومخالطة ارباب البطالة والقسوة
قال ابو طالب المكي رضي الله عنه واضر ما ابتلي به العبد وادخله واعمله في
هلاكه واشده لحجبه والعبارة ضعف يقينه لما وعد من الغيب وتوعده
عليه بالشهادة وقوة اليقين اصل كل عمل صالح وقال بعض هذه الطايفة قلت
لبعض الابدال المنقطعين الى الله تعالى كيف الطريق الى التحقيق
والوصول الى الحق قال لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمه قلت لا
بد لي قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوه قلت لا بد لي قال لا
تعاملهم فان معاملتهم خسران وحسرة ووحشه قلت انا بين
اظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون
اليهم هلكه قلت هذا العله قال يا هذا تنظر الى اللاعبين وتسمع
كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتسكن الى الهالكين وتريد
ان تجد حلاوة الطاعه وقلبك مع غير الله عز وجل هيهات هذا
ما لا يكون ابدا وبالعزلة ايضا ينكف بصره الى زينة الدنيا وزهرتها
وينصرف خاطره عن الاستحسان لما ذمه الله تعالى من زخرفها
فتمتنع بذلك النفس عن التطلع اليها والاستشراف لها وهنا فتنة
اهلها فيها قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم الايه ولا ينبغي لاحد ان يستحقر هذا فانه يودي الى امراض عظيمه
في القلب ومن اعتزل الناس سلم ان شاء الله تعالى منها قال القشيري
رضي الله عنه فارباب المجاهدات اذا ارادوا صون قلوبهم عن
الخواطر الموديه لم ينظروا الى المستحسنات قال هذا اصل كبير لهم في
المجاهدات في احوال الرياضه انتهى قال محمد بن سيرين رضي الله
عنه اياكم وفضول النظر فانها تودي الى فضول الشهوه وقال
بعض الادبا من كثرت لحظاته دامت حسراته وقالوا ان العين
سبب الحين ومن ارسل طرفه اقتنص حتفه وان النظر الى الاشيا
بالبصر توجب تفرقة القلب وقد انشدوا في هذا المعنى

وانك ان ارسلت طرفك رايدا … لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر … عليه ولا عن بعضه انت صابر

وبذلك

وبذلك ينقطع طمعه عن الناس ويحصل به منهم الاياس وذلك من اعظم فوايد
العزلة عند افضل الاكياس ولا يتم له منفعة العزلة مقدمه لها وحثه
عليها وذلك بعد تقديم ما يحتاج اليه من علوم الشرع الظاهره والقيام بمراعات
اداب باطنه وقد ذكر منها الغزالي رحمه الله تعالى ورضي عنه جملة شافيه
في كتاب العزله من الاحيا فلتنظر هناك وقد جا في الخبر تفكر ساعة خير افضل
من عبادة سبعين سنه كذا هو والله اعلم وكان عيسى عليه السلام
يقول طوبى لمن قيله ذكر وصمته تفكر ونظره عبرة ان اكيس الناس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وقال كعب من اراد شرف الاخره
فليكثر التفكر وقيل لام الدردا ما كان افضل عمل ابي الدردا قالت التفكر
وذلك لانه يصل بها الى معرفة حقايق الاشيا وتبيين الحق من الباطل
والنافع من الضار ويطلع بها ايضا على خفايا افات النفس ومكايد العدو
وغرور الدنيا ويتعرف بها وجوه الحيل في التحرز عنها والطهارة
منها قال الحسن رضي الله عنه الفكره مراة تريك حسنك من سيك
ويطلع بها ايضا على عظمة الله تعالى وجلاله اذا تفكر في اياته ومصنوعاته
ويطلع بها ايضا على الايه ونعمايه الجليله والخفيه فيستفيد بذلك
احوالا سنيه يزول بها مرض قلبه ويستقيم بها على طاعة ربه قلت
والعزلة التي ذكرها المولف رحمه الله تعالى تتضمن وجود الخلوه وهي
احد الاركان الاربعه التي هي اساس المريدين ويلزم عنها من الثلاثة
الباقيه الصمت اذ لا يبتلي من اكثر الناس الا بالخلوه والعزله فان اضاف
اليها المريد الركنين الباقيين وهما الجوع والسهر فقد حصل على
كلية الدوا وانتظم في زمرة الاوليا قال سهل بن عبد الله رضي الله اجتمع
الخير كله في هذه الاربعة خصال وبها صار الابدال ابدالا اخماص البطون
والصمت والخلوه والسهر وقال الشاعر وجمعها في نظمه يا من يريد منازل الابدال
من غير قصد منه للاعمال لا تطمعن فيها فلست من اهلها ان لم تزاحم على الاحوال
بيت الولايه قسمت اركانه ساداتنا فيه من الابدال ما بين صمت واعتزال دايم
والجوع والسهر الحزين الغالي كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة
في مراته ام كيف يرحل الى الله تعالى وهو مكبل بشهواته ام كيف يطمع ان

الا تشتغلنا الشواغل عن ورد ... القصير ده هذا فظاعا الشاغل

يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ام كيف يرجو ان يفهم
دقايق الاسرار وهو لم يتب من هفواته الجمع بين الضدين محال كا
لاجتماع الحركة والسكون والنور والظلمة وهذه الاشيا التي ذكرها
المصنف رحمه الله اضداد لا تجتمع فان اشراق القلب بنور الايمان
واليقين مضاد للظلمة التي استولت عليه من ركونه الي الاغيار والاكوان
واعتماده عليها والمسير الي الله تعالي بقطع عقبات النفس مضاد للاعتقال
في حبس الهوي والشهوات ودخول حضرة الله المقدسة المقتضية لطهارة
الداخل وتنزاهته مضاد لما هو عليه من جنابة غفلاته التي مقتضاها الاقصا
والابعاد وفهم دقايق الاسرار المستفاد من التقوي مضاد للاصرار علي
المعاصي والهفوات واليه الاشارة بقوله عز من قايل واتقوا الله ويعلمكم
الله وبما روي في بعض الاخبار من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم
قال يحيي بن معاذ رحمه الله التقي احمد بن حنبل واحمد بن ابي الحواري فقال
ابن حنبل لابن ابي الحواري يا احمد حدثنا بحكاية سمعتها من استاذك
ابا سليمان فقال يا احمد قل سبحان الله بلا عجب فقال احمد بن حنبل سبحان الله
وطولها بلا عجب فقال احمد بن ابي الحواري سمعت ابا سليمان يقول اذا اعتقدت
النفوس علي ترك الاثام جالت في الملكوت وعادت الي ذلك العبد بطرايف الحكمة
من غير ان يودي اليها عالم علما قال فقام احمد بن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا وقال
ما سمعت في الاسلام بحكاية اعجب الي من هذه ثم ذكر الحديث الذي ذكرناه من
عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ثم قال لاحمد بن ابي الحواري صدقت يا احمد وصدق
شيخك ولاجل كون هذه الاشيا اضدادا تعجب المولف رحمه الله ممن يعتقد
صحة اجتماعها وممن يطمع في نيل مراتب الرجال مع كونه علي اقبح الخلال
الكون كله ظلمة وانما اناره ظهور الحق فيه فمن راي الكون
ولم يشهده فيه او عنده او قبله او بعده فقد اعوزه وجود الانوار وحجبت
عنه شموس المعارف بسحب الاثار العدم ظلمة والوجود نور فالكون بالنظر
الي ذاته عدم مظلم وباعتبار تجلي نور الحق عليه وظهوره فيه وجود مستنير
ثم اختلفت احوال الناس ها هنا فمنهم من لم يشاهد الا الاكوان وحجب بذلك عن
روية المكون فهذا انا به في الظلمات محجوب بسحب الاثار الكاينات ومنهم من
يحجب بالاكوان عن المكون ثم لو في مشاهدتهم اياه فرقوا ومنهم من يشاهد

المكون

المكون قبل الاكوان وهولاء الذين هم الذين يستدلون بالموثر علي الاثار ومنهم
من شاهده بعد الاكوان وهولاء الذين يستدلون بالاثر علي الموثر ومنهم
من شاهده مع الاكوان والمعية ها هنا اما معية اتصال وهو مشهوده
في الاكوان واما معية انفصال وهو شهوده عند الاكوان وهذه الظروف المذكورة
ليست بزمانية ولا مكانية لان الزمان والمكان من جملة الاكوان والاتصال
والانفصال المذكوران ليسا علي ما يفهم من معانيهما فانهما ايضا من جملة الاكوان
ومعرفة تفصيل هذه الامور والتفرقة بين هذه الحقايق علي ما هي عليه ساكول الي
اربابه فلنقتصر ما ذكرناه فها هنا زلت اقدام كثير من الناس فتكلموا بكلمات
موهمة وعبروا بعبارات منكرة في الشرع تكفروا بذلك وبدعوا ناعتقد كمال
التنزيه وبطلان التشبيه وتمسك بقوله تعالي ليس كمثله شي وهو السميع البصير
مما يدلك علي وجود قهره سبحانه ان حجبك عنه بما ليس بموجود معه
اتفقت مقالات العارفين والمحققين واشاراتهم ومواجيدهم علي ما ذكرناه
من هذا من ان ما سوي الله تعالي عدم محض من حيث ذاته لا توصف بوجوده
مع الله سبحانه قال الله تعالي كل شي هالك الا وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصدق بيت قاله الشاعر الا كل شي ما خلا الله باطل قال بعض العارفين ابي
المحققون ان يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية
واحاطة الديمومية وقال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه انا
لننظر الي الله ببصر الايمان والايقان فاغنانا ذلك عن الدليل والبرهان
ونستدل به علي الخلق هل في الوجود شي سوي الواحد الحق فلا نراه
وان كان ولا بد فنراهم كالهبا في الهوي ان فتشتهم لم تجدهم شيا
وقال ايضا رضي الله عنه قوي علي الشهود مرة فسالت الله ان يستر ذلك
عني فقيل لو سالته بما ساله موسي كليمه وعيسي روحه ومحمد صفيه صلوات
الله عليهم اجمعين لم يفعل ولكن سله ان يقويك فسالته فقواني قال
بن عطا في التنوير فما سوي الله تعالي عند اهل المعرفة لا يوصف بوجد
ولا فقد اذ لا يوجد معه غيره لثبوت احديته ولا فقد لغيره لانه لا يفقد
الاما وجد ولو انهتك حجاب الوهم لوقع العيان علي فقد الاعيان ولاشرق
نور الايقان فغطي وجود الاكوان هذا الكلام هو بسط ما ذكره في هذا

الكتاب وقال لو كلفت ان ارا غيره لم استطع فانه لا غير معه حتى
اشهده معه وقال رضي عفيف الدين الاله لم ادري غيره وكذا الغير عندنا ممنوع
من تجمعت ما خشيت فراقا وانا اليوم واصل مجموع الله قل وذر الوجود وما حوي
ان كنت مرتادا بلوغ كمال فالكل دون الله ان حققته عدم علي التفصيل والاجمال
واعلم بانك والعوالم كلها لولاه في محو وفي اضمحلال من لا وجود لذاته من ذاته
فوجوده لولاه عين محال فالعارفون فنوا ولما يشهدوا شيا سوي المتكبر المتعال
وراوا سواه علي الحقيقة هالكا في الحال والماضي والاستقبال وقد
صنفوا في بيان هذا الامر تصانيف وتفننوا في الكلام في هذا المعنى
نظما ونثرا وكل عبر علي حسب شربه وذوقه جزاهم الله عنا كل خير فاذا
تقرر هذا وجدنا اكثر الناس قد حجبوا من الله تعالي بشهواتهم الدنياويه
ودرجاتهم الاخراويه ومقاماتهم العلويه وكل ذلك من الاغيار العدميه
والوجودات الوهميه علمنا بذلك وجود قهره اذ من اسمايه تعالي القهار
ولو ارتفع الحجاب عنهم لفنوا انفسهم وارادتهم وبقوا بربهم وكانوا عباد
الله حقا وقد سيل ابو سعيد بن الاعرابي رضي الله عنه عن الفنا فقال
ان الفنا ان تبدو العظمه والاجلال علي العبد فتنسيه الدنيا والاخره
والاحوال والدرجات والمقامات والاذكار وتفنيه عن كل شي وعن عقله
وعن نفسه وفنايه عن الاشيا وعن فنايه عن الفنا لانه يغرق
في التعظيم انتهى قالوا والفني علي ثلاثة اوجه فنا في الافعال ومنه
قولهم لا فاعل الا الله وفنا في الصفات لا حي ولا عالم ولا قادر ولا
مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم علي الحقيقه الا الله وفنا في الذات
لا موجود علي الاطلاق الا الله وانشدوا في ذلك

فيفني ثم يفني ثم يفني فكان فناوه عين البقا

وقال الشيخ محيي الدين من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم
لا حياة لهم فقد جاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل وانشدوا في هذا المعنى
من ابصر الخلق كالسراب فقد ترقي عن الحجاب الي وجود تراه رتقا
بلا ابتغا ولا اقتراب ولم يشاهد به سواه هناك يهدي الي الصواب
فلا خطاب به اليه ولا مشير الي الخطاب

كيف

كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي اظهر كل شي بما اشرق عليه من نور الوجود
وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي ظهر بكل شي
حتي استدل عليه المستدلون بالاشيا كما قال سنريهم اياتنا في الافاق وفي
انفسهم كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي ظهر في كل شي اذ هو المتجلي فيها
بمجالي صفاته واسمايه كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي ظهر لكل شي
في طور ذلك الشي كان ساجدا له ومسبحا بحمده ولكن لا تفقهون ذلك
كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الظاهر قبل وجود كل شي ليتحقق هذا الاسم ازلا
وابدا كيف يتصور ان يحجبه شي وهو اظهر من كل شي لان الوجود اظهر
من العدم علي كل حال كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الواحد الذي ليس معه
شي اذ كل ما سواه عدم لا وجود له علي التحقيق كيف يتصور
ان يحجبه شي وهو اقرب اليك من كل شي لثبوت احاطته بك ووجود
قيوميته عليك كيف يتصور ان يحجبه شي ولولاه لما كان وجود كل شي
حتي استدل به علي الشاهدون علي الاشيا كما قال تعالي اولم يكف
بربك انه علي كل شي شهيد يا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم لان
العدم ظلمه والوجود نور وهما ضدان لا يجتمعان ام كيف يثبت
الحادث مع من له وصف القدم لان الباطل لا يثبت مع ظهور الحق
كما قال تعالي وقد جا الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقوله
عز من قايل بل نقذف بالحق علي الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق تلت وهذا
الفصل من قوله الكون كله ظلمه الي هنا ابدع فيه المولف غاية
الابداع واتي فيه بما تقر به الاعين وتلذ به الاسماع فانه رضي الله
عنه ذكر جميع متعلقات الظهور وابطل حجابية كل ظلام ونور
وازال فيه الحق روية عيان وبرهان ورقاك من مقام الايمان
الي اعالي مراتب الاحسان كل ذلك في اوجز لفظ وافصح عباره
واتم نصح والطف اشاره فلو لم يكن في هذا الكتاب الا
هذا الفصل لكان كافيا شافيا فجزاه الله عن ذلك خيرا ما انزل
من الجهل منتبها من اراد ان يحقق في الوقت غير ما اظهره الله فيه

تعالى

اذا اقام الله العبد في حال من الاحوال التي لا يذمها الشرع فيلتزم حسن
الادب في اختياره بقايه عليها ورضاه بها وليراقب الله تعالى في مراعاة
ادابها وليوافق مراد الله تعالى في ذلك حتى يكون هو الذي ينقله
عنها قال ابو عثمان رضي الله عنه منذ اربعين سنة ما اقامني الله
في حالة فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته وقد نقلت حكاية
المولف رحمه الله مع شيخه ابي العباس رضي الله عنه حين عزم على
التجريد وترك ما كان عليه من الاشتغال بالعلم الظاهر وما اجابه
الشيخ رضي الله عنه وهذا من نتايج العلم بالله تعالى ومعرفة ربوبيته
فان تسخط تلك الحال وتشوف الى الانتقال عنها بنفسه واراد
ان تحدث غير ما اظهره الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل بربه واساء
الادب في حضرة مولاه عز وجل وهذا من معارضة حكم الوقت
الذي يشير اليه الصوفية وهو عندهم من اعظم ذنوب الخاصة
فالواجب على العبد الاستسلام لحكم الله تعالى في ذلك الوقت فهو
ادب العبودية ومقتضى العلم بالله تعالى وهذا هو احد معاني
لفظ الوقت في اصطلاحهم قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله
عنه وقد يريدون بالوقت ما يصادفهم من تصريف الحق لهم دون
ما يختارون لانفسهم ويقولون فلان بحكم الوقت اي انه مستسلم
لما يبدو من الغيب من غير اختيار له وهذا فيما ليس لله عز وجل عليهم
فيه امر او اقتضاء حق شرع اذ التضييع لما امرت به واحالة الامر
فيه على التقدير وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج عن الدين
ومن كلامهم الوقت سيف كما ان السيف قاطع فالوقت بما يمضيه
الحق ويجريه غالب وقيل السيف لين مسه قاطع حده فمن لاينه سلم
ومن خاشنه اصطلم كذلك الوقت من استسلم لحكمه نجا ومن عارضه
بترك الرضا انتكس وتردى فانشد وكالسيف ان لاينته لان متنه
وحداه ان خاشنته خشنان ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت
ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت هذا كلام الامام ابي القاسم وهو

موافق

موافق لما ذكره صاحب هذا الكتاب احالتك الاعمال على وجود الفراغ
من رعونات النفوس اذا كان العبد متلبسا بحالة من احوال دنياه
وكان له فيها شغل يمنعه من الاعمال الصالحات واحال ذلك على فراغه
من تلك الاشغال وقال اذا تفرغت عملت فذلك من رعونة نفسه
والرعونة ضرب من الحماقة وحماقته من وجوه الاول ايثاره الدنيا
على الاخرة وليس هذا شان عقلاء المومنين وهو خلاف ما طلب
منه قال الله تعالى بل توثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى
والثاني تسويفه بالعمل الى اوان فراغه وقد لا يجد مهله بل يختطفه
الموت قبل ذلك او يزداد شغله لان اشغال الدنيا يتداعى بعضها
الى بعض كما قيل فما قضى احد منها لبانته ولا انتهى ارب الا الى ارب
والثالث ان يفرغ منها ما الذي يومنه من تبدل عزمه وضعف
نيته ثم فيه من دعوى الاستقلال لعدم رؤية الحول والقوة في جميع
الاحوال ما يستحقر في جنبه جميع هذا بل الواجب عليه ان يبادر
الى الاعمال على اي حالة كان وان ينتهز فرصة الامكان قبل فجاة
الموت وحلول الفوت وان يتوكل على الله في تيسيرها عليه وصرف
الموانع الحايلة بينه وبينها وما احسن قول ابن الفارض في هذا المعنى
وعد من قريب واستجب واجتنب غدا وشمر عن ساق اجتهاد بنهضة
وكن صارما كالوقت فالمقت في عسى واياك علا فهي اخطر علة
وسر زمنا وانهض كسيرا فحظك البطالة ما اخرت عزما لصحة
وجد بسيف العزم سوف فان تجد تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت
لا تطلب منه ان يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواه فلو ارادك
لاستعملك من غير اخراج كما انه اذا كان المرء على حالة لا توافق غرضه
كانت متعلقة بالدين او بالدنيا لا ينبغي له ان يروم الخروج منها بنفسه
ويعارض حكم وقته فيحدث فيه غير ما اظهره الله كما تقدم في قوله
ما ترك من الجهل شيئا من اراد ان يحدث في الوقت غير ما اظهره الله
فيه مع الشروط المتقدمة وهو ان لا يكون في ذلك مخالفة امر او ارتكاب
نهي فينبغي له ايضا ان لا يعارض حكم الوقت ويطلب من مولاه ان

نخرجه منها ويشغله بما سواه لان هذا من التحجير على الله تعالى
ولا خيرة له في ذلك بل ينبغي له حسن الادب معه وايثار مراده على اختياره هو
وحينئذ يتحقق بحاله تعرف فيها محبة الله تعالى وارادته له فيستعمل
استعمالا يحبو باعده مع بقايه على حالته التي هو عليها فيكون اذ ذاك
بمراد الله تعالى لا بمراده لنفسه وخيرا مما اختاره قال في التنوير يحكى
عن بعضهم انه كان يقول وددت اني لو تركت الاسباب واعطيت
كل يوم رغيفين يريد بذلك ان يستريح من تعب الاسباب قال فسجنت
ثم كنت في السجن يوتى لي في كل يوم برغيفين فطال ذلك علي حتى
ضجرت فتفكرت يوما في امري فقيل لي انك طلبت منا كل يوم رغيفين
ولم تطلب منا العافيه فاعطيناك ما طلبت فاستغفرت الله من ذلك
ورجعت الى الله تعالى فاذا بباب السجن يقرع فتخلصت وخرجت قال
فيه فتادب بهذا ايها المومن ولا تطلب ان يخرجك من امر ويدخلك فيما
سواه لذا كان ما انت فيه مما يوافق لسان العلم فان ذلك ليس من سوء
الادب مع الله تعالى فاصبر ولا تطلب الخروج بنفسك فتعطي ما طلبت
وتمنع الراحة فيه فرب تارك شيا وداخل في غيره ليحصل التروح والراحه
فتعب وتوالى بوجود التعسر عقوبة لوجود الاختيار انتهى كلامه
في التنوير وهو كالتفسير لما ذكره ها هنا فلذلك اوردته ما ارادت
همة سالك ان تقف عند ما كشف لها الا ونادته هواتف الحقيقة
الذي تطلب امامك ولا تبرجت ظواهر المكونات الا ونادتك حقايقها
انما نحن فتنة فلا تكفر السائر الى الله تعالى يتجلى له في اثنا سلوكه
انوار وتبدو له اسرار فاذا ارادت همته ان تقف عند ما كشف
لها من ذلك لاعتقاده انه وصل الى الغاية والنهاية من المعرفة نادته
هواتف الحقيقة المطلوبة الذي تطلب امامك فجد في السير ولا تقف
وان تبرجت له ظواهر المكونات بزينتها فمال الى حسنها وجمالها
نادته حقايقها الباطنة انما نحن فتنة فلا تكفر وغض عينيك عن
ذلك ولا تلتفت اليه ودم على سيرك وسلوكك واعلم انه ما دامت لك
همة وارادة فانت بعد في الطريق لم تصل فلو فنيت عنها لوصلت
وما احسن قول الشيخ ابو الحسن الششتري في هذا المعنى

فلا تلتفت

١٥

من
مما من الله على عبده
السيد احمد الهبرادي

فقال تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يومنون بالاخرة
واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون وقال ايضا ذلكم بانه اذا دعي الله
وحده كفرتم والكفر تغطية وان يشرك به تومنوا والشرك الخلط اي تخلط بذكر سواه
ثم قال فالحكم لله العلي الكبير يعني لا يشركه خلق في حكمه لانه تعالى في عظمته
الكبير في سلطانه لا شريك له في ملكه وعطايه ولا نظير له من عباده ففي دليل
هذا الكلام وفهمه من الخطاب ان المومنين اذا ذكروا الله بالتوحيد
والانفراد في نفي انشرحت صدورهم واتسعت قلوبهم واستبشروا بذكره
وتوحيده واذا ذكرت الارباب والوسايط والاسباب التي دونه كرهوا ذلك واشمازت
قلوبهم وهذه علامة صحيحة فاعرفها من قلبك ومن قلب غيرك لتستدل بها
على حقيقة التوحيد في القلب او وجود خفي الشرك في السر ان كنت عارفا انتهى
قلت وهذه المسلة التي تضمنها كلام الشيخ ابي طالب رضي الله عنه من اعظم المسايل
وعلى صدق الصادق وكذب الكاذب من اوضح الدلايل والمالات فقصدنا في هذا
التنبيه على استغنام ذكر الفوايد العجيبه والحرص على رسم المقاصد الغريبه
لغربة الدين في هذا الزمان الرذل او تنبيها الغرة والجهل على المنتسبين الى
العلم والفضل حسن منا ايراد هذه الكلمات على جهة ضرب المثل والاكتفا بالتمهل
عن العلل ليعمل بمقتضى ذلك مريد سالك ولينتفع من مناصحة ربه في دينه وقلبه
اوضح المسالك ولو اجرا على هذا الاسلوب كل كلام لم تظهر لك مطابقته ولم تتم في نظرك
مناسبته لتسلم بذلك من الاعتراض وتعلوا همتك عما تولع به اصحاب القلوب
المراض عافانا الله من ذلك بمنه وفضله شتان بين من يستدل به او يستدل
عليه المستدل به عرف الحق لاهله واثبت الامر من وجود اصله والاستدلال
عليه من عدم الوصول اليه والا فمتى غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى
تكون الاثار هي التي توصل اليه بنوادم في اول نشاتهم ومبدا خلقتهم خرجوا
من بطون امهاتهم موسومون بالجهل وعدم العلم قال الله تعالى والله
اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا ثم ان الله تولى لما اختص
بعضهم بخصوصية عنايته واختار منهم من اهله لولايته وساذلك الا
حصول العلم الذي يتضمنه قوله وجعل لكم السمع والابصار والافيدة الذي يحقق
لهم النسبة ويوجب لهم القربى والزلفى المشار اليه بقوله لعلكم تشكرون

جعلهم على قسمين مرادين ومريدين ولئن شئت قلت مجذوبين وسالكين
وكلاهما مدرك ومجذوب على التحقيق قال الله تعالى يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه
من ينيب فالمريد السالكون الى الله تعالى في حال سلوكهم محجوبون عن ربهم
برؤية الاغيار لان الاثار والاكوان ظاهرة لهم وموجودة لديهم والحق تعالى بوجهه
الاكرام ونعرف اليهم فعرفوه فلما عرفوه على هذا الوجه انحجب الاغيار عنهم
فلم يروها فهم يستدلون به عليها في حال تدليهم فهذا هو حال الفريقين وشتان
ما بينهما اي بعد ما بينهما وذلك ان المستدل به على غيره عرف الحق الذي هو
الوجود الواجب لاهله وهو المختص بوصف القدم واثبت الامر المشار اليه الى الاثار
العدمية من وجود المشار اليه الى المؤثر المتحققة وجوده والمستدل بغيره عليه على
عكس ما ذكرنا لانه استدل بالمجهول على المعلوم وبالمعدوم على الموجود وبالامر
الخفي على الظاهر الجلي وذلك لوجوده للحجاب ووقوفه مع الاسباب وعدم اختطابه
بالوصول والاقتراب والا فمتى غاب حتى يستدل عليه بالاشيا الحاضرة ومتى بعد
حتى تكون الاثار القريبة هي التي توصل اليه او فقد حتى يكون الاثار الموجودة
هي التي تدل عليه شعر عجبت لمن يبغي عليك شهادة وانت الذي اشهدته كل شاهد
قال في لطايف المنن واعلم ان الادلة انما نصبت لمن يطلب الحق لا لمن
يشهده لان الشاهد غني بوضوح الشهود عن ان يحتاج الى دليل فتكون
المعرفة باعتبار توصيل الوسايل اليها كسبية ثم تعود الى نهايتها ضرورية
واذا كان من الكاينات ما هو غني بوضوحه عن اقامة دليل فالمكون اولى
بغناه عن الدليل منها ثم قال ومن اعجب العجب ان تكون الكاينات
موصولة اليه فليس لها ذلك من حيث ذاتها لكن هو الذي ولاها رتبة
التوصل فوصلت فما وصل اليه غيرالهيته ولكن الحليم هو واضع الاسباب
وهي لمن وقف عندها ولم ينفذ القدرة عين الحجاب لينفق ذو سعة من سعته
الواصلون اليه ومن قدر عليه رزقه السايرون اليه هذه اشارة مليحة الى حال الفريقين
قال الواصلون الى الله خرجوا من سجن رؤية الاغيار الى فضا التوحيد وكشف
الاستبصار فاتسعت مسافة نظرهم فانفقوا من سعتهم وتصرفوا في عوالمهم
كيف شاؤوا والسالكون اليه مقدور عليهم في ارزاق العلوم والفهوم محبوسون
في مضيق الخيالات والرسوم ينفقون مما اتاهم الله من الرزق المعلوم المقدر
انما هذه الراحلون اليهم بانوار التوجه والواصلون لهم انوار المواجهة

فالاولون للانوار وهؤلاء الانوار لهم لانهم لله لا لشيء دونه انوار التوجه هو ما
منهم الى الله تعالى من عبادات ومعاملات ومجاهدات ومكابدات وانوار المواجهة
ما من الله لهم من تعرف وتقرب وتودد وتحبب فالاولون عبيد الانوار لوجود
حاجتهم اليها في الوصول الى مقصودهم والاخرون الانوار لهم لوجود غناهم
عنها بربهم فهم لله لا لشيء دونه وسياتي هذا المعنى عند قوله انت
مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك قل الله
ثم ذرهم في خوضهم يلعبون افراد التوحيد بعدم ملاحظة الاغيار هو حق
اليقين ورؤية ما سوى الله تعالى خوض ولعب وهما من صفات الكافرين
والمنافقين قال الله تعالى اخبارا عنهم وكنا نخوض مع الخائضين وقال
تعالى بل هم في شك يلعبون تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب خير لك
من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب حكم المريد ان يتشوف
الى معرفة ما غاب عنه من معايب نفسه ويتطلبها ويبحث عنها
ان ذلك هو حق الحق تعالى منه فينبغي ان يحرص عليه ويصرف عنايته
اليه ليحصل له صفا اعماله من الافات ونقا احواله من الكدورات
وينتفي عنه الجهل والغرور وتنقطع من باطنه مواد الشرور وقد ذكر الشيخ ابو
حامد الغزالي رضي الله عنه في كتاب رياضة النفس فصلا في الطريق الذي
يعرف الانسان عيوب نفسه فلينظر فيه المريد وقد جعل حاصله اربعة اوجه
احدها ان يجلس بين يدي شيخ بصير بالعيوب والافات فيحكمه على نفسه
ويتبع اشارته فيما يشير به عليه والثاني مصاحبة صديق صدوق يجعله رقيبا
على احواله واعماله لينبهه على ما يخفى عليه من مذام خلاله والثالث ان
يستفيد معرفة عيوبه من اعدائه اذ لا بد من جريان ذلك على السنتهم
عند سلبهم وغيبتهم والرابع ان يستفيد ذلك من مخالطة الناس اذ
يطلع بذلك على مساويهم فاذا اطلع منهم علم انه لا ينفك هو عن شيء منها
... الطباع البشرية في ذلك متقاربة وقد يظهر له في نفسه ما هو اعظم مما
راه في غيره فيطالب نفسه حينئذ بالتطهر منها والتنزه عنها هذا
ملخص ما ذكره ثم قال وهذه كلها حيل من فقد شيخا عارفا زكيا بصيرا
بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه
مشغولا بتهذيب عباد الله ناصحا لهم فمن وجد الطبيب فليلازمه فهو

الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده انتهى واما طلبه
للغيوب المحجوبة عنه من خفايا القلب ولطائف الغيوب فانه لا حظ نفسه
لا حق عليه فيه للحق تعالى فيكلف عنها نفسا ولا يشتغل بها عقلا ولا
حسا وما اظهر له منها لا يعول عليه فان من ذلك المغايب القادحة في عبوديته
ولهذا قالوا كن طالب الاستقامه ولان تكون بحق مولاك اولى بك من ان تكون
بحظ نفسك ومن الحكايات في هذا المعنى الذي ذكرناه ما روي في الاسرائيليات عن
وهب بن منبه رضي الله عنه ان رجلا من بني اسرائيل صام سبعين سنة
يفطر في كل سنة ايام فسال الله تعالى ان يريه كيف تغوي الشياطين للناس فلما
طال ذلك عليه ولم يجبه قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان
خيرا لي من هذا الامر الذي طلبته فارسل الله اليه ملكا فقال له ان الله تعالى ارسلني
اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به احب الي مما مضى من عبادتك وقد
فتح الله بصرك فانظر فاذا جنود ابليس قد احاطت بالارض واذا ليس احد من الناس
الا والشياطين حوله كالذباب فقال اي رب من ينجو من هذا قال الورع اللين وسياتي
بيان ان الكرامات غير مطلوبة التحصيل ولا مغتبط بوجودها الذي كان عالم نبيل عند
قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه الحق ليس بمحجوب وانما المحجوب انت
عن النظر اليه اذ لو حجبه شي لستره ما حجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده
حاصر وكل حاصر لشي فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده الحجاب على الحق تعالى
محال واستدل المولف على ذلك بما ذكره هنا وهو بين لا اشكال فيه والحجاب عن
العبد واجب من حيث ذاته اذ هو عدم كما تقدم ولا نسبة بين العدم وبين
الوجود فان اراد الله تعالى رفع هذا الحجاب عمن يشاء كيف يشاء متى شاء راى من
ليس كمثله شي وهذا مما يجب اعتقاده [illegible] اوصاف بشريتك عن كل وصف
مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا اوصاف البشرية
المتعلقة بامر الدين نوعان احدهما ما يتعلق بظاهر العبد وجوارحه وهي الاعمال
والثاني ما يتعلق بباطنه وقلبه وهي العقود فاما ما يتعلق بظاهره وجوارحه فينقسم
ايضا الى قسمين احدهما ما وافق الامر وتسمى طاعة والثاني ما خالفه وتسمى معصية
واما ما يتعلق بباطنه وقلبه فينقسم ايضا الى قسمين احدهما ما وافق الحقيقة ويسمى
ايمانا وعلما والثاني ما خالفها ويسمى نفاقا وجهلا والنظر فيما يتعلق بظاهر
العبد يسمى في الاصطلاح تفقها والنظر فيما يتعلق بباطنه يسمى في الاصطلاح

تصوفا فهذان الامران هما كلية العبد وظاهره تابع لباطنه بالضرورة لان القلب
هو الملك والجوارح جنوده ورعيته ومن شان الرعية طاعة الملك فيما يامر به
وينهى عنه وقد نبه على هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان في الجسد
مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب فصلاح
القلب انما يكون بطهارته من الصفات المذمومة كلها دقيقها وجليلها وهذه
هي الصفات المناقضة للعبودية من اوصاف البشرية التي اشار اليها المولف رحمه الله
وهي التي تسمي صاحبها بسمة النفاق والفسوق وهي كثيرة مثل الكذب والعجب والريا
والسمعة والحرص والحسد وحب الجاه وحب المال ويتفرع من هذه الامور فروع
خبيثة من العداوة والبغضا والتذلل للاغنيا والاستخفاف بالفقرا وترك الثقة بمجي الرزق
وخوف سقوط المنزلة من قلوب الخلق والشح والبخل وطول الامل والاشر والبطر والغل
والغش والمباهاة والتصنع والمداهنة والقسوة والفظاظة والغلظة والغفلة
والجفا والطيش والعجلة والحدة والحمية وضيق الصدر وقلة الرحمة وقلة الحيا وترك
القناعة وحب الرياسة وطلب العلو والانتصار للنفس اذا نالها الذل وذهاب ملك
النفس اذا رد عليه قوله الى غير ذلك من النعوت الذميمة والاخلاق اللئيمة واصل
فروعها وعنصر منابعها انما هو روية النفس والوقوف عندها وتعظيم قدرها وترفيع امرها
فبهذه الامور كفر من كفر ونافق من نافق وعصى من عصى وبها خلع من عنقه ربقة
العبودية لربه عز وجل من خلع حسبما يقوله المولف رحمه الله باثر هذا وشان
الصوفي انما هو النظر فيما يطهرها ويزكيها من انواع الرياضات والمجاهدات وقد
بينوا طرق ذلك في كتبهم قال الشيخ ابو طالب رضي الله عنه ولا يكون المريد مريدا حتى يبدل
معاني صفات العبودية والاخلاق الشيطانية اوصاف المومنين وبطبايع البهايم
اوصاف الروحانيين من الاذكار والعلوم فعندها يكون مريدا مقربا قال والطريق
الى هذا ان يملك نفسه فيملكها فتنسخر له ويتسلط عليها فان اردت ان تملك
نفسك فلا تملكها وضيق عليها ولا تنفسح لها فان ملكتها ملكتك وان لم
تضيق عليها اتسعت عليك واذا اردت الظفر بها فلا تعرضها لهواها
احبسها عن معتاد ملايمها فانك ان لم تمسكها انطلقت بك وان اردت
ان تقوى عليها فاضعفها بقطع اسبابها وحبس موادها والا قويت
فصرعتك انتهى فاذا قام بذلك المريد على الوجه الذي رسموا له والتزم الوظايف
التي امروه بها طهر قلبه وتزكت نفسه واتصف بمحاسن الصفات التي تزينه

بين العباد وينال بها من قرب ربه غاية المراد فتظهر حينئذ عليه اثار حميده من
التواضع لله والخشوع بين يديه والتعظيم لامره والحفظ لحدوده والهيبة له والخوف
منه والتذلل لربوبيته والاخلاص في عبوديته والرضا بقضايه ودوية المنة لله عليه في منعه
وعطايه ويتصف فيما بين خلقه بالرافة والرحمه واللين والرفق والسعة للصدور والحلم
والاحتمال والصيانة والنزاهه والامانة والشفقه والعطف والتاني والوقار والسخا والجود
والحيا والبشاشة والنصيحه وسلامة الصدر الي غير ذلك من اخلاق الايمان التي بها ينال العبد
غاية السعاده والحسني وزياده قلت وهذان المعنيان هما اللذان يعبر عنهما ايمة
الصوفيه رضي الله عنهم بالتخلي والتحلي اي التخلي عن الصفات المذمومه والتحلي بالصفات
المحموده ويعبرون عنهما ايضا بالتزكيه والتحليه وهما حقيقة السلوك الذين يعبرون به
ايضا وسياتي الاشارة ~~بالتزكيه والتحليه~~ الي كيفية ذلك عند قوله لا لاعيا دين النفوس
ما تحقق سير السايرين فاذا تم للمريد هذا السفر وانقلب منه الي انفس مستقر
تحققت عبوديته لربه عز وجل ولم يملكه غيره ولم يسترقه سواه وارتقي في القرب
من ربه الي اشرف محل فيكون منزله ومثواه فيكون حينيذ كما قال المولف رحمه الله
لندا الحق مجيبا لانه اذ ذاك يناديه باسم المجد فيقول له يا عبدي فيجيب حينيذ
مولاه باسم الرب فيقول له لبيك يا رب فيكون صادقا في اجابته متحققا في نسبته ويكون
ايضا من حضرته قريبا لوجود بعده عن نفسه التي من شانها النفور عنها والشراد
منها فاذا اقامه الحق تعالي مقام العبوديه وحاز مرتبة القرب من حضرة الربوبيه
كان محفوظا من اقتحام الاوزار ميسرة عليه اعمال الاخيار متحليا في الظاهر والباطن
بالشرف الحلي متحليا بفضيلة التشبيه بالملا الاعلي قال الله تعالي ومن عنده لا
لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقال
تعالي ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون وقال
عز من قايل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون فرتبته العنديه انا تليق بهذه
الخصوصيه وكذلك من تشبه بهم في محاسن صفاتهم من الصفوه الصوفيه الا ان هولا
محفوظون لا معصومون على ما اصطلحوا عليه من الفرق بين الحفظ والعصمه والفرق
بينهما ما قاله الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ان المعصوم لا يلم بذنب البته
والمحفوظ قد تحصل منه هنات وقد تكون له في الندره زلات ولكن لا يكون له اصرار اوليك
الذين يتوبون الي الله من قريب وقد وصف الله عباده المخلصين اي التطهير والتمحيص
في ايات كريمه بصفات جليه عظيمه واعد لهم علي ذلك خيرات جسيمه فقال تعالي وعباد

الرحمن الذين يمشون ... احاسبهم ...
يستغفر او ... والكل النظر فيما قاله فيها اهل التفسير وما استنبطه منها ارباب
الاشارات اتصفوا بالتزكيه واما ما عداها واولايهم عبيد نفوسهم الشهوانيه ومسترقوا احظوظهم
الدنياويه قال الله عز وجل افرايت من اتخذ الهه هواه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
فيما روي عنه تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم الحديث وهولا هم من عبيد
النصدد المعنيين بقوله عز وجل ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا
لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيامة فردا واعلم انه لا ينتهيا هذا
سلوكا الي حضرة ملك الملوك الا لمن وفقه الله تعالي لمعرفة نفسه وما ركبت
عليه من مذام الصفات ومن عرف ذلك من نفسه لا يزال متهما لها
مسيئا ظنه بها احذرا احذره منها والا وقع في المعاصي والذنوب من حيث لا
يشعر وقد نبه المولف رحمه الله على هذا بقوله اصل كل معصيه وغفله وشهوه
الرضا عن النفس واصل كل طاعة ويقظه وعفه عدم الرضا منك عنها الرضي عن
النفس اصل جميع الصفات المذمومه وعدم الرضا عنها اصل الصفات المحموده وقد
اتفق على هذا جميع العارفين وارباب القلوب وذلك لان الرضا عن النفس يوجب
تغطية عيوبها ومساويها ويصير قبيحها حسنا كما قيل ~~في الشطر~~ وعين
الرضا عن كل عيب كليلة وعدم الرضا عن النفس على عكس هذا لان ع العبد
اذ ذاك يتهم نفسه ويتطلب عيوبها ولا يغتر بما تظهر من الطاعة والانقياد
كما قيل في الشطر الاخير ولكن عين السخط تبدي المساويا فمن رضي عن نفسه
استحسن حالها وسكن اليها ومن استحسن حال نفسه وسكن اليها
استولت عليه الغفله وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره
فتثور حينيذ دواعي الشهوه غالبة له بسبب ذلك ومن غلبت شهوته
وقع في المعاصي لا محاله واصل ذلك كله رضاه عن نفسه ومن لم يرض عن نفسه لم
يستحسن حالها ولم يسكن اليها ومن كان بهذا الوصف كان متيقظا متنبها
للطوارق والعوارض وبالتيقظة والتنبه يتمكن من تفقد خواطره ومراعاتها
وعند ذلك تخمد نيران الشهوه فلا يكون لها عليه غلبه ولا قوه فيتصف
العبد حينيذ بصفة العفه فاذا صار عفيفا كان متجنبا لكل ما نهي الله عنه
محافظا على جميع ما امره به وهذا هو معني الطاعه لله عز وجل واصل هذا كله
عدم رضاه عن ... اوجه ... العبد ...

من ذلك عدم الرضا عنها وبقدر تحقق العبد في معرفة نفسه يصح له حاله ويعلو
مقامه وقد ورد عن الكبار والائمة الاخيار من الكلمات المتضمنة لعيبهم لنفوسهم والتهمة
منهم لها وعدم رضاهم عنها اكثر من ان تحصى وكذلك قال ابو حفص من لم يتهم نفسه
على دوام الاوقات ولم يخالفها في جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها في سائر ايامه كان مغرورا
ومن نظر اليها باستحسان شي منها فقد اهلكها وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه
والكريم بن الكريم يقول وما ابري نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي وقال ايضا
منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله عز وجل ينظر الي نظر السخط واعمالي تدل
على ذلك وقال الجنيد لا تسكن الى نفسك وان دامت طاعتها لك في طاعة ربك وقال ابو
سليمان الداراني ما رضيت عن نفسي طرفة عين ويحكى عن سري السقطي انه قال
اني لانظر الى انفي في اليوم كذا وكذا مرة مخافة ان يكون قد اسود لما اخافه من العقوبة
وقال ايضا من الناس ناس لو مات نصف احدهم ما انزجر النصف الاخر ولا احسبني الا منهم
الى غير هذا من العبارات الصادرة عن المشايخ رضي الله عنهم في هذا المعنى وقد الف الشيخ
ابو عبد الرحمن السلمي جزءا صغير الحجم عظيم الفايدة في عيوب النفس وكيفية مداواتها
فلينظر فيه المريد وكذا كان الف قبله الامام ابو عبد الله الحارث المحاسبي كتابا سماه بالنصايح
جمع فيه من معايب النفس وخدعها وغرورها وشرورها جملة شافية كافية ونبه فيه
على سنن دارسة عافية مما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم من التفتيش
والتنقير والنظر فيما تصلح به اعمالهم واحوالهم ونفوسهم والمحافظة على تطهير الاسرار والقلوب
والمبالغة في الحذر من محقرات الذنوب وقد نقل الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله ورضي
عنه منه فصلا في كتابه واعتمد فيه ذكره بلفظه ونص خطابه بعد ان اثنى عليه بما
هو اهله بان للجاهل به علمه ونقله فقال في حقه والمحاسبي رحمه الله خير الامة
في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وافات الاعمال
واغوار العبادات وكلامه جدير بان يحكى على وجهه ثم ذكره وقد كان اوحد زمانه
علما وعبادة ونجدة اوانه ورعا وزهادة وكان سيدي الحاج ابو العباس بن عاشر
رحمة الله ورضوانه عليه يكثر من التحضيض على مطالعة ذلك الكتاب والعمل بما
تضمنه من حق وصواب واظنني سمعته ذات يوم يقول لا يعمل بما فيه الا ولي
او عالم هذا معناه فليتخذه المريد مطالعته وردا وليحرص على العمل بما تضمنه مستعينا
بالله تعالى وسايلا منه توفيقا ورشدا ولينتج الملازمة في مراعاة اصلاح باطنه
والقيام على قدم التدقيق في مواطنه وليجعل هجيراه مطالعة كتب الصوفية وسوالهم

اهله بالتاليف والعرف فبذلك يتقوى ايمانه ويقينه
دينه ولا يقدم على ذلك الاعراض العين وما تسمح به نفسه من مكابدة التعب والاذى
ولا يشغل نفسه بعلم يبعد في وجه مقصوده ويوجب له انتكاث مواثيقه وعهوده
وهو ما اكب الناس عليه اليوم وحاذروا به عن سنن القوم حتى تطرق لهم بسبب
ذلك من رذايل الصفات وعظايم الافات ما اداهم الى الهلاك والشقا واعقبهم النفاق
في قلوبهم الى يوم اللقا وسجل عليهم بالكذب في دعواهم انهم قاصدون بعلمهم رضا مولاهم فيا ايها
واياهم لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن انادي وكذلك قال المولف
ولان تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من ان تصحب عالما يرضى عن نفسه
فاي علم لعالم يرضى عن نفسه واي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه فايدة
الصحبة انما هي الزيادة في الحال وعدم النقصان فيها حسبما ياتي الكلام عليه عند
قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فصحبة من رضي عن نفسه
وان كان عالما شر محض ولا فايدة فيها لان علمه غير نافع وجهله الذي اوجب
رضاه عن نفسه في غاية الضرر وكانه اذ فاته هذا العلم الذي يريه عيبه حتى لا
يرضى عن نفسه لا علم عنده وصحبة من لم يرضى عن نفسه وان كان جاهلا خير
محض وفيه كل الفايدة لان جهله غير ضار وعلمه الذي اوجب له عدم رضاه عن
نفسه نافع غاية النفع وكانه اذ حصل له هذا العلم لا جهل عنده شعاع البصيرة
يشهدك قربه منك وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة يشهدك
وجوده لا عدمك ولا وجودك شعاع البصيرة نور العقل وعين البصيرة نور العلم
وحق البصيرة نور الحق فالعقلاء بنور عقولهم شهدوا انفسهم عدما في وجود
ربهم والمتحققون بنور الحق شاهدوا الحق ولم يشاهدوا معه سواه كان
الله ولا شي معه وهو الان على ما عليه كان الازمنة هاهنا امور وهمية لا وجود
لها على التحقيق والمقصود ان الله تعالى لا شي معه لثبوت احديته شعر

فلم يبق الا الحق لم يبق كاين فما ثم موصول وما ثم باين
بذا جا برهان العيان فما ارى بعيني الا عينه اذ اعاين

وسياتي من كلام المولف رحمه الله الاكوان ثابتة باثباته وممحوة باحدية ذاته
قال علي رضي الله عنه لا تتعد نية همتك الى غيره فالكريم لا تتخطاه الامال الهمة
العلية تانف من رفع حوايجها الى غير كريم ولا كريم على الحقيقة سوى الله تعالى

قال الجنيد الكريم الذي لا يحوجك الى مسيله وقال الحارث المحاسبي الكريم الذي لا يبالي من
اعطي وقيل الكريم الذي لا يخيب رجا المومليين واجمع العبادات في معنى الكريم
ما قيل الكريم الذي اذا قدر عفي واذا وعد وفي واذا اعطي زاد على منتهي الرجا ولا يبالي
لم اعطي ولا لمن اعطي وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصي
ولا يضيع من لاذ به والتجا ويغنيه عن الوسايل والشفعا فاذا كانت هذه الصفات
لا يستحقها احد سوى الله تعالى فينبغي لذا ان لا نتخطاه اما الحاجات الى غيره كما قال
بعضهم حرام على من وجد الله ربه وافرده ان يجتدي احدا رفدا

ويا صاحبي قف بي على الحق وقفة اموت بها وجدا واحيي بها وجدا
وقل لملوك الارض تجهد جهدها فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدا

لا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا
من لا يستطيع ان يرفع حاجته عن نفسه فكيف يستطيع ان يكون لها عن غيره
رافعا اذا اورد الله تعالى عليك حاجة وانزل بك نازلة فاعلم انه لا رافع لها سواه اذ
يستحيل ان يرفع غيره ما كان هو له واضعا لثبوت توحيده في ان لا فاعل سواه واذ هو غالب
على امره لا يغالبه احد ويستحيل ايضا ان يرفعها عنك من لا يستطيع ان يرفعها عن نفسه
لو نزلت به لثبوت عجزه وضعفه ومن المحال تعلقك في حاجتك بمن هو محتاج مثلك
قال بعضهم من اعتمد على غير الله فهو في غرور لان الغرور ما لا يدوم ولا يدوم شي سواه
وهو الدايم القديم الذي لم يزل ولا يزال وعطاوه وفضله دايمان فلا تعتمد الا على من يدوم
عليك منه الفضل والعطا في كل نفس وحين واوان وزمان وقال عطا الخراساني لقيت وهب بن
منبه رضي الله عنه في الطريق فقلت حدثني حديثا احفظه عنك في مقامي واوجز قال
اوحى الله الى داود عليه السلام يا داود اما وعزتي وعظمتي لا ينتصر بي عبد من عبادي دون
خلقي اعلم ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والارضون السبع ومن فيهن
الا جعلت له بينهن فرجا ومخرجا اما وعزتي وعظمتي لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق
دوني اعلم ذلك من نيته الا قطعت اسباب السموات من يده واسخت الارض من تحته ولا
ابالي في اي واد هلك وقال بعضهم كنت في مجلس يزيد بن هارون وكان الى جانبي رجل فسالته
عن قضيته وخبره فقال فقدت نفقتي فقلت ومن تومل لما قد نزل بك فقال يزيد فعلمت انه
لا يسعفك بحاجتك ولا يجد مطلبتك ولا يبلغك املك فقال له ما علمت يرحمك الله قلت اني قرات
في بعض الكتب ان الله عز وجل يقول وعزتي وجلالي وجودي وكرمي وارتفاعي فوق عرشي في
علو مكاني لاقطعن امل كل من امل غيري الاياس ولاكسونه ثوب المذله عند الناس ولاخيبته
من قربي ولا قطعنه من وصلي ايومل غيري في النوايب والشدايد بيدي وانا الحي

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مريضا
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجدك قال يا رسول الله حسن الظن قال
فظن به ما شيت فان الله تعالى عند ظن المومن به وروي ابو هريرة رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان حسن الظن بالله من حسن عبادة الله
قلت والاخبار والاثار في الرجا وحسن الظن بالله وسعة رحمته اكثر من ان تحصى وهي مما يقوي
مما يزيد المريد قوة القلوب وكتاب الاحيا فيه رحمه الله تعالى الحال التي بمنازلتها
يتحقق العبد في مقام حسن الظن بالله تعالى وهو عكوف العبد بباب الله تعالى وتعلق
ظنه بوجدانيته واشار الى ذلك هو غاية النعم ومنتهى الاماني لا ما تتوهمه النفس
وتطلبه من النعيم المعقول والاسباب التي تفنى وتزول فاعلم بان هذا من عمى القلب
ومما يستحق ان يتعجب منه كل ذي لب فقال التعجب كل العجب ممن يهرب ممن لا انفكاك
له عنه ويطلب ما لا بقا له معه فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
هرب العبد من مولاه باقباله على شهواته ومتابعة هواه وذلك نتيجة عمى قلبه
ووجود جهله بربه لانه استبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير واثر الباقي
على الفاني الذي لا بقا له على الباقي الذي لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة لاثر الباقي
على الفاني ولفعل ما فعله سحرة فرعون لما امنوا بربهم اذ لم يحتفلوا
بما وعدهم به فرعون من الاحسان والانعام والتقريب والاكرام ولم يلتفتوا
بما توعدهم من العذاب والقتل والصلب على جذوع النخل قالوا لن نوثرك على ما جانا من البينات
والذي فطرنا ثم قالوا والله خير وابقى فهولا اسنار تنقلوا بهم وشهدوا بحوبتهم
فكان منهم ما كان لا ترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحا يسير والذي
ارتحل اليه هو الذي ارتحل عنه ولكن ارحل من الاكوان الى المكون وان الى ربك
المنتهى العمل على طلب الجزا والدرجات اولنيل الرتب العليه والمقامات نقصان
في الحال وشوب في اخلاص الاعمال وهو معنى الرجل من كون الى كون وسبب ذلك
بقا اعتبار النفس فان تحصل لها رتبة وان نال نصيبها موهبة وهذه كلها
من الاكوان والاكوان متساويه في كونها اغيارا وان كان بعضها انوارا و
تمثيله بحمار الرحا مبالغة في تقبيح حال العاملين على رويه الاغيار وتلطف في
دعايهم الى حسن الادب بين يدي الواحد القهار حتى يتحققوا بمعنى قوله تعالى
والى ربك المنتهى فيكون انتهى سيرهم اليه وعكوف قلوبهم عليه وتكون اعمالهم اذ ذاك
وفا بمقتضى العبوديه وقياما بحق الربوبيه فقط من غير التفات
الى النفس على

حالة تكون فهذا هو تحقيق الاخلاص الكامل عن مشاهدة التوحيد الخاص جعلنا الله من
اهله بمنه وكرمه وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى
الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه
تاملو قوله عليه السلام فهجرته الى ما هاجر اليه وتامل هذا الامران كنتم ذا فهم والسلام في هذا
الحديث النبوي تنبيه على هذا المعنى الذي ذكره وموضع الاعتبار والتامل والتفهم
اعلم وقوله في القسم الثاني فهجرته الى ما هاجر اليه اي ولا نصيب له من الوصول والقرب الذي
حظي به من هاجر الى الله ورسوله وهو قوله فهجرته الى الله ورسوله وهذا من باب حصر المبتدا
في الخبر كما قال زيد صديقي اي لا صديق له غيري وكانه صلى الله عليه وسلم نبه في القسم الثاني
بالدنيا التي يريد ان يصيبها والمراة التي يريد ان يتزوجها على حظوظ النفس والوقوف
معها وانعطافه عليها لابتغاء ما كانت وان كان ظاهره طلب الحظ العاجل فقوله فهجرته الى
الله ورسوله هو معنى الارتحال من الاكوان الى المكون وهو المطلوب من العبد وهو مصرح
به غاية التصريح وقوله فهجرته الى ما هاجر اليه هو البقاء مع الاكوان والتشوف اليها وهو
الذي نهاه عنه وهو مشار به غير مصرح فليكن المريد عالي الهمة والنية حتى لا يكون له
التفات الى غيره ولا ركون اليه ولقد احسن الشاعر في قوله شعر

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق ... محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

قال رجل لابي يزيد اوصني فقال له ان كان من العرش الى الفرش قل لا ادري وقال ابو سليمان
الداراني رضي الله عنه لو خيرت بين ركعتين ودخول الفردوس لاخترت الركعتين لان في
الفردوس حظي وفي الركعتين ربي وقال الشبلي رضي الله عنه احذر مكره ولو في قوله
كلوا واشربوا يريد لا تستغرق في الحظ ولتكن في كل شي به لا بنفسك فقوله كلوا واشربوا
وان كان ظاهره اكراما وانعاما فان في باطنه ابتلاء واختبارا حتى ينظر من هو معه ومن هو
مع الحظ لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله تكلم ها هنا في الصحبة وهي اصل
كبير من اصول القوم فيها منافع وفوائد كثيرة استمر عليها شانهم قديما وحديثا
وقد نبه المولف رضي الله عنه على فائدتها في قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك
على الله مقاله وانهاض الحال ودلالة المقال على الله تعالى هو فائدة الصحبة ومعنى الحال
المنهضة ها هنا هو ان يكون همته بالله تعالى مرتفعة عن المخلوقين لا يلجا في حوايجه
الا الى الله تعالى ولا يتوكل في اموره الا على الله قد سقط الناس من عينه فلا يرضى منهم

لانقطاعه وسقطت نفسه من عينه فلا يشاهد لها فعلا ولا يقتضي لها حظا وتكون
اعماله كلها جارية على مقتضى الشرع وهذه من صفات العارفين والموحدين فصحبة
من هذه حاله وان قلت عبادته ونوافله ما مونة الغايلة محمودة العاقبة خالية لكل
فايدة دينية لان الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على حب الاقتداء بمن
يستحسن حاله ولا يشترط في المصحوب اتصافه بتلك الصفات على غاية الكمال والتمام
فان ذلك متعذر وانما يشترط فيه ان يتصف منها بما يعرف به صاحبه فقط بحيث
يكون اعلا منه حالا واوجب منه مقالا ومن لم يكن على هذا الوصف وكان شانه
المعاملة بالظاهر لا غير فليس له فايدة في صحبته بل ربما زادته شرا لان خلطته
تدعو الى التصنع له والتزين ويوديه ذلك الى كبائر ومعاصي القلوب واشد عليه
من معاصي الجوارح بكثير قال يوسف بن الحسين الرازي لان القى الله بجميع المعاصي
احب الي من ان القاه بذرة من التصنع فيدخل بذلك عليه النقص في حاله من حيث
رجا الزيادة فيها قال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا
تنقص عنده باثم يكون ذلك لك وعليك وانت عنده سوا وقال بعضهم كن مع ابناء
الدنيا بالادب ومع ابناء الاخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقيل لبعض العارفين
ان فلانا يحبك ويكثر ذكرك فقال انه لحبيب الي واجله واعرف قدره ولكن يهون علي ان
القى الشيطان ماية مرة ولا القاه مرة واحدة قيل له كيف ذلك قال اخشى ان اتزين له
ويتزين لي قال الشيخ ابو طالب المكي وكانت هذه الطايفة من الصوفية لا يصطحبون
الا على استوا اربعة معان لا يترجح بعضها على بعض ولا يكون فيها اعتراض من بعض
على بعض ان اكل صاحبهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له صاحبه
افطر وان قام ليله كله لم يقل له صاحبه نم فصل وان صلى الليل كله لم يقل له نم بعضه وتستوي
احواله عنده فلا مزيد لاجل صيامه وقيامه ولا نقصان لاجل افطاره ونومه قالوا واذا
كان يزيد عنده بالعمل وينقص بترك العمل فالفرقة اسلم للدين وابعد من المراءات
من قبل ان النفس مجبولة على حب المدح وكراهة الذم ومبتلاة بان تزين حالها
التي عرفت به وان تظهر احسن ما يحسن عند الناس منها وان تجتنب ما يوجب
المدح منهم وتجتنب ما يوقع الذم عندهم فاذا اصبحت من يعمل معهم هذا فليس ذلك
طريق الصديقين ولا بغية المخلصين فمجانبة هولاء الناس اصلح للقلوب واخلص للدين وفي
معاشرة امثالهم فساد القلب وخسران راس المال لعله سقوط من عين ذي الجلال وكان
الثوري رضي الله يقول من عاشر الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا

فهلكك فيما هلكوا وكان بعض الحكما يقول لا تواخ من الناس من تتغير عليك في اربع عند
غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه لان هذه المعاني تتغير لها الطبايع لدخول الضرر منها
على النفس وفقد الانتفاع وقال في موضع اخر ومن كان ناظرا في اخوة اخيه او في صحبته
لكثرة اعماله او وافقا مع اكمل احواله دل على جهله بهذه الطريقة التي تنفذ الى التحقيق
لانها تحول وانما العمل على حقايق القلوب لانها ثابتة في الاحوال فان اقترن الى جهله
نقص معرفة الاخوة دخل عليه التزين له والتصنع عنده لتعلوا منزلته وتحسن عنده
اثره فيدخله ذلك في الشرك ويخرجه الشرك عن حقيقة التوحيد فتزل قدم بعد ثبوتها
ويسقط من عين مولاه فلا يتولاه لان النفس مبتلاة بحب الثنا والمدح ولقبات المنزله
باظهار الوصف فيكون هذا الصاحب حينيذ ممن اشام الناس عليه واضرهم له ويصير
احدهما بلا على صاحبه فليفارقه حينيذ لانه جاهل فلا يصحبه لانه يجد النقصان
بصحبته وتدخل عليه الافات بمقارنته ولينفرد بنفسه ويصدق في حاله علانية كانت
او دنية وضيعة كانت او رفيعة من غير مقاربة احد ولا مباينة فهو خير له واحمد عاقبة
انتهى ويدل على ارادة صاحب هذا الكتاب لهذا المعنى الذي ذكرناه في التنبيه
على قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ما عقبه به من قوله ولا يدلك على الله مقاله
فيكون الحال والمقال متناسبين في كون كل واحد منهما متعلقا بالله تعالى عبودية ودلالة
قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه احذر صحبة ثلاثة من اصناف الناس الجبابرة الغافلين
والقرا المداهنين والمتصوفة الجاهلين وقال يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه
قلت لذي النون المصري من اصحب فقال من لا يكتمه شيا يعلمه الله منك فقال
حمدون القصار اصحب الصوفية فان للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن
عندهم كبير موضع يعظمونك به اشارة الى ان العجب بالعمل منفي في صحبتهم وقال الجنيد
رضي الله عنه اذا اراد الله تعالى بالمريد خيرا اوقعه الى الصوفية ومنعه صحبة القرا
وقال ايضا رضي الله عنه لئن يصحبني فاسق حسن الخلق احب الي من ان يصحبني قارئ سيئ الخلق
وقال عليه رضي الله عنه شر الاصدقا من احوجك الى المداراة والجاك الى الاعتذار وقال مرة
شر الاصدقا من تكلف له وانشد ابو يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه

احب من الاخوان كل مواتي … وكل غضيض الطرف عن عثراتي
يوافقني في كل امر احبه … ويحفظني حيا وبعد مماتي

فمن لي بهذا ليتني قد وجدته … فقاسمته مالي من الحسنات

والحاصل من هذا ان صحبة الصوفية هي التي يحصل بها كمال الانتفاع للصاحب دون من عداهم
من المنسوبين الى الدين والعلم لانهم خصوا من حقايق التوحيد والمعرفة بخصايص لم
يشاركهم فيها احد وتسري بان ذلك من الصاحب الى المصحوب هو غاية الامل والمطلوب فقد قيل من
تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها فمن جلس عند العطار لم يفقد الرايحة الطيبة
هذا في الحضور والمجالسة فما ظنك في الصحبة والمواظبة والموانسة وقد وصفهم بعض العلما
فقال الصوفي من لا يعرف في الدارين احدا غير الله ولا يشهد مع الله سواه قد سخر له كل
شي ولم يسخر هو لشي وسلط على كل شي ولم يسلط عليه شي ياخذ النصيب من كل شي
ولا ياخذ النصيب منه يصفوا به كدر كل شي ولا يكدر صفوه شي قد شغله واحد عن كل
شي وكفاه واحد من كل شي فانظر رحمك الله هذه الصفات ما اعظمها واجلها وما اشرف
المتصف بها وما اعزه في هذا الوجود نفعنا الله بهم ورزقنا من بركاتهم وفي صحبة امثال
هولا يحصل للمريد من المزيد ما لا يحصل له بغيرها من فنون المجاهدات وانواع المكابدات
حتى يبلغوا من ذلك الى امر لا يسعه عقل عاقل ولا يحيط به علم عالم نائل قال سيدي ابو العباس
المرسي رضي الله عنه فاذا اصح بالكيميا والله لقد صحبت اقواما يعبر احدهم على الشجرة
اليابسة فيشير اليها فتثمر رمانا للوقت فمن صحب مثل هولا الرجال فاذا يصنع بالكيميا
وقال ايضا رضي الله عنه والله ما سار الاوليا والابدال من قاف الى قاف الا حتى يلقوا واحدا مثلنا
فاذا لقوه كان يغنيهم وقال ايضا رضي الله عنه والله ما بيني وبين الرجل الا ان انظر اليه نظرة
وقد اغنيته وقال في شيخه ابو الحسن رضي الله عنهما ابو العباس هو الرجل الكامل والله انه
ليا تيه البدوي يبول على ساقيه فلا يمسي عليه المسا الا واصله الى الله وسياتي طرف من ذكر
حال المولف في صحبته وما اوصله اليه ببركة رويته عند قوله كل كلام يبرز وعليه كسوة
القلب الذي منه برز وربما كنت مسيا فاراك الاحسان منك صحبتك الى من هو اسوا
حالا منك هذه اعظم افة تدخل على من خالف ما ذكره وصحب من هو دونه في الحال وهو
استحسانه لما هو عليه فيوديه ذلك الى رضاه عن نفسه وروية احسانه واهو مصل كل
شي كما تقدم ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب مقادير الاعمال
على حسب قلوب العمال فما صدر عن الزاهدين في الدنيا من عمل طاعة وان كان قليلا
في الحس فهو كثير على التحقيق وما صدر عن الراغبين فيها من عمل بر وان كان كثيرا
في الحس فهو قليل على التحقيق وذلك لان الزاهدين سلموا من الافات التي تقدح في

اخلاص اعمالهم من مرايات الناس والتصنع لهم وطلب الاعواض الدنياويه عليها منهم لانهم
زهدوا فيها فيتحصل لهم قبول لاعمالهم من مرايات الناس والتصنع لهم وطلب الاعواض الدنياويه
عليها منهم لانهم زهدوا فيها فيتحصل لهم قبول لاعمالهم فيتوفر قليلها بحسب ذلك ويكثروا
الراغبون تعتريهم الافات المبطله لاعمالهم القادحة في اخلاصهم بسبب رغبتهم في الدنيا
فلا تقبل منهم فيقل الكثير من اعمالهم لوجود النقصان فيها وقد قال امير المومنين علي بن ابي
طالب رضي الله عنه كونوا لقبول العمل اشد اهتماما منكم للعمل فانه لا يقل عمل مع التقوى
وكيف يقل عمل يتقبل وقد وصف الله تعالى ذكر المومنين بالكثرة لما تضمنه من وجود الاخلاص
وعدم ريا الناس فقيل في قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا قيل يعني خالصا
فسمي الخالص كثيرا وهو ما يخلص فيه النيه لوجه الله تعالى ووصف ذكر المنافقين بالقله
لما اشتمل عليه من عدم الاخلاص ووجود ريا الناس قال تعالى يراءون الناس ولا يذكرون الله
الا قليلا يعني غير خالص وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال ركعتان من زاهد عالم
خير من عبادة المتعبدين المجتهدين الى اخر الدهر ابدا سرمدا وقال بعض الصحابه التابعين
انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك
قال كانوا ازهد منكم في الدنيا وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه سالت معروفا الكرخي عن
الطايعين لله تعالى باي شي قدروا على الطاعه فقال باخراج الدنيا عن قلوبهم ولو كان شيا
منها في قلوبهم ما صحت لهم سجده وقال ابو عبد الله القرشي شكى بعض الناس رجل من الصالحين
انه يعمل اعمال البر ولا يجد حلاوة في قلبه فقال لانك عندك بنت ابليس وهي الدنيا ولا بد للاب
ان يزور ابنته في بيتها وهو قلبك ولا يوثر دخوله الا فسادا وكان ابو محمد سهل رضي الله عنه
يقول يعطي الزاهد ثواب العلما والعباد ثم يقسم على المومنين ثواب اعماله قال ولا يرى في القيامه
احد افضل من ذي زهد عالم ورع حسن الاعمال نتايج حسن الاحوال وحسن الاحوال من التحقق
في مقامات الانزال حسن الاعمال توفيقها بما يجب لها من شروط اداب عبوديه لله تعالى لا
تطلب بحظ عاجل ولا ثواب اجل وحسن الاحوال ان تكون سالمه من العلل والدعاوي موسومه
بسمة الصدق والتحقق في مقامات الانزال هو ارتوا القلب بما ينزل له الحق تعالى به من
مقامات العلوم والمعارف بحيث ينتفي عنه كل شك وريب وهذه الثلاثه المذكوره مرتب
بعضها على بعض وهو معنى ما يقوله الامام ابو حامد رضي الله عنه لا بد في كل مقام من مقامات
اليقين من علم وحال وعمل فالعلم ينتج الحال والحال ينتج العمل وهذا الكلام الذي ذكره المولف نوع
استدلال على ما قاله الزاهد والراغب لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لان غفلتك
عن وجود

عن وجود ذكره اشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى ان يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر
مع وجود يقظه ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما
ذلك على الله بعزيز الذكر اقرب الطرق الى الله تعالى وهو علم على وجود ولايته كما قيل الذكر
منشور الولايه فمن وفق للذكر فقد اعطي المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل وقال الشاعر
والذكر اعظم باب انت داخله لله فاجعل له الانفاس حراسا
قال الامام ابو القاسم القشيري الذكر عنوان الولايه ومنار الوصله وتحقيق الاراده وعلامة
صحة البدايه ودلالة صفا النهايه فليس ورا الذكر شي وجميع الخصال المحموده راجعة
الى الذكر ومنشاها عن الذكر وفضايل الذكر اكثر من ان تحصى ولو لم يرد فيه الا قوله تعالى
في كتابه العزيز فاذكروني اذكركم وقوله عز وجل فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان
ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وان
تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا وان اتاني يمشي اتيته هروله لكان في ذلك الشفا
والغنيه وهذا الحديث متفق على صحته قالوا ومن فضايله انه غير موقت بوقت
فما من وقت الا والعبد مطلوب به اما وجوبا واما ندبا بخلاف غيره من الطاعات
قال ابن عباس لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة الا جعل لها حدا اعلوما ثم عذر
اهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولا عذر احدا في تركه
الا مغلوبا على عقله وامره بذكره في الاحوال كلها فقال عز من قايل فاذكروا الله قياما
وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا اي بالليل والنهار
وفي البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر وفي الصحه والسقم والسر والعلانيه
وعلى كل حال قال مجاهد رضي الله عنه الذكر الكثير ان لا ينساه ابدا وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم اكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون فينبغي للعبد ان يستكثر منه
في كل حاله وليستغرق فيه جميع اوقاته ولا يغفل عنه وليس له ان يتركه لوجود غفلته
فيه فان تركه له وغفلته عنه اشد من غفلته فيه فعليه ان يذكر الله تعالى بلسانه
وان كان غافلا فيه فلعل ذكره مع وجود الغفله يرفعه الى الذكر مع وجود اليقظة
ولعل ذكره مع وجود اليقظه يرفعه الى الذكر مع وجود الحضور ولعل ذكره مع وجود
الحضور يرفعه الى الذكر مع وجود الغيبة عما سوى المذكور قال الله تعالى واذكر ربك
اذا نسيت اي اذا نسيت ما دون الله عند ذلك تكون ذاكرا لله تعالى وفي هذا
المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون العبد محوا في وجود العيان وفي هذا المعنى انشدوا

ما ان ذكرتك الا هم يقلقني | سرا وقلبي وروحي عند ذكراك
اما ترى الحق قد لاحت شواهده | وواصل الكل من معناه معناك
حتى كان رقيبا منك يهتف بي | اياك ويحك والتذكار اياك

وقال الواسطي رضي الله عنه يشير الى هذا المقام الذاكرون في ذكره اكثر غفلة من الناسين لذكره لان ذكره سواه قال ابو العباس ابن البنا رضي الله عنه في كلام ذكره على مقدمة كتاب ابي العز تقي الدين المظفر الشافعي وهو كتاب الاسرار العقليه في الكلمات النبويه ورايت هذا الكلام بخطه رحمه الله ومن احسن الذكر ما هاج عن خاطر وارد من المذكور جل ذكره وهذا هو الذكر الخفي عند المتصوفه على الاستهتار والتمكن في الاسرار واما قولهم حتى يتمكن الذاكر الى حاله يستغرق عن الذكر فليس ذلك تمكن حلول ولا اتحاد بل حكمه وقدره من عزيز عليم وبيان غور ذلك ان يكون القلب عند الذكر في الذكر فارغا من الكل فلا يبقى فيه غير الله جل ذكره فيصير القلب بيت الحق ومحلى منه فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبير وحينيذ يكون الحق المبين لسانه الذي ينطق به فان بطش هذا الذاكر كان يده التي يبطش بها وان سمع كان سمعه الذي يسمع به وذلك استولى المذكور العلي على الفواد فامتلكه وعلى الجوارح فصرفها فيما يرضيه وعلى الصفات من هذا العبد فقلبها كيف يشا في مرضاته فكذلك يخرج الذكر من غير تكليف وتنبعث الاعمال بالطاعات نشاطا ولذة من غير كلال ذلك فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقد وصف الله تعالى قلب ام موسى عليه السلام بمعنى ذلك في قوله الحق واصبح فواد ام موسى فارغا اي فارغا من كل شي الا من ذكر موسى ان كادت ان تبدي به من غير قصد منها لذكره ولا تدبير بل كان تركها التصريح بذكره صبرا بما ربط الله على قلبها لتكون من المومنين بما اوحى اليها من قبل في شان موسى وبانه من المرسلين وبذلك يندفع الاشكال الذي ذكره ابو العز ووصفه بالعظم وهو اجتماع الضدين في بادي الراي هما الذكر والغفله عن الذكر وهذه المعاملات والمواقف لا يعرف حقايقها الا اهلها لكون وجدانا والعلما ايمانا وتصديقا فاياك والتكذيب بايات الله فتكون من اهل البله في الظلمات ولما كان المذكور لا يجوز عليه وصف الفقد والعدم ولا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان ولا يشتمل عليه زمان ولا يجوز عليه الغفلة بوجه ولا يتصف بحوادث المحدثين ولا تجري عليه احكام المخلوقين فهو الذاكر لنفسه من نفسه من حيث الايجاد له والعلم به والمشية فيه والقدرة والتدبير له والقيام عليه وهو خلق الخليقه ولا تلحقه اوصافها واوجد الاعداد فلا تحصره معانيها سبحانه وهو العلي الكبير انتهى كلام الشيخ ابو العباس رحمه الله في معنى المقام الثالث من مقام الذكر

١٤ وهو في

وهو في غاية الحسن والتحقيق مشيرا الى توحيد الخواص من اهل هذا الطريق فلا ينبغي ان يستبعد العبد الوصول الى هذا المقام الكريم فليس ذلك على الله بعزيز وعلى الفتاح العليم وعلى العبد القيام بحق الاسباب ومن الله تعالى رفع الحجاب وقال بعض العارفين من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فات من الموافقات وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات لان القلب اذا كان حيا بالايمان حزن على ما فاته من الطاعات وندم على فعله من الزلات ومقتضى هذا وجود الفرح بما يشتغل فيه من الطاعات ويوفقه له من اجتناب المعاصي والسيات وقد جاء في الخبر من سرته حسنته وساته سيته فهو مومن فان لم يكن العبد بهذا الوصف وعدم الحزن على ما فاته والندم فهو على ما اتاه فهو ميت القلب وانما كان ذلك من قبل ان اعمال العبد الحسنة والسيه علامتان على وجود رضا الله تعالى على العبد وسخطه عليه فاذا وفق الله تعالى عبده للصالحات سره ذلك لانه علامة على رضاه عنه وغلب حينيذ رجاوه واذا خذله ولم يعصمه عمل بالمعاصي ساه ذلك واحزنه لانه علامة سخطه عليه وغلب حينيذ خوفه والرجا يبعث على الاجتهاد في الطاعات وليس من مقتضاه تركها وعدم الحزن على ما فاته منها امنا واغترارا والخوف يبعث على المبالغه في اجتناب المعاصي والسيات وليس من مقتضاه فعلها وترك الندم عليها اياسا وقنوطا وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه ات فلما حاذانا وقد اجاعتنا اناخ راحلته ثم مشى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اوضعت راحلتي من مسيرة تسع فسيرتها اليك ستا واسهرت ليلي واظمات نهاري وانضيت راحلتي لاسلك عن اثنتين اسهرتاني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من انت قال انا زيد الخيل قال بل انت زيد الخير سل فرب معضلة قد سيل عنها قال جيت ان اسالك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بخ بخ كيف اصبحت يا زيد قال اصبحت احب الخير واهله واحب ان يعمل به واذا عملت عملا قل او كثر ايقنت ثوابه واذا فاتني حننت اليه قال هي بعينها يا زيد ولو اراد الله للاخرى هياك لها ثم لا يبالي في اي واد هلكت قال زيد حسبي حسبي ثم ارتحل ولم يلبث لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه عظمة الذنب عند مرتكبه على وجهين احدها ان يعظم عنده عظمة تحمله على التوبة منه والاقلاع عنه وصدق العزم على ان لا يعود الى مثله فهذه عظمة محموده وهي من علامة ايمان العبد كما قلناه قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان المومن يرى ذنوبه

كانه في اصل جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يري ذنبه كذباب وقع على
انفه فقال به هكذا انا طاره ونقول لان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله
ولان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله تعالى والثاني ان يعظم عنده عظمة
توقعه في الياس والقنوط وتوديه الي سوء الظن بالله تعالى فهذه عظمة مذمومة
قادحة في الايمان وهي شر عليه من ذنوبه وسبب ذلك وجود جهله بصفات
مولاه المحسن الجواد الكريم ووقوفه مع نفسه وقياسه بعقله وحدسه
ولو كان عارفا بالله تعالى حق المعرفة لاستحقر ذنوبه في جنب كرمه وفضله
فاي قدر للعبد وقيمة حتى يقع في ذنبه لا يسعه عفو ربه ويكبر عليه ان يغفر
له قال في التنوير واعلم انه لابد في مملكته من عاد هو نصيب الحلم ومحل ظهور
الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وانهم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون حتى يستغفروا الله
تعالى فيغفر لهم وقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وجاء
رجل الي الشيخ ابو الحسن فقال يا سيدي كان البارحة بجوارنا من المنكرات
كيت وكيت وظهر من ذلك الرجل استغراب ان يكون هذا فقال يا هذا كانك
تريد ان لا يعصي الله في مملكته من احب ان لا يعصي الله في مملكته فقد احب
ان لا يظهر مغفرته وان لا يكون شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم من مذنب
كثرت اسائته وذلت بمخالفته اوجبت له الرحمة من ربه فكن له راحما وبقدر ايمانه
وان عصى عالما انتهى فلا ينبغي للعبد ان يستعظم ذنبه استعظاما يوديه
الي ان يلقي بيده ايا سا من روحه وقنوطا من رحمته ويسوظن به بل عليه ان
يتوب الي ربه منه ويرجع اليه عنه ويعلم حكمة الله في تسليطه عليه وتخليته
بينه وبينه وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الذنب خير للمومن
من العجب ما خلا الله تعالى بين مومن وبين ذنب ابدا تنبيه لهذا على
ان الذنب مانع من وجود العجب الذي هو اعظم حجاب بين العبد وبين مولاه
لان صاحبه ناظر الي نفسه لا الى ذنبه مستعظم لطاعته وعبادته ملاحظ لذلك
وساكن اليه بخلاف المذنب لانه يوجب له الخوف والحذر واللجا الي الله تعالى

والفزار اليه

والفزار اليه عن نفسه والعجب يصرف العبد عن الله تعالى والذنب يصرفه
اليه والعجب يقبل به على نفسه والذنب يقبل به على ربه والعجب يوديه الى الاستغنا
والذنب يوديه الى الافتقار واحب اوصاف العبد الى الله تعالى افتقاره اليه
واشرف احوال المومن ما يرده اليه ويقبل به عليه لا صغيرة اذا قابلك عدله
ولا كبيرة اذا واجهك فضله اذا ظهرت اوصاف العليه بطلت اعمال العاملين
فاذا ظهرت صفة العدل على من ابغضه ومقته بطلت حسناته
وعادت صغايره كباير واذا ظهر وصف الفضل لمن احبه اضمحلت سيئاته
ورجعت كبايره صغاير قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه ان وضع عليهم عدله لم يبق لهم
حسنة وان انالهم فضله لم يبق لهم سيئة ومن دعائه رضي الله عنه الهي ان
احببتني غفرت سيئاتي وان مقتني لم تقبل حسناتي وما احسن قول سيدي
ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في دعايه ومناجاته واجعل سيئاتنا سيئات
من احببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من ابغضت فالاحسان
لا ينفع مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب منك وسياتي من مناجات
المولف رحمه الله تعالى في مثل هذا المعنى قوله الهي كم من طاعة بنيتها وحالة
شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل اقالني منها فضلك لا عمل ارجى للقبول
من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده في النسخ الموجودة بايدينا
لا عمل ارجى للقلوب ومعناه على هذا الوجه ان العمل الموصوف بهذه الصفة
لا يلتفت اليه القلب ولا يعتني في عدم التفاته واعتباره صلاحه وتجريده
من زور ترتيبه ومن رؤيته فيبقى حينئذ مع ربه لا مع عمله ويكون
ذلك على حذف مضاف تقديره لا عمل ارجى لصلاح القلوب وما في معناه
وسياتي للمولف ما يناسب هذا المعنى وهو قوله قطع السايرين له والواصلين
اليه عن رؤية اعمالهم وشهود احوالهم الي اخره والغالب على الظن ان الذي
قصده المولف وذكره انما هو لفظ القبول فغلط الناسخ [illegible]
ولا يحتاج في هذا الى حذف وتقريره على هذا الوجه ان [illegible]
من الافات تشترط في قبوله لان صاحبه متق لله تعالى وقد قال
قايل انما يتقبل الله من المتقين وانما يسلم العمل من الافات وهي [illegible] النفس
في القيام بحقه ورؤية تقصيره فيه فيغيب عنه لذلك شهوده ويحتقر
عنده وجوده فلا يساكنه ولا يعتمد عليه وان لم يكن بهذا الوصف
بل كان ناظرا اليه ومستعظما له غايبا عن شهودية الله تعالى عليه في

توفيقه له اوتبعه ذلك العجب فحبط لذلك عمله وخاب سعيه قال ابو سليمان
الداراني رضي الله عنه ما استحسنت من نفسي عملا فاحتسبته وقال علي بن
الحسين رضي الله عنه كل شي من افعالك اذا اتصلت به رويتك فذلك دليل انه لم يقبل
منك لان المقبول مرفوع مغيب عنك وما انقطعت عنه رويتك فذلك دليل على القبول
وقد سيل بعض العارفين ما علامة قبول العمل قال نسيانك اياه وانقطاع نظرك
عنه بالكلية بدلالة قوله تعالى يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
فالعلامة رفع الحق تعالى ذلك العمل انه لا يبقى عندك منه شي فانه اذا بقي في
نظرك منه شي لم يرتفع اليه لبينونة بين عنديتك وعنديته فينبغي للعبد
اذا عمل عملا ان يكون عنده نسيا منسيا بما ذكرناه من اتهام النفس ورويه
التقصير حتى يحصل اليه قبوله انما اورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا الوارد
عبارة عما يرد على القلب من المعارف الربانية واللطايف الروحانية ليطهره بذلك
ويزكيه حتى يصلح بذلك للورود عليه والدخول الى حضرته لان الحضرة منزهة عن
كل قلب متكدر بالاثار متلوث باقذار الاغيار فاذا انما اورد عليك لتكون به
عليه واردا اورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الاغيار ويحررك من رق الاثار
الاثار والاغيار غاصبة ومسترقة لك وذلك لوجود حبك لها وسكونك اليها واعتمادك
عليها فاذا اورد عليك الوارد ليتسلمك من يدي غاصبك ويحررك عن ملكية
من استرقك والاشارة الى هذا المعنى بما ضرب الله تعالى من المثل للكفار في قوله
تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل هل يستويان
مثلا فمن تسلم من يد الاغيار وتحرر من رق الاثار لا يكون لمخلوق فيه نصيب ولا
شركة وكان سالما لله عز وجل اورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك
الى فضا شهودك سجن وجوده هو شهوده لنفسه ومراعاته لحظه وفضا
شهوده ان يغيب عن ذلك بشهود عظمة الله تعالى وجلاله ورويته قيام
حركاته وسكناته به قال ابو القاسم النصراباذي رضي الله عنه سجنك نفسك اذا
خرجت منها وقعت في راحة الابد وسياتي من كلام المولف في معنى قوله سجن
وجود الكاين في ... لم يفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور
في هيكل ذاته الانوار مطايا القلوب والاسرار انوار الايمان واليقين
مطايا حاملة لاسرار القلوب الى حضرة علام الغيوب وتلك هي الواردات
المذكورات النور جند القلب كما ان الظلمة جند النفس فاذا اراد الله ان
ينصر عبده امده بجنود الانوار وقطع عنه مدد الظلم والاغيار نور التوحيد

واليقين

واليقين وظلمة الشرك والشك جندان للقلب والنفس والحرب بينهما سجال
فاذا اراد الله تعالى نصر عبده امد قلبه بجنوده وقطع عن نفسه
مدد جنودها واذا اراد خذلان عبده فعل بالعكس فاذا قال القلب العمل بامر محمود ولم
في الحال الملتذ به في المال ... تنازعا وتقاتلا فسارع النور الذي هو من امر الله ورحمته
الى نصرة القلب وبادرت الظلمة التي هي من وسواس الشيطان ولمته الى نصرة النفس
وقام صف القتال بينهما فان سبقت للعبد من الله تعالى سابقة سعادة اهتدى
القلب بنور الله تعالى واستهان بالعاجلة ورغب في الاجلة وعمل القلب بما مال
اليه وان المه في الحال لما يرجوه في المال وان سبقت له من الله تعالى الشقاوة
والعياذ بالله ذهل القلب عن النور واعمته الظلمة عن منفعة الاجل واغتر بلذة
العاجل وعمل بما مالت اليه النفس وان المه في المال لما يحصل فيها من لذة الحال وعند
التقاء الصفين والتحام القتال بين الجندين لا سبيل للعبد الا فزعه الى الله تعالى
ولياذه به وكثرة ذكره له وصدق توكله عليه واستعاذته به من الشيطان الرجيم
وهذه العبارات الخمسة من قوله انما اورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا الى هنا
تفنن فيها صاحب الكتاب وكررها بالفاظ مختلفة والمعاني فيها متقاربة وهذه
عادته في مواضع كثيرة من هذا الكتاب رضي الله عنه النور له الكشف
والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال والادبار هذه الالفاظ مختلفة لمعان متغايرة
فالنور يفيد كشف المعاني المغيبات حتى تتضح وتشاهد والبصيرة التي هي
ناظر القلب تفيد الحكم وهو صحة ما شاهدته والقلب له الاقبال على مقتضى ما
شاهدته البصيرة وله ايضا الادبار وترك العمل بمقتضى ما شاهدته البصيرة لا تفرحك
الطاعة لانها برزت منك وافرح بها لانها برزت من الله اليك قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون الفرح بالطاعات على وجهين فرح
بها من حيث شهودها من الله تعالى نعمة منه وفضلا فهذا هو الفرح المحمود
وهو الذي طلب من العبد وذلك مقتضي شكرها وفرح بها من حيث ظهورها من العبد
باختياره وارادته وحوله وقوته فهذا فرح مذموم منهي عنه وهو كفران النعمة
وهو العجب المحبط للعمل فالفرح بها على هذا الوجه فرح بلا شي وسياتي في اخر الكتاب
انواع الفرح بالنعم وما يحمد منها وما يذم تامة مستوفاة قطع السايرين له والواصلين اليه
عن روية اعمالهم وشهود احوالهم اما السايرون فلانهم لم يتحققوا الصدق مع الله
فيها واما الواصلون فلانه غيبهم بشهوده عنها لقد اسبغ الله تعالى نعمته

على الغير بقي حين فعل بهم ذلك لانه ابقاهم معه ولم يدعهم لسواه قالوا ملون نعل ذلك بهم طوعا منهم والسالكون فعل ذلك بهم كرها والله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها قالوا صلون قطعهم عن ذلك شهودهم له في حضرة قربه ومن شاهده لم يشهد معهم غيره اذ محال ان يراه ويشهد معه سواه والسالكون قطعهم عن ذلك عدم تحققهم بالصدق والبراة من الدعوي فلهم ابدا متهمون لانفسهم في توفيقه اعمالهم وتصفية احوالهم قال النهرجوري رضي الله عنه من علامة من تولاه الله في احواله ان يشهد التقصير في اخلاصه والغفلة في اذكاره والنقصان في صدقه والفتور في مجاهداته وقلة المراعاة في فقره فيكون جميع احواله عنده غير مرضيه ويزداد فقرا الى الله في قصده ومسيره حتى يغني عن كل ما دونه وقال ابو عمر اسماعيل بن نجيد رضي الله عنه لا تصفو لاحد قدم في العبودية حتى تكون افعاله عنده كلها ريا واحواله كلها عنده دعاوي وقال ابو يزيد رضي الله عنه لو صفت لي تهليلة ما باليت بعدها بشي واليه اذين المقامين تشير الحكايه التي تروي عن الواسطي وذلك انه لما دخل نيسابور سال اصحاب ابي عثمان رضي الله عنه بماذا كان يامركم شيخكم فقالوا كان يامرنا بالتزام الطاعات ورويه التقصير فيها فقال امركم بالمجوسية المحضة هلا امركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشيها قال الاستاذ ابو القاسم القشيري رضي الله عنه وانما اراد الواسطي بهذا صيانتهم عن محل الاعجاب لا تعريجا في اوطان التقصير او تجويز الاخلال بادب من الاداب قال ما بسقت اغصان ذل الا على بذر طمع البسوق الطول يقال بسقت النخلة بسوقا اذا طالت قال الله تعالى والنخل باسقات والاغصان جمع غصن وهو ما تشعب عن سوق الشجر ويجمع ايضا على غصون والبذر الحب الذي يزرع وهذه كلها استعارات مليحه والطمع من اعظم افات النفوس وعيوبها القادحه في عبوديتها بل هو اصل جميع الافات لانه محض تعلق بالناس والتجا اليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم وفي ذلك من المذله والمهانه

ما الامر بد عليه

ما الامر بد ولابد للمومن ان يبذل نفسه والطمع مضاد لحقيقة الايمان الذي يقتضي وجود العزة والعزة التي اتصف بها المومنون انما يكون برفع همتهم الى مولاهم وطمانينة قلوبهم اليه وثقتهم به دون من سواه فهذه هي العزة التي منحها الله عبده المومن قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمومنين وكما ان العزة من صفات المومنين كذلك الذلة من اخلاق الكافرين والمنافقين قال الله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين وقال ابو بكر الوراق الحكيم لو قيل للطمع من ابوك لقال الشك في المقدور ولو قيل ما حرفتك لقال اكتساب الذل ولو قيل ما غايتك لقال الحرمان وقال الحسين الوراق النيسابوري رضي الله عنه من اشعر نفسه محبة شي من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ومن طمع في شي ذل عنده وهلك وقد قيل اتطمع في ليلى وتعلم انما تقطع اعناق الرجال المطامع قالطامع لا محالة فاسد الدين مفلس من انوار اليقين قال في التنوير وتفقد وجود الورع من نفسك اكثر مما تتفقد ما سواه وتطهر من الطمع في الخلق فلو تطهر الطامع فيهم بسبعة ابحر ما طهره الا الياس منهم ورفع الهمة عنهم قال وقدم علي بن ابي طالب رضي الله عنه البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فاقامهم حتى جا الى الحسن البصري فقال يا فتى اني اسالك عن امر فان اجبتني عنه ابقيتك والا اقمتك كما اقمت اصحابك وكان قد راى عليه سمتا وهديا فقال الحسن رضي الله عنه سل عما شئت فقال ما ملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك يتكلم على الناس قال وسمعت شيخنا يقول كنت في ابتدا امري بثغر الاسكندرية فجيت الى بعض من يعرفني فاشتريت منه حاجة بنصف درهم ثم قلت في نفسي فلعله لا ياخذه مني فهتف بي هاتف السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين قال وسمعته يقول صاحب الطمع لا يشبع ابدا الا ترى ان حروفه كلها مجوفة الطا والميم والعين ثم قال بعد هذا فعليك ايها المريد برفع همتك عن الخلق ولا انزلتهم فقد سبقت قسمته وجودك وتقدم ثبوته ظهورك واسمع ما قال بعض المشايخ ايها الرجل ما قدر لماضغيك ان يمضغاه فلا بد ان يمضغاه فكله ويحك بعز ولا تاكله بذل قلت تقدم الان من كلامه في التنوير ذكر الورع

في مقابلة الطمع وكذلك في جواب الحسن بن علي رضي الله عنهما لما ساله مخبر
له عن صلاح الدين وفساده في الكلام للناس الذي حكاه عنهما ولا اشكل ان
الورع الظاهر لعامة المسلمين وهو ترك المشتبهات والتحرج من اقتحام
المشكلات لا يقابل الطمع كل المقابلة وقد ذكرنا الطمع ما هو وانما يقابله ورع
الخاصة وهو عندهم صحة الدين اليقيني وكمال التعلق برب العالمين ووجود السكون
اليه وعكوف الهمم اليه وطمانينة القلب به ولا يكون له ركون الى غيره ولا انتساب
الى الخلق ولا ركون فهذا هو الورع الذي يقابل الطمع المفسد وبه يصلح كل عمل
مقرب وحال مسعد كما نبه عليه الحسين رضي الله عنه في جوابه المذكور قال
يحيى بن معاذ رضي الله عنه الورع على وجهين ورع في الظاهر لا يتحرك الا لله
وورع في الباطن وهو ان لا يدخل قلبك الا الله ذكر ان بعضهم كان حريصا على ان
يرى احدا من هذه صفاته فجعل يجتهد في طلبه ويحتال على التوصل اليه بان
ياخذ الشي بعد الشي من ماله ويقصد به الفقرا والمساكين ويقول لمن يعطيه
منهم حين المناولة خذ هذا لك فكانوا ياخذون ولا يسمع من احد منهم جوابا مطابقا
لما اراده بكلامه الى ان ظفر ذات يوم ببغيته وحصل على مقصوده ومنيته
وذلك انه قال لاحدهم خذ هذا لك فقال له اخذه منك فان كان للعبد استشراف
الى خلق او سبقية نظر اليهم قبل مجي الرزق او بعده فمقتضى هذا الورع والواجب
في حق الادب ان لا يقبل نفسه شيئا مما تاتيه على هذه الحالة عقوبة لنفسه
في نظره الى ابنا جنسه كقضية ايوب الجمال مع احمد بن حنبل وهي معروفة
وكما روي عن الشيخ ابي مدين رضي الله عنه انه اتاه جمال بقمح فنازعته نفسه
وقالت له ما ترى من اين هذا فقال لها اين اعرف من اين هو يا عدوة
الله وامر بعض صحابه ان يدفعه لبعض الفقرا عقوبة لها لكونها رايت
الخلق قبل رؤية الحق تعالى وقد قيل اكل الحلال ما لم يخطر لك على بال ولا سالت
فيه احدا من النسا والرجال وقد صرح بهذا المعنى الذي ذكرناه واوضح الورع
الذي قصدناه شيخ الطريقة وامام اهل الحقيقة من المتاخرين ابو محمد عبد
العزيز المهدوي رضي الله عنه فانه قال اعلم ان الورع ان لا يكون بينك وبين الخلق
نسبة في اخذ او عطا او قبول او رد وان يكون انتسابك لله تعالى وهو ان تاتي

اليه ظاهرا

اليه ظاهرا من جميع الاشيا والعلم والعمل كما قال تعالى ولقد جيتمونا فرادى كما
خلقناكم اول مرة وقال ايضا الورع ان لا يخطر الرزق ببالك ولا يكون بينك وبينه
نسبة لا في التحصيل ولا عند المباشرة لانه لا يدري ايا كله املا وقال ايضا الورع ان لا
يتحرك ولا يسكن الا ويرى الله في الحركة والسكون فاذا راى الله تعالى ذهبت
الحركة والسكون وبقي مع الله فالحركة ظرف لما فيها كما قال ما رايت شيا
الا رايت الله فيه فاذا راى الله ذهبت وقال ايضا اجمع العلما ان الحلال المطلق
ما اخذ من يد الله بسقوط الوسايط وهذا مقام التوكل ولهذا قال بعضهم الحلال
هو الذي لا ننسى الله فيه الى غير هذا من العبارات التي عبر بها في هذا المعنى
وقال بعض هذه الطايفة العبيد كلهم ياكلون ارزاقهم ثم يفترقون في المشاهدات
فمنهم من ياكل رزقه بذل ومنهم من ياكل رزقه بامتهان ومنهم من ياكل رزقه
بانتظار ومنهم من ياكل رزقه بعز بلا مهنة ولا انتظار ولا ذله فاما الذين
ياكلون ارزاقهم بذل فالسوال يشهدون ايدي الخلق فيذلون لهم واما
الذين ياكلون ارزاقهم بامتهان فالصناع ياكل احدهم رزقه بمهنة وكده واما
الذين ياكلون ارزاقهم بانتظار فالتجار ينتظر احدهم نفاق سلعته فهو متعذب
القلب مذبذب بانتظاره واما الذين ياكلون ارزاقهم بعز من غير مهنة ولا
انتظار ولا ذلة فالصوفية يشهدون العزيز فياخذون قسمتهم من يده
بعزه وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه ليس من الايمان اسباب انما
الاسباب في الاسلام قال الشيخ ابو طالب رضي الله عنه معناه ليس في حقيقة
الايمان رؤية الاسباب والسكون اليها انما رؤيتها والطمع في الخلق يوجد
في مقام الاسلام وقد عقد المولف رضي الله عنه في لطايف المنن
في هذا المعنى وجعله لجميع وظايف الاداب الدينية اصلا ومبنى
فقلنا نقله في هذا الموضع من صواب العمل المتكفل ان شا الله تعالى بنجاح الامل
قال رضي الله عنه واعلم ان رحمك الله تعالى ان ورع الخصوص لا يفقهه الا قليل
فان من جملة ورعهم تورعهم ان يسكنوا لغيره او يميلوا بالحب لغيره او تمتد
اطماعهم بالطمع لغير فضله وخيره ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع الوسايط
والاسباب وخلع الانداد والارباب ومن ورعهم ورعهم مع الوقوف مع العبادات
والاعتماد على الطاعات والسكون لانوار التجليات فمن ورعهم ورعهم عن ان
تفتنهم الدنيا او توقفهم الاخرة تورعوا عن الدنيا وفاوعن الوقوف مع الاخرة

صفا قال الشيخ عثمان بن عاشورا رضي الله عنه خرجت من بغداد
اربد الموصل فانا اسير واذا بالدنيا قد عرضت علي بعزها وجاهها ورفعتها
ومراكبها وملابسها وبزيناتها ومستشهياتها فاعرضت عنها فعرضت الجنة
بحورها وقصورها وانهارها وثمارها فلم اشتغل بها فقيل لي يا عثمان لو
وقفت مع الاولى لحجبناك عن الثانيه ولو وقفت مع الثانيه لحجبناك عنا فها
نحن لك وقسطك من الدارين ياتيك قال الشيخ عبد الرحمن المغربي وكان
مقيم بثغر الاسكندريه حججت سنة من السنين فلما قضيت الحج عزمت
على الرجوع الى الاسكندريه فاذا علي يقال لي انك العام القابل عندنا فقلت
في نفسي اذا كنت العام القابل هاهنا فلا اعود الى الاسكندريه فخطر
لي الذهاب الى اليمن فاتيت الى عدن فانا يوم على ساحلها واذا بالتجار قد
اخرجوا بضايعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا برجل على ساحلها واذا بالتجار
قد اخرجوا بضايعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا برجل قد فرش سجادته
على البحر ومشى على الما فقلت في نفسي لم اصلح للدنيا ولا للاخره فاذا علي
يقال من لا يصلح لا للدنيا ولا للاخره يصلح لنا وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله
عنه الورع نعم الطريق لمن كمل ميراثه واجل ثوابه فقد انتهى بهم الورع الى
الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحه
والبصيرة الفايقه فهم في عموم اوقاتهم وساير احوالهم لا يدبرون ولا يختارون
ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا يبطشون ولا يمشون ولا
يتحركون ولا ينطقون الا بالله ولله من حيث يعلمون فهم بهم العلم على
حقيقة الامر فهم مجموعون في عين الجمع لا يتفرقون فيما هو اعلى
ولا فيما هو ادنى واما ادنى الادنى فالله يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع
الحفظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو
محجوب بدنياه او مصروف بدعوى وميراثه التعزز على الخلق والاستكبار
على مثله والدالة على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله
من ذلك والاكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن
لم يزد بعمله وعلمه احتقارا لنفسه وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان
من قطع

من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصالحهم كما قطع كثيرا من المفسدين
بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله انه هو السميع العليم قال فانظر نهجك
الله سبيل اولياه ومن عليك بمتابعة احبابه هذا هو الورع الذي ذكره الشيخ رضي الله
عنه هل كان يصل فهمك الى مثل هذا النوع من الورع الاترى قوله فقد انتهى بهم الورع
الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة
الفايقه فهذا هو ورع الابدال والصديقين لا ورع المتنطعين الذين ينشا عن سوا
الظن وغلبة الوهم انتهى وانما اوردنا هذه المعاني هاهنا تتميما للفايدة المتعلقه
بكلام صاحب كتاب التنوير من كون الورع مقابلا للطمع وسياتي مزيد بيان فيها
في موضع انسب من هذا عند قوله لا تمدن يدك الى الاخذ من الخلايق الى اخره
ثم انظر فيه ما قادك شي مثل الوهم امر عدمي وهو ضد الحقيقه الوجوديه والنفس الاقته
انقيادها الى الصور الوهميه الباطله اشد من انقيادها الى الحقايق الثابته لوجود
المناسبه بينهما والطمع في الناس انقياد الى الاوهام الباطله لان الطمع تصديق
الظن الكاذب والطمع فيهم طمع في غير مطمع وارباب الحقايق بمعزل عن هذا فلا
تتعلق همتهم الا بالله ولا يتوكلون الا على الله ولا يثقون الا به قد سقط اعتبار الوهم
والخيالات التي هي متعلقة بالاغيار عن قلوبهم فزال عنهم الطمع واتصفوا بصفات
القناعه والورع فكانت لهم الحياة الطيبه والعيشة الراضيه والقناعه مقام
عظيم من مقامات اليقين وهي من بدايات احوال الراضين قال بعض العارفين
لا يكون العبد قانعا حتى لو جا الى باب منزله جميع ما يرغب فيه اهل الدنيا
من الاتساع والنعمه معروض عليه لم ينظر الى ذلك ولم يفتح له بابه قناعة منه بحاله
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في معنى قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة
قال هي القناعه انتهى انت حر مما انت عليه ايس وعبد لما انت له طامع الطمع
في الشي دليل على الحب له وفرط الاحتياج الى نيله وذلك عبودية له كما ان الياس
من الشي دليل على فراغ القلب منه وغناك عنه وذلك حرية منه فالطامع عبد
والايس حر ولهذا قيل العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع وقيل لولا الاطماع العادية
لما استعبد الاحرار بكل شي لم خطر له وقيل ان العقاب يطير في قفا عزه بحيث
لا يرتقي طرف المطاره ولا تسمو همته الى الوصول اليه فيرى قطعة لحم معلقة
على شبكة فينزله الطمع من مطاره فيتعلق بالشبكة جناحه فيصيره صيد لصبيه

وقيل ان فتحا الموصلي كان قاعدا فسيل عمن تابع الشهوات كيف هو فغمسه
وكان بقربه صبيان مع احدهما خبز بلا ادام ومع الاخر خبز مع كامخ فقال الذي لم يكن
معه كامخ لصاحبه اطعمني من الكامخ فقال بشرط ان تكون كلبي فقال صاحبه نعم فجعل
خيطا في فيه وجعل يجره كما يقاد الكلب فقال ~~تكون كلبي~~ انتج للسايل اما انه لو رضي
بخبزه ولم يطمع في كامخه لم يصر كلبا لصاحبه وحكي عن بعضهم انه دخل على تلميذ
فقدم التلميذ اليه خبزا اعفارا ولم يكن له ادام فاخذ يتمنى بقلبه ان لو كان ادام
يقدمه الي استاذه فقام الاستاذ وقال تعالى معي فحمله الي باب الحبس فرا الناس
يضرب واحدا ويقطع اخر ويعذب كل واحد انواع العذاب فقال الاستاذ للتلميذ
تري هولاء الذين لم يصبروا على الخبز القفار وقيل ان رجلا اخرج من السجن
وفي رجله قيد يسال الناس فقال الانسان اعطي كسرة فقال لو قنعت
بالكسرة لما وضع القيد في رجلك وراي رجلا من الحكما ياكل ما تساقط من البقل
على راس ماء فقال لو خدمت السلطان لم تحتج الي اكل هذا فقال الحليم وانت
لو قنعت بهذا لم تحتج الي خدمة السلطان وقد اردنا ان اذكرها هنا
حكاية مناسبة لما نحن فيه ليعرف بها كيف تكون الهمة السنيه والاداب
الرضيه في اخذ المبلغ من الدنيا والقناعه باليسير من الاشيا ورويه منة
الله تعالى في تيسير القليل والشكر له على ذلك قال بعضهم خرجنا من المدينه
حجاجا فلما كنا بالزاويه نزلنا فوقف بنا رجل عليه ثياب رثه وله منظر حسن
ومروة فقال من يبغي خادما من يبغي ساقيا فقلت دونك هذه القربه فاخذها
فانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى اقبل وقد امتلات ثيابه طينا واثوثت القربه
في كتفيه فوضعها وهو كالمكسور الضاحك ثم قال الكم غيرها قلنا لا واطعمناه
قرصا باردا فاخذه وحمد الله سبحانه وشكره كثيرا ثم اعتزل وقعد ياكله اكل جايع
فادركني عليه الشفقة فقمت له بطعام طيب كان معنا والترفق له منه فقلت
قد علمت انه لم يقع مثل القرص بموقع قد دونك هذا الطعام فنظر في وجهي
وتبسم وقال يا عبد الله انما هي فورة جوع فيما اتاني باي شي رددتها عني فرجعت
عنه فقال لي رجل الي جنبي اتعرفه فقلت لا قال انه رجل من بني هاشم
من ولد العباس

من ولد العباس بن عبد المطلب هو امير ولد سليمان بن ابي جعفر المنصور كان
يسكن البصرة فتاب فخرج منها ففقد فلم يعرف له اثر قال السفا فعجبني قوله ثم تجعبته
وانسته وقلت له يا فتى انا رجل من اخوانك وقد بلغني ما ...عكوا ...
بك فهل لك ان تعادلني فان معي فضلا من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو اردت
هذا المكان لي معدا ثم انس الي وجعل يحدثني فقال انا رجل من ولد العباس كنت
اسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وفخر وبذخ واني امرت خادما لي ان تحشو لي فراشا
من حرير ومخدة بورد نثير فبينما انا نايم اذا بقمع ورد قد اغفلته الخادم فقمت
اليها فاوجعتها ضربا ثم عدت الي مضجعي بعد اخراج القمع من المخده فاتاني ات
في منامي في صورة فضيعه فهزني وقال افق من غشيتك وابصر من حيرتك ثم
انشا يقول

يا خد انك توسد لينا … وسدت بعد الموت صم الجندل

فامهد لنفسك صالحا تسعد به … فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت فزعا فخرجت من ساعتي الي ربي هاربا فهذا خبره قال الراوي فلما قضي
حديثه هذا انحبس عني ويعني من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد
اليه بسلاسل الامتحان النفس الكريمه تقبل على الله تعالى بملاطفات احسانه
ومولاه نفضله وامتنانه والنفوس اللبيمه لا تنقاد الا بسلاسل الامتحان وتنوع المخاف
في الاموال والابدان والقيود بالسلاسل استعارة حسنة قال سيدي ابو مدين
سنته عز وجل استدعا العباد لعبادته بسعة الارزاق ودوام المعافات ليرجعوا
اليه بنعمته فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسرا والضرا لعلهم يرجعون لان مراده عز وجل رجوع
العبد اليه طوعا وكرها من لم يشكر النعم تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها
شكر النعم موجب لبقايها والزيادة منها وكفرانها وعدم شكرها موجب لزوالها
قال الله تعالى لين شكرتم لازيدنكم وقال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم اي اذا غيروا ما بهم من الطاعات فهو شكر النعم غير الله تعالى ما بهم
من الاحسان والكرم واجتمعت حكما العرب والعجم على هذه اللفظه فقالوا
الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وكان يقال النعم اذا رعيت
بالشكر فهي اطواق واذا رعيت بالكفر فهي اغلال والشكر على ثلاثه اوجه شكر
بالقلب وشكر باللسان وشكر بسابر الجوارح فشكر القلب ان يعلم ان النعم كلها
من الله تعالى قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وشكر اللسان الثنا

على الله تعالى وكثرة الحمد والمدح له ويدخل فيه التحدث بالنعم واظهارها
ونشرها قال الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وقال عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه تذاكروا النعم فان ذكرها شكر ومن شكر اللسان ايضا شكر الوسايط
بالثنا عليهم والدعا لهم وفي حديث النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من لا يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وعن
اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكر الناس لله اشكرهم للناس
وسياتي الكلام على هذا المعنى في اخر الكتاب ان شا الله تعالى عند كلام المولف عليه
وشكر ساير الجوارح ان يعمل بها العمل الصالح قال الله تعالى اعملوا ال داود شكرا فجعل
العمل شكرا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام حتى انتفخت قدماه فقيل له يا رسول الله
تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا وسال
رجل ابا حازم وقال له ما شكر العينين قال اذا رايت بهما خيرا اعلنته واذا رايت
بهما شرا سترته قال فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا وعيته واذا
سمعت بهما شرا دفنته قال فما شكر اليدين قال لا تاخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع
حقا هو لله فيهما قال فما شكر البطن قال ان يكون اسفله صبرا واعلاه علما قال فما
شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين قال فما شكر الرجلين قال ان رايت شيا غبطته استعملتهما
عمله وان رايت شيا مقته كففتهما عن عمله وانت شاكر لله تعالى فاما من شكر بلسانه
ولم يشكر بجميع اعضايه فمثله كمثل رجل له كسا فاخذه بطرفه ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك
من الحر والبرد والثلج والمطر واجمع العبادات للشكر قول من قال الشكر معرفة بالجنان وذكر
باللسان وعمل بالاركان والقدر اللازم من شكر النعم ما قاله الجنيد رضي الله عنه حين
ساله السري رضي الله عنه قال الجنيد كنت بين يدي السري وانا ابن سبع سنين
وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت ان لا يعصى الله بنعمه
فقال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك فلا ازال ابكي على هذه الكلمة خوفا من
من وجود احسانه اليك ودوام اساتك معه ان يكون ذلك استدراجا لك سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون الخوف من الاستدراج مع النعم من صفات المومنين وعدم الخوف
منه مع الدوام على الاساة من صفات الكافرين يقال من امارات الاستدراج ركوب
الاساة والاغترار بزمن المهلة وحمل تاخير العقوبة على استحقاق الوصلة وهذا

من المكر الخفي

من المكر الخفي قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون اي لا يشعرون بذلك
وهو ان يلقي في اوهامهم انهم على شي وليسوا كذلك فتستدرجهم في ذلك شيا فشيا
حتى ياخذهم بغتة كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به اشارة الى مخالفتهم وعصيانهم فتحنا
عليهم ابواب كل شي اي فتحنا عليهم اسباب العوافي وابواب الرفاهية حتى اذا فرحوا
بما اوتوا من الحظوظ الدنياوية ولم يشكروا عليها برجوعهم منها الينا اخذناهم بغتة اي
فجاة فاذا هم مبلسون اي ايسون فانطوون من الرحمة قال سهل بن عبد الله رضي الله
عنه في قوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها
فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم اخذوا وقال ابن عطا كلما احدثوا خطية جددنا لهم
نعمة ونسيناهم الاستغفار من تلك الخطية من جهل المريد ان يسي الادب فتوخر
العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سو ادب لقطع الامداد واوجب البعاد فقد تقطع
المدد عنه وهو من حيث لا يشعر ولو لم يكن الا منع المزيد وقد يقوم مقام البعد من حيث
لا يدري ولو لم يكن الا ان يخليك وما تريد هذا نوع من الاستدراج الذي تقدم ذكره وسو
ادب المريد موجب لعقوبته ولكن العقوبات مختلفة فمنها معجلة ومنها موجلة
ومنها جلية ومنها خفية فالعقوبة الجلية العقوبة بالعذاب والعقوبة الخفية
العقوبة بوجود الحجاب فالعقوبة بالعذاب لاهل الخطايا والذنوب والعقوبة
بالحجاب لاهل اساة الادب بين يدي علام الغيوب وقد تكون العقوبة الخفية
والموجلة اشد على المريد من العقوبة الجلية والمعجلة ومثال العقوبة الخفية
ما ذكره من قطع المدد عنه واقامته مقام البعد منه وهذا هو مبدا وقوع الحجاب الذي
ذكرناه فاذا ابتدا به المريد ولم يتداركه رحمة من الله تعالى في الحال العتيد كان ذلك موجبا
لسقوطه من عين الله تعالى ووقوع الحجاب على قلبه وتبدل الانس بالوحشة وانتساخ الضيا
بالظلمة ولم يمكنه بعد ذلك معاودة الحال الاول لانه اذ ذاك تنقطع عنه الامدادات
المتصلة والواردات المتحصلة فتنكسف عنه حينيذ شمس العرفان وتنسخ عنه
الكشوفات والبيان وهذه جنود الله تعالى في قلب العبد فاذا فقد النصر من الله تعالى
بذلك وقع الخذلان واستحوذ عليه الشيطان فانساه الذكر وحاق به سو المكر
ورجع الى متابعة هوا نفسه الامارة وخرج من دايرة الصفوة المختارة ونعوذ بالله
من سو المقدور وعدم التوفيق الى مراعاة اوايل الامور وما احتج به المريد لنفسه من
الكلام الذي ذكره المولف يقتضي توجه هذه العقوبة اليه قريبة لا زيادة لان قوله

لوكان هذا سوء ادب الى اخره دليل على رضاه بحاله واستحسانه لاعماله وهذا هو الموجب له عدم المزيد الذي اقتضاه قطع المدد عنه ولو كان المدد متواصلا اليه لازداد عند ما يفتح منه سوء الادب تواضعا لربه وافتقارا اليه وخوفا من مكره ولم يستحسن حال نفسه ولم يرضها قال سيدي ابو العباس كل سوء ادب يثمر لك ادبا فهو ادب وهو الذي اوجب له ايضا التخليه بينه وبين ما يريد الذي اقتضاه اقامته مقام العبد اذ لو كان مقاما في القرب لبعد عن روية نفسه وكان سنها لها في ارادتها وكان واقفا مع مراد الله به فان اقدم على امر بارادته وشهوته تداركه الله تعالى بالعصمة وعوق عليه ما يريده وسد عليه مسالكها ولم يخله وما اراد من ذلك وهذا من علامة التوفيق لانه دخول اعمال البر عليك من غير قصد منك اليها وصرف المعاصي عنك مع السعي فيها وفتح باب اللجا والافتقار الى الله تعالى في كل الاحوال والادب له موقع عظيم في التصوف وكذلك قال ابو حفص رضي الله عنه التصوف كله اداب لكل وقت ادب ولكل حال ادب ولكل مقام ادب فمن لزم ادب الاوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الاداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يظن القبول وقال ابو عبد الله بن خفيف قال لي رويم يا بني اجعل عملك ملحا وادبك دقيقا وقال بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا فما اساء احد الادب في الظاهر الا عوقب ظاهرا وما اساء احد الادب باطنا الا عوقب باطنا وقال ذا النون المصري رضي الله عنه من لم يتادب للوقت فوقته مقت وقال ابن المبارك رضي الله عنه نحن الى قليل من الادب احوج منا الى كثير من العلم وقيل لبعضهم يا سيء الادب فقال لست بسيء الادب فقيل له ومن ادبك قال الصوفية والاداب اللازمة للمريد عامة في ظاهره وباطنه واداب الظاهر تبع لاداب الباطن واداب الباطن هي التحلي بمحاسن الاخلاق كلها في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ادبني ربي فاحسن تاديبي ثم امرني بمكارم الاخلاق فقال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ولا يحصل لك ذلك بعد توفيق الله تعالى الا بالرياضة والمجاهدة قال ابن عطا رضي الله عنه النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مامور بملازمة الادب فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبه فمن اطلق عنانها فهو شريكها في فسادها وتختلف ما ذكرناه من المجاهدة والرياضة باختلاف الاشخاص فرب شخص ذكي الفطنة كريم السجية سهل المقادة فلا يحتاج في ذلك الى كبير معاناة ولا تعب ورب شخص يكون حاله على عكس هذا

ولاجرم

فلا جرم يحتاج الى زيادة تعب وقوة ممارسة وشدة مجاهدة لكدر فطرته ونقصان غريزته وبين هذين درجات لا تحصى ولهذا كله يحتاج المريد الى صحبة المشايخ والتادب بادابهم واتباع اوامرهم ونواهيهم لانه ان لم تجر افعاله على مراد غيره لا يصح له الانتقال عن الهوى ولو بلغ في الرياضة والمجاهدة كل مبلغ وذلك لكثافة حجاب نفسه وقيل سئل الدقاق رضي الله عنه بما ذا يقوم الرجل اعوجاجه فقال بالتادب بامام فمن لم يتادب بامام بقي بطالا فاذا دام العبد على ذلك تزكت نفسه وطهر قلبه وتهذبت اخلاقه وظهر على ظاهره انوار ذلك فيكون حركات ظاهره وباطنه مزمومة بزمام الاداب حتى تنتهي به الى المحافظة على تجنب امور غير مستنكرة في ظاهر العلم ويكون تركا محافظته عليها ذنبا من مثله وقد يعاتب عليه ويعاقب من اجله قال السري رضي الله عنه صليت وردي ليلة من الليالي ومددت رجلي في المحراب فنوديت يا سري هكذا تجالس الملوك فضممت رجلي ثم قلت وعزتك لا مددت رجلي ابدا قال الجنيد فبقي ستين سنه ما مد رجليه ليلا ولا نهارا وقال ابو القاسم القشيري رضي الله عنه كان الاستاذ ابو علي رضي الله عنه لا يستند الى شي فكان يوما في مجمع فاردت ان اضع وسادة خلف ظهره لاني رايته غير مستند فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت انه توقى الوسادة لانه لم يكن عليها خرقة او سجادة فقال لا اريد الاستناد فتاملت بعد ذلك فعلمت انه لا يستند الى شي ابدا وقال ابو القاسم الجنيد رضي الله عنه كنت جالسا في مسجد الشونيزيه انتظر جنازة اصلي عليها واهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة فرايت فقيرا عليه اثر النسك يسال الناس فقلت في نفسي لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان اجمل به فلما انصرفنا الى منزلي وكان لي شي من الورد بالليل من البكا والصلاة وغيره ثقل علي جميع اورادي فسهرت وانا قاعد فغلبتني عيني فرايت ذلك الفقير جاوا به على خوان ممدود وقالوا لي كل من لحمه فقد اغتبته وكشف لي عن الحال فقلت ما اغتبته انما قلت في نفسي شيا فقيل لي ما انت ممن يرضى منك بمثله اذهب واستحله فاصبحت ولم ازل اتردد حتى رايته في موضع يلتقط من الما ترداد الما اوراقا من البقل مما يتساقط من غسيل البقل فسلمت عليه فقال تعود يا ابا القاسم فقلت لا فقال غفر الله لنا ولك اه وغير ذلك من ادابهم رضي الله عنهم والظاهر ان مراد المولف رحمه الله باساءة الادب ما كان فيه نوع من الرعونة واظهار الدعوى واتصاف العبد بصفة الولي والتسلط والادلال في موقف الهيبة والحيا وما اشبه هذا مما يخاف على صاحبه وقوع الاستدراج والعقوبة ولكن ينبغي للمريد

ان لا يتهاون بشيء من الادب ولا يستحقرها فان التهاون بذلك والاستحقار له
من ثمرة الجهل وعدم المعرفة بالله تعالى بعد هذا انواع سوء الادب فان وقعت
منه اساءة ادب فليكن خايفا من ذلك مستعظما للامر فيه وليبادر الى التوبة
والاعتذار والتنصل منها خشية ان يتوجه اليه العقوبة من حيث لا يشعر
واكثر ما ينبغي ان يجتنبه المريد من مقتضيات هذه الجملة التي ظهر لنا انها
مراد المولف رحمه الله من انواع سوء الادب ان يوطن بخاطره على شيء من الحقوق
على الله تعالى وتعاطي التدبير معه والتبرم باحكامه المولمة له في نفسه او غيره
وان يصرح بلسانه بالشكوى الى الخلق والعيب بما يوافق هواه او نقص في
نظره بما ذكره الحق فان خطر بباله او جرى على لسانه شيء من ذلك فليبادر
الى الاستغفار منه والتنصل عنه وليعلم ان تشاغله بذلك من احسن الحسنات
وافضل القربات وذلك يدخله في مقامات الرضا ويوصله الى الغاية النعيم والعطا
كما ان توطينه عليه وتهاونه به من اعظم خطاياه واكبر ذنوبه ويوديه الى
تسخط الاقدار والوقوع في دركات النار نعوذ بالله من ذلك حكي عن بعض
الصوفية وله صغير لم يعرف له خبر ثلاثة ايام فقيل له لو سالت الله تعالى
ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي وقال بعض
بعض السادة اذنبت ذنبا فانا ابكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد
في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب قيل له وما هو قال قلت مرة لشيء
لينه كان وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان احب الي من
ان اقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه وقال بعضهم مرض الجنيد رضي الله عنه
فقال اللهم عافني فسمع هاتفا يقول لم تدخل بيني وبين ملكي ومن
مقتضياته ايضا ان يعلق بقلبه شيء من الاعتراض على المشايخ والاولياء وان
يترك تعظيمهم واحترامهم وان لا يقبل اشاراتهم فيما يشيرون به عليه فقد قالوا
عقوق الاستاذين لا توبة لها وقالوا ايضا من قال لاستاذه لم لا يفلح قال
ابو القاسم القشيري من صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض
عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة وان بقي من اهل السلوك فادام لم يصل الى مقصوده
فليعلم ان موجب حجبه واعتراضه خاطر قلبه على بعض شيوخه في بعض
اوقاته فان الشيوخ بمنزلة السفراء للمريدين قالوا وفي الخبر الشيخ في اهله
كالنبي في امته وكذلك من سوء ادبه تصدره للتعليم والهداية وتهذيبه
للامر والولاية ومحبته للاستتباع والرياسة وتربية الجاه والحشمة والقبول

بين الناس واستدعاؤه ان يكرم ويعظم ويتبرك به ويقبل ويسارع في قضا حوايجه
وذلك من اضرار الاشياء به وهو نتيجة استحسانه لما هو عليه وعدم تفقده لعيوبه
واتهام نفسه في كل حال من احواله وذلك مذموم منه قال ابو عثمان رضي الله
عنه لا يرى احد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه شيئا وانما يرى
عيوب نفسه من متهمها في جميع الاحوال وقال ابو عبد الله السجزي
رضي الله عنه من استحسن شيئا من احواله في حال ارادته فسدت
عليه ارادته الا ان يرجع الى ابتدايه فيروض نفسه ثانيا وقال ابو عبد الرحمن
السلمي رضي الله عنه سمعت جدي يقول آفة المريد رضاه عن نفسه بما هو
فيه بان استشعر المريد من نفسه شيئا مما ذكرناه فليبادر الى قطع مواده
واستيصال عروقه من قبل ان يستحكم ذلك عنه ويرسخ فيه فان الامور هي
التي ينبغي ان تراعى كثيرا ومن انواع سوء الادب المريد المقتضي العطية نزوله
عن مقتضيات الحقيقة الى الرخص الشرعية ولهذا قالوا اذا رايت المريد انحط
عن رتبة الحقيقة الى الرخصة الشرعية فاعلم انه قد نقض عهده مع الله تعالى
وفسخ عقده بينه وبين الله وقال ابن خفيف رضي الله عنه الارادة استدامة
الكد وترك الراحة وليس شيء اضر على المريد من مسامحة النفس في قبول
الرخص والتاويلات وقال يوسف بن الحسين رضي الله عنه اذا رايت المريد
يشتغل بالرخص فاعلم انه لا يجيء منه شيء وقال ابو اسحاق ابراهيم بن شيبان
من اراد ان يتعطل ويتبطل فليلزم الرخص ويعني بالرخص ها هنا ما كان مفاد
الحال المريد من تناول الشهوات واللذات والميل الى الملاطفات والمعتادات والركون
الى الدعة والرفاهة وارتكاب الشبهات والتاويلات فان حال المريد يقتضي مباينته
لهذا كله وان كان بعض ذلك مباحا في رخصة الشرع لعامة الناس كالت ابراهيم
الخواص رضي الله عنه يقول ان هذه الشهوات التي اظلمت قلوب المتعبدين
بعد صفا نورها وفترت ابدانهم بعد اجتهادها وحجبت قلوبهم بعد قربها
واطالت امالهم بعد قصرها وانسوا بالمخلوقين بعد الهرب منهم وتوطوا الفراش
بعد الترك لها فسقتهم الدنيا بكاس سمها فنظروا الى ظاهرها بعد ما كانت فناموا
بعد السهر وشبعوا بعد الجوع واكتسوا بعد العري وقال ابو سليمان الداراني
رضي الله عنه اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام اني انما خلقت الشهوات
لضعفا خلقي فاياك ان تعلق قلبك منها بشيء فايسر ما اعاقبك به ان انسخ
حلاوة حبي من قلبك وفي اخبار داود عليه السلام ايضا يا داود تمسك

بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها ما تحب محبتي عنك
اقطع شهواتك لي فانما ابحث الشهوات بضعفة خلقي ما الاقويا لن
يبالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي فاني لم ارض الدنيا لحبيبي
وتزهته عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما سكرانا بحبها يحجبك بسكره
عن محبتي اوليك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات
بادمان الصوم يا داود تحبب الي بعداوة نفسك امنعها الشهوات انظر اليك
وترى الحجب بيني وبينك مرفوعه وقال ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه لن ينال الرجل
درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات اولها يغلق باب النعمه ويفتح باب الشده
والثاني ان يغلق باب العز ويفتح باب الذل الثالث ان يغلق باب الراحه ويفتح باب
الجهد والرابع ان يغلق باب النوم ويفتح باب السهر والخامس ان يغلق
باب الغنا ويفتح باب الفقر والسادس ان يغلق باب الامل ويفتح باب الاستعداد
للموت وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه كنت في جبل اللكام فرايت رمانا فا
شتهيته فدنوت منه فاخذت واحده فشققتها فوجدتها حامضه
فمضيت وتركت الرمان فرايت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير
فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتني فقال من
عرف الله تعالى لا يخفى عليه شي فقلت ارى لك حالا مع الله تعالى فلو سالته ان
يحميك ويقيك من هذه الزنابير فقال وارى لك حالا مع الله تعالى فلو سالته
ان يقيك شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان المه في الاخره ولدغ
الزنابير يجد المه في الدنيا وقال السري رضي الله عنه ان نفسي تطالبني منذ
ثلاثين سنة او اربعين سنة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها فلما
كان ترك الشهوات والتنعمات من شان المريد ومن مقتضى حاله لزمه الوفا به
وكان عمله على خلافه نقضا وفسخا كما تقدم قال جعفر بن نصير رفع الي الجنيد
درهما وقال اشتري به التين الوزيري فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة ووضعها
في فيه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف في قلبي هاتف اما
تستحي شهوة تركتها من اجلي ثم تعود اليها وعن شقيق بن ابراهيم رضي الله
عنهما قال لقيت ابراهيم بن ادهم بمكة في سوق الليل عند مولد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو جالس ناحيه من الطريق يبكي فعدلت اليه وجلست عنده وقلت له
اي شي هذا البكا يا ابا اسحاق فقال خير فعاودته مره واثنتين وثلاثا فلما

اكثرت عليه

اكثرت عليه قال يا شقيق استر علي فقلت يا اخي قل ما شئت فقال
اشتهت نفسي سكباجا فمنعتها جهدي فلما كان البارحة كنت جالسا
وقد غلبني النعاس فاذا انا بفتى شاب بيده قدح اخضر يعلوا منه بخار ورايحة
سكباج قال فاجتمعت بهمتي عليه فقربه مني وقال يا ابراهيم كل فقلت
ما اكل شيا قد تركته لله تعالى فقال لي اذا اطعمك الله فكل فما كان لي جواب
الا ان بكيت فقال لي يرحمك الله كل فقال ابراهيم فقلت له قد امرنا ان لا
نطرح في وعاينا الا من حيث نعلم فقال لي كل يرحمك الله فانما اعطيته
وقيل لي يا خضر اذهب بهذا واطعم نفس ابراهيم بن ادهم فقد رحمها الله من طول
صبرها على ما يحملها من منعها اعلم يا ابراهيم اني سمعت الملايكه تقول
من اعطي فلم ياخذ طلب فلم يعط فقلت ان كان كذلك فها انا بين يديك
لا احل العقد مع الله تعالى ثم التفت فاذا انا بفتى اخر ناوله شيا وقال يا خضر
لقمه انت فلم يزل يلقمني حتى نعست فانتبهت وحلاوته في فمي قال شقيق
رضي الله عنه فقلت ارني كفك فاخذت كفه بكفي فقبلتها وقلت يا من يطعم
الجياع الشهوات اذا صحوا المنع يا من يقدح في الضمير اليقين يا من
شفا قلوبهم من محبته اترى لشقيق عندك حالا ثم رفعت يد ابراهيم الى السما
فقلت بقدر هذا الكف وبقدر صاحبها وبالجود الذي وجد منك جد على عبدك
الفقير بفضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق ذلك قال فقام ابراهيم رضي الله
عنه ومشى حتى دخل المسجد الحرام وقال عقبه الغلام لعبد الواحد بن زيد ان
فلانا يصف من قلبه منزلة ما اعرفها فقال لا تكل اكل بخبز تمرا وهو لا
يزيد على الخبز شيا فقال ان تركت اكل التمر عرفت تلك المنزله فاخذ وغيرها فاخذ
يبكي فقال له بعض اصحابه ابكى الله عينك اكل التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فان
نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك هو اذا ترك شيا لم يعاوده ابدا وقال
احمد بن الحواري رضي الله عنهما اشتهى ابو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجيت
اليه به فعض عليه عضة ثم طرح الرغيف وقال عجلت الي بشهوتي بعدما اطلت جهدي
وشهوتي قد عزمت على التوبه فاقلني قال احمد فما رايته اكل الملح حتى لقي الله تعالى
وقال ابو بكر بن الجلا رضي الله عنه اعرف انسانا تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة
ايام واطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيتها فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة ايام
ولكن اتركي هذه الشهوه وقال ابو سليمان رضي الله عنه ترك شهوة من
شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها قال ابو حامد الغزالي
رضي الله عنه وقد اشتد خوف السلف رضي الله عنهم من تناول الدرايد الاطعمه

وتمون النفس عليها وقالوا ان ذلك علامة الشقاوة وراوا ان منع الله منه
غاية السعادة حتى روي عن وهب بن منبه قال التقى ملكان في السما الرابعة فقال
احدهما للاخر من اين فقال امرت ان اسوق حوتا من البحر اشتهاه فلان
اليهودي وقال الاخر امرت باهراق زيت اشتراه فلان العابد قال وهذا تنبيه
على ان تيسير الشهوات ليس من علامات الخير قال ابو حامد رضي الله عنه
والامر المهم في المجاهده الوفا بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسر اسباب
ذلك ويكون ذلك من الله تعالى ابتلا واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر فانه
ان عود نفسه بكسر العزم الفت ذلك فسدت واذا اتفق كسر عزم فينبغي ان
يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس من كتاب المراقبه فاذا
لم تخف النفس عقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوه وتفسد به الرياضة
عليه بالكلية وهذا كلام الامام ابي حامد وهو حسن ومعناه صحيح مجرب فلتفعل
عليه ايها المريد وقد يعجل الله لبعض هولا العقوبة رحمة له ومنة عليه قال
ابو تراب النخشبي رضي الله عنه ما تمنت نفسي شهوة من الشهوات الا مرة واحدة
تمنيت خبزا وبيضا وانا في سفر فعدلت الى قرية فقام واحد وتعلق بي وقال يا هذا كان
مع اللصوص فضربوني سبعين درة ثم عرفني رجل منهم فقال هذا ابو تراب النخشبي
فاعتذروا الي فحملني رجل منهم الى منزله وقدم الي خبزا وبيضا فقلت لنفسي كلي بعد
سبعين درة وقال بعضهم تمنى ابو الخير رضي الله عنه العسقلاني السمك سنين ثم ظهر له
ذلك من موضع حلال فلما مد يده اليها ليأكل اخذت شوكة من عظامه اصبعه فذهبت
في ذلك بيده فقال يا رب هذا لمن مد يده الى حلال فكيف بمن مد يده بشهوة الى حرام وقال
ابراهيم الخواص رضي الله عنه كنت جايعا في الطريق فوافيت الري فخطر ببالي
ان لي بها معارف فاذا دخلتها اضافوني واطعموني فلما دخلت البلد رايت
فيه منكرا احتجت ان امر عليه فيه بالمعروف فاخذوني وضربوني فقلت في
نفسي من اين اصابني هذا الضرب على جوعي فنوديت في سري انما اصابك ذلك
لانك سكنت الى معارفك فقلت انهم يطعمونني اذا دخلت البلد وحكي عن
ابراهيم بن شيبان رضي الله عنه انه قال كنت بحلوان فتشهيت شبعة من الخبز
والعدس فاتفق ذلك فاكلت حتى شبعت فرايت على باب المسجد قوارير معلقة
شبه تمور دجاجات فتوهمتها خلا فقال لي قايل اما تنظر اليها انها خمر فقلت لزمني
فرض فدخلت الحانوت ثم ازل اصب دنا دنا حتى اتيت على الجميع فاخذوني وضربوني

مابة خشبه

مابة خشبه وطرحوني في السجن اربعة اشهر حتى دخل استاذي ابو عبد الله
المغربي البلد فسمع بحالي فتشفع لي فلما وقع بصره علي قال ما شاكلت شبعة خبز
وعدس وضربة مابة خشبه وسجن اربعة اشهر فقال لي نجوت مقارا ارددك
عقوبة هذه الاكلة على ظهرك ولم يقدح فيما كنت فيه من سرا امرك فكان ذلك رفقا من الله
بك قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه وما اصدق ما قال ان من ارتكب في
دنياه فيما يتعاطاه من متابعة هواه فقد خفف عنه في عقباه بل طهر التاديب جوهره
ومعناه وحكاية خير النساج المشهوره من معنا ما ذكرناه فانظر فيها ففيها
عبرة للمعتبرين قال الحافظ ابو نعيم حدثني جعفر بن محمد بن نصير في كتابه قال
سالت خير النساج اكان النسج حرفتك قال لا قلت فمن اين سميت به
قال عاهدت الله واعتقد ان لا اكل الرطب ابدا فغلبتني نفسي يوما فاخذت
نصف رطل فلما اكلت واحدة اذا برجل نظر الي فقال يا خير يا ابن هربت مني وكان له
غلام اسمه خير ~~[illegible]~~ فوقع علي شبهه وصورته فخنقني فاجتمع الناس
فقالوا هذا والله غلامك خير فبقيت متحيرا وعلمت بماذا اخذت وعرفت جنايتي
وحملني الى حانوته الذي كان فيه ينسج غلمانه وقالوا يا عبد السو تهرب من مولاك
ادخل واعمل عملك الذي كنت تعمل وامرني بعمل الكرباس فدليت رجلي على ان اعمل فاخذت
بيدي الالة كاني كنت اعمل من سنين فبقيت معه اشهر انسج له فقمت ليلة
وتمسحت وقمت الى الصلاة الغداة فسجدت وقلت الاهي لا اعود الى ما فعلت فاصبحت
فاذا الشبه قد ذهب عني وعدت الى صورتي التي كنت عليها فانطلقت
فثبت علي هذا الاسم فكان سبب النسج اتباعي شهوة كما عاهدت الله تعالى ان لا اكلها
فعاقبني بما سمعت وفي بعض الاخبار عن الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر
شهوته على محبتي ان احرمه لذيذ مناجاتي وسياتي ان شا الله تعالى كيفية
مجاهدة النفس عند قوله لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السايرين ولهذا
المعنى كره اهل الله التزوج من غير ضرورة محققة لانه انما يقصد به لكلفها بشهوته وبلوغ
نهمته وذلك في الصورة بمنزلة اسم القاتل وقد قالوا من وافق شهوته عدم صفوته
وقال بعضهم من هو يتهنى بما اراحه العلم تلف اعوضه بتسبيح العمر وقسوة القلب
وتعب الهم بالدنيا وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه ثلاث من طلبهن فقد ركن
الى الدنيا من طلب معاشا او تزوج امراة او كتب الحديث وقال ما رايت احدا من اصحابنا
تزوج فثبت على مرتبته وكان ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه يقول من تعود افخاذ النسا
لا يفلح وقيل لبعضهم لم لا تتزوج فقال المراة لا تصلح الا للرجال وانا ما بلغت مبلغ الرجال

ثم فيه من مكابدة امر غيره ومراعاة توفيه حقوقه ومداناة اخلاقه واتباع مرضاته
ما يشوش على المريد حاله ويكدر عليه وقته وقد كان له معاناة امر نفسه اعظم
شاغل عن ان ينضاف الى نفسه نفس اخرى مع ما يتسلط على باطنه من خوف الفقر
ومحبة الجمع والمنع وما يرتكبه بسبب ذلك من التاويلات والرخص وذلك كله مفاد
لحال المريد وقد قالوا اذا تزوج الصوفي فقد ركب السفينة فان ولد له فقد غرقت
السفينة وكان بشر الحافي رضي الله عنه يقول لو كنت اعول دجاجة خفت ان
اكون جلوازا على الجسر وفي الخبر يأتي اخر الزمان قالوا في ذلك الوقت حلت
العزوبة فقيل وكيف قال يعيرونه بالفقر فيتكلف ما لا يطيق فيورده موارد الهلكة
وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ
قيل يا رسول الله وما خفيف الحاذ قال الذي لا اهل له ولا ولد وقال سهل بن عبد الله
رضي الله عنه اياكم والاستماع الى النساء والميل اليهن فان النساء مبعدات من الحكمة
قريبات من الشيطان وهن مصايده وحظه من بني آدم فمن عطف عليهن بكليته
فقد عطف الى حظ الشيطان ومن عاد عنها آيس منه وما مال الشيطان
الى احد كميله الى من استرق بالنساء وان الشر معهن حيث كن فاذا رايتم
في وقتكم من قد ركن اليهن فايسوا منه قيل لمحمد يشد النبي صلى الله عليه وسلم
معصوم وقد علم ما كان فيه معهن قال هن عدوة الرجل ظاهرا وباطنا ان اظهرت
له المحبة اهلكته وان اضمرتها له اغوته وان الله عز وجل جعلهن فتنة
فنعوذ بالله من فتنتهن انتهى من كلام سهل بن عبد الله رضي الله عنه
وقال حذيفة المرعشي رضي الله عنه كان ينبغي للرجل لو خير بين ان يضرب
عنقه وبين ان يتزوج امراة في الفتنة لاختار ضرب العنق على تزويج امراة
في الفتنة وانما قال ذلك لما يؤول اليه امر التزويج من اكتساب الحرام والارتكاب
للاثام في زمن الفتنة وضرب العنق احسن حالا واحمد عاقبة من التعرض
لارتكاب شيء من معاصي الله تعالى فان قارف شيئا من ذلك المريد فهو داع اعفاك
في حقه فقد قالوا زلة بعد الارادة اقبح من سبعين زلة قبل الارادة وفي المثل
من عرف بالخيانة لا يعتمد عليه في الامانة وقال بعض الانبياء في مناجاته
لربه لو عفوت عن فلان ذنوبه بعد عظيم فعل فاوحى الله اليه ليس الذنب
في القرب كالذنب في البعد وقيل لبعضهم هل يجد العاصي حلاوة الطاعة
فقال لا ولا من هم بالمعصية ومن عظيم سواد المريدين ان يميل الى اهل الدنيا
وان يتقرب منهم او ان يصاحبهم قال الامام القشيري رضي الله عنه ومن شان

المريد التباعد

المريد التباعد عن ابناء الدنيا فان صحبتهم سم مجرب لانهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم
قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقد تقدم
من كلام المولف لا تصحبن لا ينفصل حاله ومن ذلك ايضا معاشرة الاحداث والشبان
وقبول ارفاق النسوان فان تعرض لشيء من ذلك منهن فهو الشر قال يوسف بن
الحسين الرازي رضي الله عنه رايت آفات الصوفية في صحبة الاحداث ومعاشرة الاضداد
ورفق النسوان قال الامام ابو القاسم ومن اصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة
الاحداث ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فباجماع من الشيوخ ان ذلك عبد اهانه
الله تعالى وخذله بل عن نفسه شغله ولو بالف الف كرامة اهله ثم قال بعد كلام كثير
فليحذر المريد من مجالسة الاحداث ومخالطتهم فان اليسير منه فتح باب الخذلان
وبدو حال الهجران ونعوذ بالله من سوء القضاء وادب المريد كثيرة وانما نبهنا
ها هنا على بعض ما يعظم فيه الخطر والغرور بما حذر منه ائمتنا رضي الله عنهم
وبالغوا في التوصية به والنهي عنه وجميع ذلك محتمل لان يكون مراد المولف
رحمه الله في قوله من جهل المريد ان يسيء الادب فراينا ان لا نخلو منه هذا
الموضع من هذا التنبيه لان ذلك يقع للمريدين كثيرا والله تعالى ولي التوفيق
اذا رايت عبدا اقامه الله تعالى بوجود الاوراد وادامه عليها مع طول
الامداد فلا تستحقرن ما منحه مولاه لانك لم تر عليه سيما العارفين
ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد عباد الله المخصوصون ينقسمون
الى قسمين مقربين وابرار فالمقربون هم الذين اخذوا عن حظوظهم وارادتهم
واستعملوا في القيام بحقوق ربهم عبودية له وطلبا لمرضاته وهؤلاء هم العارفون
والمحبون والابرار هم الذين بقوا مع حظوظهم وارادتهم واقيموا في الاعمال
والطاعات يرجون عليها بوضع الدرجات في الجنات وهؤلاء هم الزاهدون
والعابدون وكل واحد منهم ممد في مقامه الذي يحققونه بمدد الهي فيتم منهم
القيام بحقوق مقاماتهم على اختلافها فاذا رايت عبدا اقامه الله تعالى
في اعمال البر الظاهرة ومواصلة الاوراد المتواترة وامده في ذلك بالمعونة
والتيسير فذلك من اختيار الله تعالى له فلا تستحقرن ذلك لاجل انك لم تر عليه
سيما العارفين من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ والارادات بين يدي
المريد المختار ولا بهجة المحبين من الشغف بمرضاة محبوبهم والانبساط
والادلال بين يدي مولاهم فلولا الوارد الالهي الذي اورد الله تعالى عليه ما استقام
على عمله وورده فهو لم يخرج عن دايرة عنايته وحيطة رعايته ثم يستمر

خطير مامنحه وتستقل كثير مارحمه وهل ذلك الا من وجود جهلك ونقصان
عقلك وسياتي من كلام المولف رحمه الله تعالى لا يستحقر الورد الا جهول قوم اقامهم
الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هولا وهولا من عطا ربك وما كان
عطا ربك محظورا الحق تعالى له الاختيار التام والمشية النافذة لا يسال عما
يفعل وهم يسالون فطايفة اقامهم الحق تعالى لخدمته حتى ملحوا الجنته وهم
الزاهدون والعابدون كما تقدم وطايفة اختصهم بمحبته حتى ملحوا الغربه
والوصول الى حضرته وهم العارفون والعلما قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الزاهد
صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة فاذا شهد العبد انفراد
الله تعالى بهذه الاقامه والتخصيص منعه ذلك مما ذكرناه من الاستحقار
وسلم الامر لمن بيده التدبير والاختيار قال ابو يزيد رضي الله عنه اطلع الله تعالى
على قلوب اوليايه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفه صرفا فشغلهم بالعباده وذكر
الحافظ ابو نعيم في كتاب حلية الاوليا عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه انه
قال ان الله تعالى يطلع على اهل هذه القريه او بلدة فيريد ان يقسم لهم من نفسه
قسما فلا يجد قلوب العباد ولا قلوب الزهاد موضعا لتلك القسمه من نفسه
فيمن عليهم ان يشغلهم بالتعبد عن نفسه وقال ابو العباس الدينوري
ان لله عبادا لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته وله عباد لم يستصلحهم
لخدمته فاهملهم والاشارة بالاية الكريمه الذي ذكرها المولف رحمه الله يبينه
في هذا المعنى قال قل ما تكون الواردات الالاهية الا بغتة صيانة لها ان يدعيها
العباد بوجود الاستعداد الواردات الالاهية هدايا من الله تعالى وتحف
وكرامات يكرم بها عباده فلا يكون في الغالب الا بغتة اي فجاة لئلا يدعوها
ويرون انفسهم اهلا لها بوجود استعدادهم وتهيئهم وتحف الله وهداياه
مقدسة عن ان تعلل بامر ومنزهه عن ان يقابل باعمال بل هي محض
كرم وفضل من الكريم المتفضل من راينه مجيبا عن كل ما سيل ومعبرا
عن كل ما شهد وذاكرا كل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله الاجابة عن
كل سوال والتعبير بكل مشهود والذكر لكل معلوم امارات على وجود
جهل من اتصف بها كما قال اما الاجابه عن كل سوال فلا اقتضايها منه
الاحاطة بجميع المعلومات وذلك محال في حقه قال الله تعالى وما اوتيتم من
العلم الا قليلا فكيف يتصور منه مع هذه الاجابه عن كل سوال لولا وجود
جهله وايضا فانه يجب عليه ان يراعي حال السايل من وجود الاهلية

للسايل عنه فيمتنع عن اجابة من لا اهلية فيه كذلك يفعل ما فعله رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما يروى عنه مع السايل الذي يساله ان يعلمه من غرايب
العلم فانه استفهله وقال له ما فعلت في راس العلم وفي كذا وفي كذا فاجابه السايل
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعالى حتى اعلمك من غرايب العلم
وكما اخذ الله تعالى على العلما ان لا يكتموا العلم اهله كذلك اخذ عليهم ان يصونوه
عن غير اهله فمن لا يسلك هذا المسلك فهو جاهل واما التعبير لكل مشهود فلان
فيه نوعا من افشا السر الذي يجب كتمه وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار
والسر امانة الله تعالى عند العبد فاشهاده بالتعبير عنه خيانة والله لا يحب
الخاينين وايضا فان الامور المشهوره لا تستعمل فيها الا الاشارة والايما واستعمال
العبارات فيها افصاح بها واشهار لها وفي ذلك ابتذالها واذاعتها ثم ان العبارة
عنها لا يزيدها الا خفا وانغلاقا لان الامور الذوقيه يستحيل ادراك حقايقها
بالعبارات النطقيه فيودي ذلك الى الانكار والقدح في علوم السادة الاخيار
قال ابو علي الروذباري رضي الله عنه علمنا هذا اشارة فاذا صار عبارة خفي
واما الذكر لكل معلوم فلعدم تفرقته بين المعلومات وقد يكون له علم مختص
به فاذا ذكره لغيره استضر به وان كان ينتفع به هو فعدم تفرقته بين المعلومات
في ذكرها من وجود جهله انما جعل الدار الاخره محلا لجزا عباده المومنين
لان هذه الدار لا تتسع ما يريد ان يعطيهم ولانه اجل اقدارهم عن ان يجازيهم
في دار لا بقا لها انما جعل ثواب المومنين في الدار الاخره فيما ظهر لنا لوجهين
احدهما ان الدنيا لا تتسع ما يريد ان يعطيهم من انواع النعم حسا ولا معنى
اما الحس فلان الدنيا متدانيه المسافات ضيقة الاقطار ويعطي الله تعالى لاحاد
المومنين في الدار الاخره في ملكه احد منهم كما ورد في الخبر مسيرة خمسماية عام
مما تلك نحوا منهم تضيق عنه مسافة الدنيا عن كلية جزاتهم واما المعنى فلان
الدنيا موسومة بالدناة والنقص والخساسه والحقاره والاشيا التي يتنعم بها
اهل الجنه امور شريفه رفيعه كما جا في الاخبار ان موضع سوط في الجنه
خير من الدنيا وما فيها وان نور سوار حورا يطمس نور الشمس وما اشبه
هذا ويكفي من ذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
والثاني ان الله تعالى اجل اقدار عباده المومنين فلم يجعل لهم الجزا على

طما عاتهوني دار فانية منقضية منصرمة لانا كلما يفني وان طالت مدته كلا شي بل اعطاهم الخلود في النعيم والبقا الدايم في الملك المقيم وتا هيك شرفًا تسميته اياهم باسمه الكريم وهو الحي الذي لا يموت الي الحي الذي لا يموت جا في التفسير في قوله تعالى وملكا كبيرا انه يرسل الله تعالي الملك الي وليه ويقول له استاذن على عبدي فان اذن لك فادخل والا فارجع فيستاذن عليه من سبعين حاجبا ثم يدخل عليه ومعه كتاب من الله عز وجل مكتوب على عنوانه من الحي الذي لا يموت الي الحي الذي لا يموت فاذا فتح الباب وجد مكتوبا فيه عبدي اشتقت اليك فزرني فيقول هل جيت بالبراق فيقول نعم فيركب البراق فيغلب الشوق على قلبه فيحمله شوقه ويبقي البراق الي ان يصل الي بساط اللقا

من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول ثمرة العمل وجدان الحلاوة فيه والنعيم به ويتصور ذلك في اكثر الاعمال بالمواظبة عليه على حمل تكلفه والاشتغال له هذا هو غالب الامر قال بعض العارفين ليس شي من البر الا ودونه عقبة يحتاج الي الصبر فيها فمن صبر علي شدتها افضي الي الراحة والسهولة وانما هي مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوي ثم مكابدة في ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم وقال ثابت البناني رضي الله عنه كابدت القران عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وقال عتبة الغلام رضي الله عنه كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال بعض العلما كنت اقرا القران فلا اجد له حلاوة حتي تلوته كاني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت الي مقام فوقه وكنت اتلوه كاني اسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جا الله بمنزلة اخري فانا الان اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه وما ذكرناه من الحلاوة والنعيم انما هو ثمرة الاعمال الصحيحة المستقيمة السالمة من الريا والدعوي قال ابو تراب رضي الله عنه اذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل ان يعمله واذا اخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشرة العمل والاعمال الموصوفة بهذه الصفات مقبولة بفضل الله تعالى ورد في الخبر لا يقبل الله تعالى من مسمع ولا مراي ولا داخل خطابه ان العمل السالم من الريا والسمعة مقبول من قوله عز وجل من قايل انما يتقبل الله من المتقين وقبول الله تعالى لعمل العبد ورضاه به هو ثوابه المعجل كما يقوله المولف بعد هذا وذلك علامة على وجود الجزا عليه

في الدار الاخرة

في الدار الاخرة جسيما باني في قوله وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشاير العاملين بوجود الجزا عليها اجلا وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه كل عمل ليس له ثواب في الدنيا ليس له جزا في الاخرة فيحصل من هذا وجدان الحلاوة علامة على وجود القبول المقتضي لوجود الرضا والجزا وكذلك قال الحسن رضي الله عنه تفقدوا الحلاوة في ثلاثة فان وجدتموها فابشروا وامضوا لقصدكم وان لم تجدوها فاعلموا ان الباب مغلق عند تلاوة القران وعند الذكر وعند السجود وزاد غيره وعند الصدقة وبالاسحار وقيل في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنة معجلة وهي حلاوة الطاعة ولذاذات المناجاة والاستيناس بفنون المكاشفات وجنة مواجلة هي فنون المثابات وعلو الدرجات وتلتسو هذه الحلاوة المذكورة لا تكون الا في مقام المعرفة الخاصة وهي التي تنافيها المعصية قيل لبعضهم هل يعرف الله فيعصي على البساط فقال تراني اعبد من لا اعرفه فقال او تعصي من تعرفه وقيل لبعضهم تم تعرف انك عرفته فقال لم اقصد مخالفته الا ورد على قلبي استحيا منه وقال اسماعيل بن جنيد رضي الله عنه التهاون بالامر من قلة المعرفة بالامر فاذا العصيان في حال العرفان بعيد فان وقعت منه زلة او هفوة بحكم وكان امر الله قدرا مقدورا وجد لا محالة لذلك مرارة والما في قلبه فوجدان هذه المرارة والالم في المعصية علامة صحة ما وجد من الحلاوة والنعيم في الطاعة فهذه هي الحلاوة التي هي الميزان للاعمال المقبولة وغير المقبولة كما ذكرناه واما الحلاوة التي يجدها من دون اهل هذا المقام في بعض العبادات لمدخوله معلومة الاما فيها من تنشيط العباد للمواظبة على العبادة والحلاوة على الاطلاق اذا وجدها العامل في العمل لا ينبغي له ان يقصد بعمله الي نيلها لما له فيها من اللذة والحظ فان ذلك مما يقدح في اخلاص عبادته وصدق ارادته وليكن اعتناؤه بحصولها لتكون ميزانا لاعماله ومحكا لاحواله فقط قال الواسطي رضي الله عنه استحلا الطاعات سموم قاتلة قال في لطايف المنن وصدق الواسطي رضي الله عنه واقل ما في ذلك انه اذا فتح لك باب حلاوة الطاعة تصير قايما فيها متطلبا حلاوتها فيفوتك صدق الاخلاص في فيها وتجد واهمها لا قيا ما بالوفا ولكن لما وجدت من الحلاوة والمتعة فيكون في الظاهر قايما لله وفي الباطن انما قمت لحظ نفسك وتخشي عليك ان تكون حلاوة الطاعة جزا تعجلته في الدنيا فتاتي يوم القيامة ولا جزا لك ان اردت ان تعرف قدرك عنده فانظر فيما ذا يقيمك هذا ميزان صحيح وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد ان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه فان الله

وهذا الانزال المذكور
تعالي ينزل العبد عنده بحيث انزله العبد من نفسه
المنسوب الي العبد هو معني الاقامه المذكوره اذ العبد لا فعل له علي التحقيق
قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه انما يطيع العبد ربه علي قدر منزلته منه
وقال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه فاذا كان العبد ينظر مولاه مكرما ولحدوده
حافظا والي محبوبه ومرضاته مسارعا كان الله عز وجل له في اخرته لوجهه مكرما
ولشانه حافظا والي مسرته من النعيم المقيم مسارعا واذا كان العبد يخف مولاه
متهاونا وبامره مستخفا ولشعايره مستصغرا كان الله تعالي له مهينا وبشانه
متهاونا والي ما يكره من العذاب الاليم له مسارعا والعياذ بالله من ذلك
وقال وهب بن منبه قرات في بعض الكتب يابن ادم اطعني فيما امرتك ولا
تعلمني بما يصلحك اني عالم بخلقي انما اكرم من اكرمني واهين من هان عليه امري
لست بناظر في حق عبدي حتي ينظر عبدي في حقي متي رزقك الطاعة والغني
به عنها فاعلم انه اسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة المطلوب من العبد شيان
اقامة الحدود في الظاهر والتحقق بالله في الباطن والاستغنا به عن غيره فاذا رزق الله
تعالي العبد هاذين الامرين فقد اسبغ عليه نعمه ظاهره وباطنه واوصله الي
غاية الامل في الدنيا والاخره سبحانه جل وعلا خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك
ان كان ولا بد من الطلب فالطلب منه ما هو طالبه منك من الاستقامه علي سبيل
العبوديه له فذلك خير لك من طلبك لحظوظك ومرادك لانك حينيذ تكون به
وله وبسعفك بمطلوبك عاجلا من غير تاخير واما ان طلبت منه حظ نفسك
ونيل مرادك فقد عطل فيذلك تاخير ومنع ما يفوتك حينيذ من حسن الادب في
الطلب يحكي عن ابي الحسين الديلمي رضي الله عنه قال وصف لي انسان اسود
بانطاكيه يتكلم علي القلوب فقصدته فلما رايته رايت معه شيا من المباحات
يريدان يبيعه فساومته وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الي ثم قال اقعد فانك
جايع منذ يومين حتي نبيعه هذا نعطيك شيا قال فغضبت الي غيره وتغافلت
كاني لم اسمع ما قال وساومته ما انا بين يديه ثم رجعت اليه وقلت له بكم
تبيع هذا فنظر الي وقال يا اقعد فانك جايع منذ يومين حتي اذا بعنا هذا
نعطيك من ثمنه شيا قال فوقع علي قلبي منه هيبه فلما باع ذلك اعطاني منه
شيا ومضي قال فمضيت خلفه لعلي استفيد منه شيا قال فالتفت الي وقال اذا عرضت
لك حاجة فانزلها بالله الا ان تكون لك فيها حظ فتحجب الي الله تعالي ومن
دعا ابو القاسم الجنيد رضي الله عنه اللهم وكل سوال سايل فعن امرك بالسوال
فاجعل سوالي

فاجعل سوالي اليك سوال محابك ولا تجعلني ممن يتعبد بسواله مواضع الحظوظ بل سوال
القيام بواجب حقك ومن دعايه ايضا اللهم اني اسالك منك ما هو لك واستعيذك من كل امر
يسقط اللهم ولا تشغلني بشغل من شغله عنك ما اراده منك الا ان يكون لك اللهم
اجعلني ممن يذكرك ذكر من لا يريد بذكره منك الا ما هو لك اللهم اجعل عبادتي مقصدي اليك
ما هو لك ولا تجعل قصدي اليك ما اطلبه منك الحزن علي فقدان الطاعة مع عدم النهوض
اليها من علامة الاغترار وهذا هو الحزن الكاذب الذي يكون معه البكا الكاذب كما
قالوا كم من عين جاريه وقلب قاسي وهذا من مكر الله تعالي الخفي حيث منعه ما ينفعه
واعطاه ما يغتر به من الحزن والبكا سمعت رابعة العدويه رضي الله عنها رجلا يقول
واحزناه فقالت قل واقلة حزناه ولو كنت محزونا لم يتهيا لك ان تتنفس واما الحزن الصادق
فيخالف هذا وهو مقام من مقامات السالكين وهو يبعث علي الانكماش في الاعمال والنهوض
الي الطاعات علي كل حال قال الشيخ ابو علي الدقاق رضي الله عنه صاحب الحزن يقطع من طريق
الله عز وجل في شهر ما لا يقطع من فقد حزنه في سنين وفي الخبر كل قلب حزين وفي التوراة
اذا احب الله عبدا نصب في قلبه نايحه واذا ابغضه نصب في قلبه مزمارا وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دايم الفكره وقيل الحزن اذا فقد من القلب خرب
ومن لم يذق طعم الحزن لم يذق لذة العباده فاذا الحزن الذي يجده العبد من نفسه ان لم يبعثه
علي النهوض والانكماش والاجتهاد فذلك من علامات الاغترار وليس من مقام السالكين الابرار
ما العارف من اذا اشار وجد الحق اقرب اليه من اشارته بل العارف من لا اشارة له
لفنايه في وجوده وانطوايه في شهوده الاشارة الطف من العبارة وهي كنايه وتلويح وايما لا تصريح
وهي التي يستعملها اهل هذه الطريقه فيما بينهم عند ذكرهم لاسرار التوحيد كما تقدم عند
قوله من رايته مجيبا عن كل ما يسال ومعبرا لكل ما شهد ناطقا بالمسير الي الله تعالي
الملاحظ لاشارته وان وجد الله تعالي اقرب اليه من اشارته غير عارف علي التحقيق لانه
يوصف بالتفرقة بشهوده للاغيار بل العارف الفاني في وجوده المنطوي في شهوده الذي غاب
عن الاشارة والمشير والمشار به سيل الدقاق رضي الله عنه عن المريد فقال حقيقة المريد ان يشير
الي الله عز وجل فيجد الله مع نفس الاشارة قيل له فالذي يستوعب حاله قال هو ان يجد الله
باسقاط الاشارة وسيل ابو علي الروذباري رضي الله عنه عن الاشارة فقال الاشارة الابانة عما
يتضمنه الوجد من المشار اليه لا غير وفي الحقيقه ان الاشاره تصحبها العلل والعلل بعيده
من عين الحقايق وقال الشبلي رضي الله عنه كل اشارة اشار بها الخلق الي الحق فهي مردودة
عليهم حتي يشيروا الي الحق بالحق وليس لهم الي ذلك طريق وقال ابو يزيد رضي الله عنه ابعد
من الله اكثرهم اشارة اليه الرجا ما قارنه عمل والا فهو امنية الرجا مقام شريف من مقامات

اليقين فهو يبعث على الاجتهاد في الاعمال كما ذكرناه في الحزن لان من رجا شيا طلبه
ومن خاف من شي هرب منه واما الرجا الكاذب الذي يفتر صاحبه عن العمل ويجريه على المعاصي
والذنوب فليس هذا برجا عند العلما ولكنه امنية واغترار بالله تعالى وقد ذم الله تعالى قوما
ظنوا مثل هذا واصروا علي حب الدنيا والرضا بها وتمنوا المغفره علي ذلك فسماهم خلفا واخلف الردي
من الناس فقال عز من قايل فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادني
ويقولون سيغفر لنا قال معروف الكرخي رضي الله عنه طلب الجنه بلا عمل ذنب من الذنوب
ورجا الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور ورجا رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقد قال الواسطي
زعم ان الرجا مع الاصرار صحيح ولذلك فليزعم ان طلب الربح في الفقر وقدح مس البحر صحيح وفي
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمني على الله وقال الحسن رضي الله عنه ان قوما الهتهم اماني
المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة يقول احدهم احسن الظن بربي لو صدق
احسن الظن بربه لاحسن العمل وتلا قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من
الخاسرين وكان يقول عباد الله اتقوا هذه الاماني فانها اودية النوكا يحلون فيها والله
ما اتي عبدا بامانية خيرا في الدنيا ولا في الاخره وكتب ابو عمير المنصوري الي بعض اخوانه
اما بعد فانك قد اصبحت تامل بطول عمرك وتتمني على الله الاماني بسوء فعلك وانما تضرب
حديدا باردا ومطلب العارفين من الله الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية مطلب
العارفين من ربهم اعلا من مطالب غيرهم سوا كان عابدا او زاهدا او عالما لان مطلب العارفين
انما هو الصدق في العبوديه والقيام بحقوق الربوبيه فقط من غير مراعاة حظ ولا بقا مع نفس
وكل من عداهم لم يفارقوا الحظوظ والاعراض في مطالبهم وقد تقدم من كلام المولف رحمه الله
خير ما يطلبه منه ما هو طالبه منك قال سيدي ابو مدين شتان من همته الحور والقصور ومن
همته رفع الستور ودوام الحضور البسط كي لا يبقا مع القبض وقبض كي لا يتركك مع
البسط واخرجك عنهما حتى لا تكون لشي دونه القبض والبسط من الحالات التي يتلون
فيها العارفون وهما بمنزلة الرجا والخوف للمريدين والمبتدين وبينهما الواردات فعرفها
والمقصود هنا انهما وصفان ناقصان بالنسبة الي ما فوقهما لانهما يقتضيان بقا العبد
وجوده فمن لطف الله بعبده تلوينه فيهما ثم اخراجه عنهما بفنايه عن نفسه وبقايه
بربه قال فارس رضي الله عنه القبض اولا ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط والقبض والبسط يقعان
في الوجود واما مع الفنا والبقا فلا وكان الجنيد رضي الله عنه يقول الخوف يقبضني والرجا
يبسطني والحقيقة تجمعني والحق يفرقني اذا قبضني بالخوف افناني عني واذا بسطني بالرجا
ردني علي واذا جمعني بالحقيقة احضرني واذا فرقني بالحق اشهدني غيري فغطاني عنه

وهو في ذلك

فهو في ذلك كله محركي غير مسكني وموحشي غير مونسي بحضوري لذوق طعم وجودي فليته
افناني عني فمتعني او غيبني عني فروحني وقد تكلم صاحب كتاب عوارف المعارف في القبض
والبسط بكلام بديع طويل تركت نقله ها هنا اختصارا فمن اراده فلينظر هناك العارفون
اذا بسطوا اخوف منهم اذا قبضوا ولا يقف على حدود الادب في البسط الا قليل انما
اشتد خوف العارفين في البسط ما لم يشتد في القبض من قبل ملايمته لهوى انفسهم
بخلاف القبض كما سيقول المولف الان فيخافون حينيذ من رجوعهم اليهم ونوفيهم
لطبع نفوسهم وفي ذلك الطرد والبعد وقد كتب يوسف بن الحسين الرازي الى الجنيد
رضي الله عنهما لا اذاقك الله طعم نفسك فانك ان ذقتها لا تذوق بعدها خيرا ابدا ومن
ثم يتاكد عليهم في ذلك ملازمة الادب ودوام الانقباض والانكسار وذلك امر
عسير في هذا الحال ولذلك لا يقف على حدود الادب في البسط الا قليل كما قال المولف رحمه
الله وقد قيل قف على البساط واياكم والانبساط وقال رجل لابي محمد الجريري رضي الله عنه كنت
على بساط الانس وفتح علي طريق البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي فكيف السبيل اليه دلني
على الوصول الي ما كنت عليه فبكى ابو محمد وقال يا اخي الكل في قهر هذه الخطه لكنني انشدك
ابياتا لبعضهم وانشا يقول
قف بالديار فهذه اثارهم تبكي الاحبه حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بربعها مستخبرا عن اهلها او سايلا او مشفقا
فاجابني داعي الهوى في رسمها فارقت من تهوى فعز الملتقا
وسيل بعض المشايخ عن تكدر له فقال الانبساط مع الحق بغير ادب قال الاستاذ ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه ومن هذا خشي الاكابر والسادة فالشيخ لطايف المنن البسط
مزلة اقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجاهم والقبض اقرب الي وجود السلامه
لانه وطن العبد اذ هو في اسر قبضة الله واحاطة الحق محيطة بنا ومن اين يكون للعبد
البسط وهذا شانه والبسط خروج عن حكم وقته والقبض هو اللايق بهذه الدار التي
وطن التكليف وابهام الخاتمه وعدم العلم بالسابقة والمطالبه بحقوق الله تعالى قال واخبرني
بعض الصوفيه قال رايت شيخنا شيخه في المنام بعد موته مقبوضا فقلت له يا استاذ
ما لك مقبوضا فقال له يا بني القبض والبسط مقامان من لم يوفهما في الدنيا وفاهما في الاخره
قال وكان هذا الشيخ الغالب عليه في حياته البسط انتهى البسط تاخذ النفس منه
حظها بوجود الفرح والقبض لا حظ للنفس فيه في هذا اشارة لما تقدم من ان مراعاة
الادب في البسط امر عسير وذلك ان في البسط وجود حظ النفس فيستولي عليها الفرح
بذلك فلا يتمالك حتى يقع في سو الادب والقبض ليس فيه حظ للنفس فلذلك كان
اسلم وكان الاستاذ ابو علي الدقاق رضي الله عنه يقول القبض حق الحق منك والبسط
حظ العبد منه ولان تكون بحقه منك اتم من ان تكون بحظك منه واما اداب القبض

والبسط فلا اعلم الاقل من استوفى الكلام فيهما من علما الصوفيه ومصنفيهم وانما وجدنا
لهم من ذلك اشارات الى امور جمليه كقول الامام ابي القاسم القشيري بعد ان تكلم
على نقطتي القبض والبسط وتبيين معانيهما الا ان قال وقد يكون قبض يشكل
على صاحبه سببه يجد في قلبه قبضا لا يدري ما يوجبه وما سببه وسبيل صاحب هذا
القبض التسليم حتى يمضي ذلك الوقت لانه لو تكلف نفيه او استقبل الوقت قبل هجومه
عليه باختياره زاد في قبضه ولعله يعد ذلك منه سوء ادب واذا استسلم لحكم الوقت
فعن قريب يزول القبض فان الله سبحانه قال والله يقبض ويبسط وقد يكون بسطا
يرد بغتة ويصادف صاحبه فلتة لا يعرف لها سببا يهز صاحبه ويستفزه فسبيل
صاحبه السكون ومراعات الادب فان في هذا الوقت له خطر عظيم فليحذر صاحبه
مكرا خفيا كما قال بعضهم فتح علي باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي
انتهى كلام ابو القاسم رضي الله عنه وقد رايت كلاما مستوفى في ادب القبض والبسط
لسيدي ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه فاحببت ان اذكره هاهنا لتتم به الفايده
التي تعرض لها المولف رحمه الله تعالى وان كان كلام الشيخ ابي الحسن في ذلك اعم مما هو
عند غيره من ايمة الصوفيه قال رحمه الله القبض والبسط قل ما يخلوا العبد منهما
وهما يتعاقبان تعاقب الليل والنهار والحق سبحانه يقتضي منك العبوديه فيهما فمن
كان وقته القبض فلا يخلوا من ان يعلم سببه او لا واسباب القبض ثلاثه ذنب احدثته
او دنيا ذهبت عنك او نقصت لك او ظالم يوذيك في نفسك او عرضك او ينسبك
لغير دين او غير ذلك فاذا ورد عليك القبض من احد هذه الاسباب فالعبوديه تقتضي ان
ترجع الى العلم مستعملا له كما امرك اما في الذنب فالتوبة والانابه وطلب الاقاله واما فيما
ذهب عنك من الدنيا او نقص فالتسليم والرضا والاحتساب واما فيما يوذيك به
ظالم فالصبر والاحتمال واحذر ان تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان ظلم غيرك لك وظلمك
لنفسك فان فعلت ما الزمت من الصبر والاحتمال اثابك سعة الصدر حتى تعفوا
وتصفح وربما اثابك من برد الرضا ما ترحم به من ظلمك فتدعو الله فتجاب فيه دعوتك
وما احسن حالك اذ رحم الله بك من ظلمك فتلك درجة الصديقين الرحما وتوكل على الله
ان الله يحب المتوكلين واما اذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا فالوقت وقتان
ليل ونهار فالقبض اشبه شي بالليل والبسط اشبه شي بالنهار فاذا ورد القبض
بغير سبب تعلمه فالواجب عليك السكون والسكون على ثلاثة اشيا عن الاقوال
والحركات والارادات فان فعلت ذلك فعن قريب يذهب عنك الليل بطلوع نهارك
او يبدو النجم تهتدي به او قمر تستضي به او شمس تبصر بها والنجوم نجوم العلم والقمر قمر
التوحيد والشمس شمس المعرفه وان تحركت في ظلمة ليلك فقل ما تسلم من الهلاك
واعتبر بقوله تعالى

واعتبر بقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله
ولعلكم تشكرون فهذا حكم العبوديه في القبضين جميعا واما ما كان وقته البسط
فلا يخلوا من ان يعلم له سببا او لا والاسباب ثلاثه السبب الاول زياده في الطاعه
او نوال من المطاع كالعلم والمعرفه والسبب الثاني زياده في الدنيا بكسب او كرامة
او هبة او صله والسبب الثالث بالمدح والثنا من الناس واقبالهم عليك وطلب
الدعا منك وتقبيل يدك فاذا ورد عليك البسط من احد هذه الاسباب
فالعبوديه تقتضي ان ترى النعمه والمنة من الله عليك واحذر ان ترى شيا
من ذلك لنفسك وحظها ان يلازمها الخوف خوف السلب بما به انعم عليك
فتكون ممقوتا هذا في جانب الطاعة والنوال من الله تعالى واما الزياده
من الدنيا فهي نعمة ايضا كالاولى وخف مما بطن من افاتها واما مدح الناس لك
وثناوهم عليك فالعبوديه تقتضي شكر النعمه بما ستر عليك وخف من الله
ان تظهر ذرة مما بطن منك فيمقتك اقرب الناس اليك فهذه اداب القبض والبسط
في العبوديه واما البسط الذي لا يعلم له سببا فحق العبوديه فيه ترك السوال والادلال
والصوله على النسا والرجال اللهم الا ان يقول سل سل الي اليهما فهذه اداب القبض
والبسط في العبوديه جميعا ان عقلت والسلام انتهى ما ذكره الشيخ ابو الحسن
وكلامه في ذلك حسن والحمد لله بيده سوابغ النعم ربما اعطاك فمنعك وربما
منعك فاعطاك منع الله تعالى عبده من نيل شهواته ولذاته والكون مع
نفسه عطا لانه عطا جزيل منه لانه ابقاه معه واقتطعه عن حظوظه واغراضه
وحرزه منها وعكس هذا هو المنع على التحقيق وان كان عطا في الظاهر
قال الشيخ محي الدين بن العربي رضي الله عنه اذا منعت فذلك عطاوه واذا اعطيت
فذلك منعه فاختر الترك على الاخذ قال فحسب العبد ان يترك التدبير والاختيار
لمن بيده ذلك فلن يعدم منه خيرا متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع
هو عين العطا سياتي بيان هذا من كلام المولف بقوله متى اعطاك اشهدك
بره ومتى منعك اشهدك قهره الى اخره الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة
فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها والقلب ينظر الى باطن عبرتها الاكوان ها هنا
كل ما يمكن ان يكون للنفس فيه حظ من متاع الدنيا وزهرتها وهي انيقة الظاهر
قبيحة الباطن كما قيل على وجه مي مسحة من ملاحة وتحت الثياب العار لو كان باديا
وهي من حيث ظاهرها حلوة خضرة وبالنظر الى باطنها جيفة قذرة فالنفس تنظر

الى زينتها الظاهرة فتغتر بها فتهلك صاحبها والعاقل ينظر الى قبائحها الباطنة
فيعتبر بها فيسلم من شرها وقد روي في الكتب السالفة ان الحواريين قالوا لعيسى
روح الله صف لنا اوليا الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال عليه السلام
هم الذين بهم نطق الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام وبه قاموا
وبه قاموا نظروا الى باطن الدنيا حين نظروا الناس الى ظاهرها وعاينوا آجل الدنيا حين
عاين الناس عاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وتركوا منها ما علموا ان
سيتركهم فصار دركهم فيها فواتا وفرحهم فيها حزنا ما عرض لهم منها رفضوه وما
اشرف لهم بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا عندهم فلم يجددوها وخربت فيما
بينهم فلم يعمروها وماتت في صدورهم فلم يحيوها هدموها وبنوا بها اخرتهم
احيوا ذكر الموتى واماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون
بنوره ويضيئون به لهم الخبر العجيب وعندهم الخبر العجيب وكان بعض العلما
يقول ما سطع لي زينة من زخرف الدنيا الا كشف باطنه فظهرلي عزوف
عنها قال ابو طالب المكي فهذه عناية من الله تعالى لمن وليه من اوليايه المقربين
منه فمن شهد الدنيا باول وصفها لم يغتر باخره ومن عرف بباطن حقيقتها
لم يعجب بظاهرها ومن كوشف بما فيتها لم يستهوه زخرفها وكان عيسى عليه
السلام يقول ويلكم علما السوء مثلكم مثل قناة حشي ظاهرها جص وباطنها نتن
ان اردت ان يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعز يفنى العز الذي لا يفنى
هو الغنى عن الاسباب كلها بوجود مسببها الا انه بان لا يفنى فالتعلق به عز
لا يفنى والعز الذي يفنى هو الغنى بالاسباب مع الغيبة عن مسببها
لانها فانية فالتعلق بها عز فان لا يبقا وليس لك الا احدهما لانهما ضدان
لا يجتمعان فان العز الباقي بالله تعالى لم يقدر احد ان يذكر يحكى ان رجلا امر
بالمعروف لهارون الرشيد فحرد عليه هارون وكانت بغلة سيئة الخلق
فقال اربطوه معها تقتله برجلها ففعلوا ذلك فلم تضره فقال اطرحوه في بيت
وطينوا عليه الباب ففعلوا ذلك فراوه في بستان وباب البيت مسدود فاخبر
هارون بذلك فاتي بالرجل فقال من اخرجك من البيت فقال الذي ادخلني البستان
فقال ومن ادخلك البستان فقال الذي اخرجني من البيت فقال اركبوه دابة

وطوفوه

وطوفوه في البلد والبغل قابل الدابة هارون اراد ان يذل عبدا اعزه الله تعالى
فلم يقدروا ان اختلفت العز بالاسباب خزلتك واسلمتك احوج ما تكون اليها
وكنت في غاية الذل والهوان حكي عن بعضهم انه قال رايت رجلا في الطواف
وبين يديه شاكريه يطردون الناس بعد ذلك بمدة رايته انسانا يتكفف
الناس على الجسر ويسال شيا قال فكنت انظر اليه واتشبهه بذلك الرجل
فقال لي ايش تنظر فقلت اشبهك برجل رايته في الطواف من شانه كذا
وكذا فقال انا ذلك تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني في موضع
يرتفع فيه الناس قال الشيخ فان اعتززت بالله دام عزك وان اعتززت بغيره
فلا بقا لعزك اذ لا بقا لمن انت به معتز قال وانشدنا بعض الفضلا لنفسه

ليكن بربك كل عزك يستقر ويثبت

فان اعتززت بمن يموت فان عزك ميت

قال ودخل انسان على بعض العارفين وهو يبكي فقال له ما شانك فقال ابتادي
فقال له ذلك العارف ولم جعلت استادك من يموت وقال له ان اعتززت
بغير الله فقدته واذا استندت الى غيره تعدمته انظر الى العجل الذي ظلت عليه
عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل
شي علما الطي الحقيقي ان تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الاخرة اقرب اليك منك
طي مسافة الدنيا انما يتصور من العبد اذا اشرق نور اليقين في قلبه فيخيل تنعدم
الدنيا في نظره وتنطوي في اعتباره ويرى الاخرة حاضرة لديه موجودة عنده
بل يراها اقرب اليه منه اددانه فانية منطوية بهذا الاعتبار فمن كانت هذه
مشاهدته لا يتصور منه حب العاجلة الفانية وهي الدنيا والتبدل لها بالحاضر الباقي
وهي الاخرة وكذلك كان اصل الرغبة في الدنيا وايثارها على الاخرة ضعف اليقين فمن لم
يشرق في قلبه نور اليقين لم يشاهد المكذا الكبير ومن لم يشاهد هذه احب الدنيا
وهو لا شي فلم يكن قيمته عند الله شيا وهذا هو الطي الحقيقي لمسافة الدنيا
الذي لم يكرم الحق به اولياه وبه يتحقق عبوديتهم لربهم عز وجل لا طي مسافة الارض
الذي ربما تكون استدراجا ومكرا ولا طي الليالي والايام بالوصال والصيام وترك الشراب
والطعام اذا لم يتمحض طاعة وبرا وسياتي من كلام المولف رحمه الله لو اشرق نور اليقين
لرايت الاخرة اقرب من ان ترحل اليها ولرايت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفنا
عليها العطا من الخلق حرمان والمنع من الله احسان عطية الخلق لك حرمان

منح الله لك وشهود آثار حظوظك وقد يبيح لغير الله ودونه من وينيل
على التخفيف لما فيه من احسان لانه الزمك الوقوف ببابه وعافاك من وجود حجابه وان نشيت قلت اعطاك الخلق
حرمان لما فيه من وجود محبتك لهم على ذلك وتقلد منتهم في اخذ عطيتهم والمنع من الله
احسان فانه حبيبك وكلما يفعل المحبوب محبوب وسمعته يقول لولا البس النعما وغيرك
ملبسي ولا اقبل الدنيا وغيرك واهب وفي وصية علي رضي الله عنه لا تجعل بينك وبين الله منعمًا
واعدد نعمة غيره عليك مغرما وقال بعض الحكما حمل المنن من الصبر على العدم وقال الحر
عن التراهة اشرف من سرور الفايدة اجل ربنا ان يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئة
جزا المعامله لا يختص بالدار الاخرة بل ربما اظهر الحق تعالى منه لبعض اوليايه في الدنيا
انموذجا يحملهم على الاجتهاد في الاعمال ويتحققون به وجود قبولها في ذلك الاحوال
وذلك لعظيم كرمه وعميم فضله جل وعلا كفى من جزايه على الطاعه ان رضيك لها اهلا
هذا بيان جزايهم المعجل وهو انه عرفهم من عظمته وجلاله وكبريايه ما استحقروا
معه انفسهم ان يكونوا اهلا لان تكلفهم القيام بطاعته وعد في ذلك تيسيره وجوده
نساهم جنيد حبه واستولى عليهم قربه فانحدث اذ ذاك نفوسهم وافنيهم وجودهم
وذهب بهم الجبا كل مذهب وهذا هو غاية الجزا ونهاية العطا عند العلما العارفين الذين
يمنعهم وجدانه عن التطلع الى غيره من الحظوظ الاجلة كفى العاملين جزا ما هو فاتحه
على قلوبهم في طاعته وما هو مورده عليهم من وجود موانسته هذا بيان اخر لما
يكرمهم به من الجزا المعجل وهو ان العاملين لربهم يفتح لهم من المعارف ويورد على
قلوبهم من انواع اللطايف ما يتنعمون فيه روح الانس ويتنعمون به في حظيرة
القدس وهذا من علامات وجود الرضوان الاكبر الذي يتلاشا دونه كل جزا
ويستحقر كان بعضهم يقول التملق للحبيب والمناجات للغريب في الدنيا
ليس من الدنيا انما هو من الجنة اظهره لاهل الله تعالى في الدنيا لا يعرفه الا هم ولا
يجده سواهم روحًا لقلوبهم وقال بعض العلما ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم الجنه
الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجات وقال احمد بن ابي الحواري
دخلت على ابي سليمان الداراني يومًا وهو يبكي فقلت له ما يبكيك فقال يا احمد ولم لا
ابكي انه اذا جن الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه وافترش اهل المحبه
اقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وتقطرت في محاريبهم اشرف الجليل سبحانه

فنادي يا جبريل

فنادي يا جبريل بعيني من تلذذ بكلامي واستراح الى ذكري واني لمطلع عليهم في
خلواتهم اسمع كلامهم وانينهم وارى بكاوهم فلم لا تنادي فيهم يا جبريل ما هذا
البكا هل رايتم حبيبًا يعذب احبابه ام كيف يجمل بي ان اجد قوما اذا جنهم الليل
تملقوا الي بي حلفت اذا وردوا علي يوم القيامه لاكشفن لهم عن وجهي الكريم
حتى ينظروا الي وانظر اليهم من عبده لشي يرجوه منه او ليدفع بطاعته ورود
العقوبه عنه فما قام بحق اوصافه عمل العاملين لاجل حصول الجزا او فرارًا من
عقوبة المولى مدخول معلول ليس من شان العارفين والمحققين لان قيام
العبد بحق اوصافه ولا يقتضي ان لا يعمل لاجل حظه من جلب ثواب او دفع عتاب
لانه عبد يستحق عليه مولاه كل شي ولا يستحق عليه هو شيئًا وهذا من اعلام المحبة
لله تعالى لان المحب يجمع السعي بما يحبه لا مراد له الا ما اراد فعلى العبد ان
يعمل لربه عز وجل لجلاله وعظمته وما هو عليه من محامد صفاته التي لا يشارك
فيها فان خالف فيها وعمل على طلب حظه لم يقم بحق صفات مولاه وكان ذلك نتيجة
جهله وغفلته وعدم حبه لربه ومعرفته قال ابن عبد الله القشيري رضي الله
عنه ما طلعت شمس ولا غربت على احد على وجه الارض الا وهم جهال بالله
تعالى الا من يوثر الله على نفسه وروحه ودنياه واخرته وفي اخبار داود عليه السلام
ان الله تعالى اوحى اليه ان اود الود الي من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبيه
حقها وفيما نقله وهب بن منبه من الزبور ومن اظلم ممن عبدني لجنة او لنار
لو لم اخلق جنة ولا نارًا لم اكن اهلا لان اطاع او كما قال عز وجل وفي اخبار
عيسى عليه السلام اذا رايت التقي مشغوفًا في طلب الرب فقد الهاه ذلك
عما سواه ومر عيسى على طايفة من العباد قد احترقوا من العباده كانهم
الشنان البالية فقال ما انتم فقالوا نحن عباد فقال لاي شي تعبدتم قالوا
اخوفنا الله من ناره فخفنا منها فقال حق على الله ان يومنكم مما خفتم
منه ثم جاوزهم فمر باخرين اشد عبادة منهم فقال لاي شي تعبدتم قالوا
اشوقنا الله الى الجنان وما اعد فيها لاوليايه فنحن نرجوها فقال حق على الله
ان يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم ومر باخرين يتعبدون فقالوا ما انتم قالوا نحن
قالوا نحن المحبين الى الله عز وجل لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا الى
جنته ولكن حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله حقًا معكم امرت ان اقيم
فاقام بين اظهرهم وفي لفظ اخر انه قال للاولين مخلوقا خفتم ومخلوقا احببتم

وقاد للاخرين انتم المغبونون قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه وممن روي
عنه هذا القول واقيم في هذا المقام جماعة من التابعين باحسان منهم ابو
حازم المدني كان يقول اني استحي من ربي ان اعبده خوفا من العذاب
فاكون مثل عبد السوء ان لم يخف لم يعمل واستحي ان اعبده لاجل الثواب فاكون
كالاجير السوء ان لم يعط اجر عمله لم يعمل ولكن اعبده محبة له قال الشيخ ابو
طالب وقد روينا معنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكونن
احدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط اجره
لم يعمل وقال بعض اخوان معروف له اخبرني عنك يا ابا محفوظ اي شي
اهاجك على العباده والانقطاع عن الخلق فسكت فقلت ذكر الموت
فقال واي شي الموت قلت ذكر القبر قال واي شي القبر فقلت خوف
النار ورجا الجنه فقال واي شي هذا ان ملكا هذا كله بيده ان
احببته انساك جميع هذا وان كان بينك وبينه معرفه كفاك جميع هذا قال
ابو طالب وحدثونا عن علي بن الموفق قال رايت في النوم كاني دخلت
الجنه فرايت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه
من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت رجلا قايما على باب الجنه يتصفح وجوه
قوم فيدخل بعضهم الجنه ويرد اخرين قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرايت
في سرادق العرش رجلا قد شخص ينظر الى الله تعالى لا يطرف فسالت رضوان من هذا فقال
معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا
الى جنته بل حبا له فقد اباحه النظر اليه الى يوم القيامه وذكر ان الاخرين بشر
بن الحارث واحمد بن حنبل قال ابو طالب وروينا عن رابعه العدويه وكانت احد
المحبين وكان يجلس بين يديها فيقول علمينا مما اتاك الله من طرايف الحكمه
وكانت تقول نعم الرجل انت لولا انك تحب الدنيا وكان يعترف لها ويسلم لقولها
وكان عالما زاهدا الا انه كان يوثر كتب الحديث والاقبال على الناس وهي ابواب الدنيا
وقال لها الثوري يوما لكل عبد شريطه ولكل ايمان حقيقه فما حقيقة
ايمانك فقالت ما عبدت الله خوفا من النار فاكون كالعبد السوء ان خاف عمل ولا
حبا للجنه فاكون كالاجير السوء اعطي عمل ولكن عبدته حبا له وشوقا اليه والاثار

والحكايات

والحكايات في هذا المعنى كثيرة لا تنحصر فاذا عمل المريد ما ذكرناه كان عبد الله حقا
فان طلب منه الثواب او استعاذ به من العقاب فانما يطلبه او يستعيذ به انجازا
لموعد ربه وفرارا من دعوى رويته حظه واتباعا لما احبه منه واذن له فيه من
طلبه لفضله واحسانه وكرمه وامتنانه وهذا وما اشبهه هو المعني بالحديث المروي
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ما تقول في الصلاه
قال اتشهد ثم اقول اللهم اني اسالك الجنه واعوذ بك من النار اما والله ما احسن دندنتك
ولا دندنة معاذ فقال حولها ندندن لانا يكون رجاوه لحصول ذلك وخوفه من فقده
باعثا له على القيام بطاعته وملازمة عبادته فيكون محله لا ذاكرا بد حول معلوما هذا
هو مذهب العارفين المحققين وعليه تنبني قواعد التصوف فكلها مني اعطاك اشهدك
بره ومتى منعك اشهدك قهره فهو في كل ذلك متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه عليك
المطلوب من العباد ان يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات العليه والاسما الحسنى
ولا سبيل لهم الى معرفته الا بتعريفه وتعرفه لهم انما يكون بما ينزله بهم من النوازل ويورده
عليهم من الاحكام ثم هي على قسمين ما وافق الهوى والطبع ويسمى ذلك عطا او خالفهما
ويسمى ذلك منعا ~~فبوجود العطا~~ فبوجود العطا يشهد صفاته العليه من الجود والكرم
والاحسان واللطف وغير ذلك وبوجود المنع تشهد صفاته القهريه من الجبريه
والكبريا والعزة والاستغنا فينبغي لك ايها العبد ان لا تفرق بينهما ان اردت
معرفة ربك ولم يستوقفك حب حظك اذ المنع لك عطا على التحقيق فهو في
كلتا الحالتين متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه اليك وهذا هو بيان ما تقدم من
قوله مع فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع هو عين العطا والله اعلم قال سفيان
الثوري رضي الله عنه اتينا ابا حبيب البدوي اسلم عليه ولم اكن رايته
فقال لي انت سفيان الثوري الذي يقال لنا قلت نعم ابتل الله عز وجل بركة
ما يقال قال فقال لي يا سفيان ما راينا خيرا قط الا من ربنا قلنا اجل قال فما راينا
نكره لتكن لم نر خيرا قط الا منه ثم قال يا سفيان منع الله اياك عطا منه لك وذلك
انه لم يمنعك من بخل ولا عدم وانما منعه نظر منه واختيار يا سفيان ان فيك لا نسا
ومعك شغل قال ثم اقبل على غنيمته وتركني انما يولمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه
اذا كان منع الله سبحانه وتعالى وعطاوه نعمتين عظيمتين كما ذكرناه الان فينبغي
ان يكون في كليهما قرة عين المريد فان تالم باحدهما وهو المنع ولذلك الاخره

وهو العطا فذلك لعدم فهمه وقصور علمه بل الاكمل والافضل له ان يولم
بالعطا ويلتذ بالمنع كما قال ابراهيم الخواص رضي الله عنه لا يصلح الفقر للفقير
حتى يكون فيه خلتان احدهما الثقه بالله والاخرى الشكر لله فيما زوى عنه
مما ابتلى به غيره من الدنيا ولا يكمل الفقير حتى يكون نظر الله له في المنع
افضل من نظره له في العطا وعلامة صدقه في ذلك ان يجد للمنع من الحلاوه
ما لا يجد للعطا لا يعرفه غير باريه الذي خصه بمعرفته واياديه فهو لا يرى
سوى مليكه ولا يملك الا ما كان من تمليكه وكل شي له تابع وكل شي له خاضع
انتهى ربما فتح لك باب الطاعه وما فتح لك باب القبول وقضى عليك بالذنب
فكان سببا للوصول ينبغي ان لا ينظر العبد الى صور الاشيا ولينظر الى حقايقها
فصور الطاعات لا تقتضي وجود القبول لها لما قد تضمنته من الافات القادحه
في الاخلاص فيها وذلك مانع من وجود القبول لها ووجود صورة الذنب
لا تقتضي الابعاد والطرد بل ربما يكون ذلك سببا في وصوله اليه وحصوله
في حضرت قربه كما قيل رب ذنب ادخل صاحبه الجنه وقد جا في الحديث
الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجا بقوم يذنبون
فيستغفرون الله فيغفر لهم وذلك انه يصحبه عند عمله بالطاعات ان يعجب
ويعتمد عليها ويتكبر بفعلها ويستصغر من لم يفعلها وتصحبه عند وقوعه
في الذنب اللجا الى الله تعالى فيه والاعتذار اليه منه واستصغار نفسه
وتعظيم من لم يفعله قال ابو حازم ان العبد ليعمل الحسنه تسره حين
يعملها وما خلق الله من سيه اضر له منها وان العبد ليعمل السيه تسوه
حين يعملها وما خلق الله من حسنة انفع له منها وذلك ان العبد حين يعمل
الحسنه تسره فيتجبر فيها ويرى ان له فضلا على غيره ولعل الله ان يحبطها او
يحبط معها عملا كثيرا وان العبد ليعمل السيه تسوه حين يعملها ولعل الله
ان يحدث له بها وجلا حتى يلقى الله تعالى وان خوفها في جوفه لباق ثم بين

ثم بين المولف رحمه الله تعالى هذا المعنى بقوله معصية اورثت ذلا وافتقارا
خيرا من طاعة اورثت عزا واستكبارا الذل والافتقار من اوصاف العبوديه
والعز والاستكبار ليسا وصفان لها لانهما من صفات الربوبيه ولا خير في الطاعات
اذا لزم عنها شي مما يناقض صفات العبوديه لانها تحبطها وتبطلها
كما لا مبالات بالمعصيه اذا لازمتها صفات العبوديه لانها تحبطها وتبطلها
كما لا مبالات بالمعصيه اذا لازمتها صفات العبوديه لانها ايضا تمحوها
وتزيلها قال سيدي ابو مدين رضي الله عنه انكسار العاصي خير من
صولة المطيع وكان سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه كثير الرجا العاد
الله الغالب عليه شهود وسع الرحمه وكان يكرم الناس على نحو رتبتهم
عند الله تعالى حتى انه ربما دخل عليه مطيع فلا يحتفل به وربما دخل عليه
عاص فاكرمه لان ذلك الطايع اتا وهو متكبر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصي
دخل عليه بكثرة معصية وذلة مخالفته وقد تقدم مثل هذا عند قوله لا يعظم
الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله فمن هذا المعنى ما روي
عن ابان بن ابي عياش رضي الله عنه انه قال خرجت يوما من عند انس
بن مالك بالبصره فرايت جنازة يحملها اربعه من الزنج ولم يكن معها رجل
اخر فقلت سبحان الله سوق البصره وجنازة مسلم لا يشيعها احد فلا كونن
خامسهم فشيعتها معهم فلما وضعوها بالمصلى قالوا لي تقدم فقلت انتم اولى به
فقالوا كلنا سوا فتقدمت فصليت عليه وقلت لهم ما القصه فقالوا امرتنا
تلك المراه قال فقعدت نرقبه فلما كان بعد ساعه انصرفت تلك المراه وهي
تضحك فدخل قلبي شي فقلت لا يضحك الا المصوفا خبريني ابش القصه فقالت لي ان
هذا ابني ما ترك شيا من المعاصي الا فعله فمرض منذ ثلاثة ايام فقال لي يا اماه
اذا مت فلا تعلمي بموتي جيراني فانهم لا يحضرون جنازتي ويشمتون بموتي
واكتبي على خاتم لا اله الا الله محمد رسول الله واجعليه على كفني فلعل الله يرحمني
وضعي رجلك على خدي وقولي هذا جزا من عصى الله فاذا دفنتني فارفعي يديك
الى الله تعالى وقولي اني قد رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما
اوصاني به فلما رفعت يدي الى السما سمعت صوته بلسان فصيح انصرفي
يا اماه فقد قدمت على رب كريم رحيم غير غضبان علي فانما ضحكت
من هذا ومن المعنى الاخر ما روي ان رجلا من بني اسرايل اتى عابدا من
بني اسرايل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله
لك فاوحى الله عز وجل اليه ايها المتالي علي بل انت لا يغفر الله لك قال الحارث

المحاسبي رضي الله عنه لانه اذا ما اتى على الله عز وجل لا يغفر الله له لعظم قدر
نفسه عنده وان الاساءة اليه عند الله عز وجل عظيمه لا يغفر الله عز وجل
لعبادته وسجوده لانه نفسه عظيم القدر عند الله عز وجل فجمع عجبا وكبرا
واغترارا بالله عز وجل من المعنيين جميعا ما روي عن عيسى عليه السلام خرج
ومعه صالح من صالحي بني اسرائيل فتبعهما رجل خاطئ مشهور بالفسق فيهم فقعد
منتبذا عنهما منكسرا فدعا الله سبحانه وتعالى وقال اللهم اغفر لي ودعا هذا الصالح
وقال اللهم لا تجمع بيني وبين ذلك الخاطئ فاوحى الله الى عيسى عليه السلام اني قد
استجبت دعاءهما جميعا ورددت ذلك الصالح وغفرت لذلك المجرم وروي عن الشعبي
وروي ايضا عن الجلد بن ايوب ان رجلا كان في بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل
لكثرة فساده مر برجل اخر من بني اسرائيل يقال له عابد بني اسرائيل وعلى راس العابد
غمامة تظله فقال الخليع في نفسه انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست
اليه لعل الله عز وجل ان يرحمني به فجلس اليه فقال العابد في نفسه انا عابد بني اسرائيل
وهذا خليع بني اسرائيل يجلس الي فانف منه وقال قم عني فاوحى الله عز وجل الى نبي
ذلك الزمان ان مرهما يستانفان العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفي
حديث اخر فتحولت الغمامة على راس الخليع قال الحارث المحاسبي وانما اراد
الله عز وجل من عباده قلوبهم فتكون جوارحهم تبعا لقلوبهم فاذا تكبر العابد
او العالم وانف وتواضع الجاهل او العاصي ذلا وهيبة لله عز وجل وفرقا منه
فهو اطوع لله عز وجل من العابد او العالم بعلمه نعمتان ما خرج موجود عنهما
ولا بد لكل مكون منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد نعمة الايجاد ونعمة
الامداد نعمتان لازمتان لكل مكون موجود باق لانه في ذاته معدوم
متلاش فنعمة الله الايجاد ازالة العدم السابق ولولا ذلك لم يزل معدوما
ونعمة الامداد ازالة العدم اللاحق ولولا ذلك لتلاشى وفي ذلك قال سيدي
ابو مدين الحق تعالى مستمد الوجود مستمد المادة من عين الوجود
فلو انقطعت المادة انهد الوجود وهذا توطية لما يريد بيانه من الفقر الذاتي
للعبد انعم عليك اولا بالايجاد وثانيا بتوالي الامداد هذا احد جزئيات
الكلية المتقدمة وهو وجودك ومما لا ينبغي ان يتغافل عنه من انواع هذا
الجنس نعمة ايجاد الايمان ومحبة الطاعة في قلبك وامدادهما وكذلك كراهية
الكفر والمعصية فان ذلك من النعم العظيمة التي لا مدخل للعبد فيها ولا للوسيلة
اليها ولولا تولي الله تعالى له بتبيين النعمتين في القسمين لتاه في ظلمات

الضلاله

الضلاله وغرق في بحار الجهاله وقد نبه الله عز وجل على هذا المعنى في كتابه العزيز فقال عز من قائل
ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك
هم الراشدون فضلا من الله ونعمة قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه وان من اتكر في
صنوف الضلال وكثرة طرف المحال وشدة اغاليط الناس في البدع والاهواء وما
يتشعب بكل قوم من مختلف النحل والاراء ثم اتكر في ضعفه ونقصان عقله وكثرة تحيره
في الامور وشدة جهله وتناقض تدبيره في احواله وشدة حاجته الى الاستعانة باشكاله
في اعماله ثم راى خالص يقينه وقوة استبصاره في دينه ونقاء وجه توحيده عن غبرة الشرك
وصفاء عين عرفانه عن وهج الشك علم ان ذلك ليس من طاقته ولا بجهده وكده بل بفضل
ربه وسابغ طوله قال الله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فهو الظاهر بعنايته
وانما نعمه عليك متظاهرة والباطن بالائه وزوائد كرمه لديك متواترة انتهى فعلى العبد
ان يعرف قدر هذه النعمة ويتوكل على مولاه في بقائها وحفظها عليه ولا يعتمد على
ذلك على عقله وعلمه قال بعض العارفين من نظر في توحيده الى عقله لم ينجه توحيده
من النار وعن ذي النون المصري رضي الله عنه ما هو قريب من هذا من كان في توحيده
ناظرا الى نفسه لم ينجه توحيده من النار حتى يكون نظره اليه في توحيده اياه عز
وجل فهذا هو شكر هذه النعمة العظيمة قال الشيخ ابو طالب المكي فعلى ما ذكر
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله احبوا الله تعالى لما اسدى اليكم
من نعمه ولما يغذوكم به ايضا فمن افضل ما عدد انا به نعمة الايمان به والمعرفة
له وعزاوه لنا سنة دون ذلك وملاه بروح منه وتثبيتا عليه في تصريف الاحوال
الذي هو اصل الاموال التي مكان النوال تقلوب تقلوبنا عن التوحيد كما يقلب
جوارحنا في الذنوب ولو قلب قلوبنا في الشكوك لفعلا كما يقلب
في الاعمال فاي شيء كنا نصنع وعلى اي شيء كنا نقول واي شيء كنا نطمع
ونرجو انه هذا من كبائر النعم ومعرفته هو شكر نعمة الايمان والجهل بهذا
غفلة عن نعمة الايمان يوجب العقوبة وادعاء الايمان
ان يسلب الايمان لانه بدل شكر نعمة الله كفرا انتهى ولما فعل توهم ذلك
وهو حسن في المعنى فاتتك لك ذاتيه وورود الاسباب من كلام الشيخ ابو طالب
عليك منها والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض اذ اثبتت مذكرات لك بما هو
لازمتان لك وانك في ذاتك عدم لولاهما فالافتقار ذاتيه لك ولا اضطرار الازم
لوجودك وان لتشغلنا بوجود النعمتين المذكورتين فان ذلك امر عرضي
والامور الذاتيه لا تزيلها الامور العرضيه ولما اورد عليك الاسباب التي تضاد
وجودك وبقاء وجودك ليذكرك بذلك فما خفي عليك من وجود الفاقة الذاتيه
لك والاضطرار اللازم لوجودك فقال ثم ذكرك وتفهم بحقيقة عبوديته ولا تجاوز

حتى كونه طوركنا قال بعضهم انما جعل فرعون لانه قال انا ربكم الاعلى لطول العوافي
والغنا لبث اربعماية سنة لم يتصدع راسه ولم يحم جسده ولم يضرب عليه عرق
فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة ساعة واحدة او المليلة كل يوم لشغله ذلك عن
دعوى الربوبية قال في لطايف المنن الاضطرار ترجمة حقيقة العبد اذ هو
ممكن وكل ممكن مضطر اليه ابدا ولا يزايل العبد هذا الاضطرار لا في الدنيا ولا في الاخرة
ولو دخل الجنة فهو محتاج الى الله تعالى فيها غير انه غيب اضطراره في المنة التي افرغت
عليه ملابسها وهذا هو حكم الحقايق اذ لا يختلف حكمها لا في الغيب ولا في الشهادة
ولا في الدنيا ولا في الاخرة فالعلم صفته الكشف اي علم كان وفي اي وقت كان
والارادة صفتها التخصيص اي ارادة كانت وفي اي وقت كانت ومن اتسعت
انواره لم يتوقف اضطراره وقد عتب الله تعالى اقواما اضطروا اليه عند وجود
اسباب الجاتهم الى الاضطرار فلما زالت زال اضطرارهم قال الله تعالى واذا
مسكم الضر في البحر الاية وقال واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه الاية
وقال قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الاية الى غير ذلك من الايات الواردة
في هذا المعنى ولما لم تصل عقول العموم الى ما تعطيه حقايق وجودانهم سلط
الحق عليهم الاسباب المثيرة للاضطرار ليعرفوا قهر ربوبيته وعظمة الاهيته
انتهى خير اوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد الى وجود ذلتك
انما كان هو خير الاوقات لك لوجود حضورك فيها مع ربك وانقطاع نظرك
عن الوسايط والاسباب الموجبة لبعدك وحجبك فلهذا قال خير اوقاتك وهي مواسم
ولعياذك حسبما يقول المولف رحمه الله تعالى بعد هذا يحكى عن عطا السلمي رضي
الله عنه انه بقي سبعة ايام لم يذق شيا من الطعام ولم يقدر على شي فسر قلبه
بذلك غاية السرور فقال يا رب ان لم تطعمني ثلاثة ايام اخر لاصلين لك الف
ركعة وقيل ان فتح الموصلي رضي الله عنه رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشا ولا سراجا
ولا حطبا فاخذ يحمد الله تعالى ويتضرع اليه ويقول الهي لاي سبب وباي
وسيلة واستحقاق عاملتني بما تعامل به اولياءك وقال بشر بن الحارث الحافي
رضي الله عنه بلغني ان بنتا لفتح الموصلي عريت فقيل له الا تطلب من يكسوها
فقال لا اكسوها حتى يرى الله عريها وصبري عليها قال فكان اذا كان ليالي
الشتاء جمع عياله وقال بكسائه عليهم ثم قال الهي افقرتني وافقرت عيالي وجوعتني
وجوعت عيالي واعريتني واعريت عيالي باي وسيلة توسلت اليك وانما تفعل
هذا باوليائك واحبابك فهل انا منهم حتى افرح قيل ان الفضيل بن عياض رضي الله عنه
بكى في ليلة شديدة ثم قال الهي اجعتني واجعت عيالي واعريتني واعريت عيالي وا

واقعدتني

واقعدت عيالي بليل ليس فيه مصباح وانما تفعل هذا باوليائك فباي عمل نلت هذا منك الهي يا ب
عمل استحققت هذا منك حتى ادوم لك عليه وقيل للربيع بن خثيم رضي الله عنه
قد غلا السعر فقال نحن اهون على الله من ان يجيعنا انما يجيع اولياءه متى اوحشك
من خلقه فاعلم انه يريد ان يفتح لك باب الانس به باب الانس بالله تعالى هو
الاستيحاش من الناس ولذلك قالوا من علامات الافلاس الاستيناس بالناس
فاذا فتح لك هذا الباب استوحشت من الاغيار كلها وتحققت انسك
بربك ومعنى الوحشة منها ان تشمئز منها بقلبك وتنقبض عنها بسرك
ولا يكون للاشيا موقع عندك ولا تجد فيها متعة لك كما جاء في ابي يزيد
رضي الله عنه حين اطلع على انواع من العجايب ووجه بشي من الرغايب وكشف
له عن الملكوت الاعلى فقيل له هل استحسنت منها شيا فقال البراري ما
استحسنته فقيل له انت عبد الله حقا فاذا كان العبد على هذا الوصف
كان ذلك علامة على تحققه بمقام الانس ونزوله في حضرة القدس ويأتي هذا
المعنى في قوله فيما جاء به انت المونس لهم حيث اوحشتهم العوالم
ومتى اطلق لسانك بالطلب منه فاعلم انه يريد ان يعطيك اطلاق اللسان
بالطلب هو ان تحل عنه عقدة الصمت الذي اوجبه الاستغنا بالاغيار وعدم
روية الفاقة والافتقار فاذا احل منه هذه العقدة بشهود فقره وفاقته
وانطلق لسانه بالطلب كان اذا كان داعيا بلسان الاضطرار كان مجاب
الدعوة لصدق الموعود باجابة دعوة المضطر والله لا يخلف الميعاد وانشد
لو لم ترد نيل ما ارجوه واطلبه   من فيض جودك ما علمتني الطلبا
وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اذن له في الدعا منكم فتحت له ابواب الرحمة وما سئل الله شيا احب
اليه من ان يسال العفو والعافية في الدنيا والاخرة وروي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال من اعطي الدعا لم يحرم الاجابة قال الشيخ ابو بكر الخفاف رضي الله عنه
وكيف لا يجيبه وهو يحب صوته ولولا ذلك ما فتح له الدعا عن انس بن مالك رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا احب عبدا صب عليه البلا
صبا وسحه عليه سحا فاذا دعا قالت الملايكة صوت معروف وقال جبريل
عليه السلام يا رب عبدك فلان اقض حاجته فيقول دعوا عبدي فاني
احب ان اسمع صوته فاذا قال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك
لا تدعوني بشي الا استجبت لك ولا تسالني عن شي الا اعطيتك اما ان اعجل
لك ما سالت واما ان اخر لك عندي افضل منه واما ان ادفع عنك به مرا

ما هو أعظم من ذلك العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله
قراره معرفة العارفين هي معرفتهم بأنفسهم وبما هي عليها من الفاقة
والافتقار إلى العزيز الجبار وبقدر ما يتحققون بذلك في أنفسهم تكون معرفتهم
بالله عز وجل كما جاء في الخبر من عرف نفسه عرف ربه فلذلك كان العارف
لا يفارقه الاضطرار قال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه في قوله
تعالى أمن يجيب المضطر إذا دعاه الولي لا يزال مضطرا قال ابن عطا الله رحمه
الله يعني كلام الشيخ هذا أن العامة اضطرارهم بمثير الأسباب فإذا
زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة دايرة الحس على مشهدهم فلو شهدوا
قبضة الله الشاملة المحيطة لعلموا أن اضطرارهم إلى الله تعالى دايم وإنما لم يكن له
مع غير الله قرار لوجود وحشته من الأشيا ونفوره بقلبه عنها كما
تقدم وكأنه رحمه الله تعالى قصد بها أن يعلمك أن ما تقدم له من الاستيحاش
من الخلق وانطلاق اللسان بالطلب من الحق نعتان من نعوت العارفين
أنار الظواهر بأنوار آثاره وأنار السرائر بأنوار أوصافه لأجل ذلك أفلت أنوار
الظواهر ولم تأفل أنوار القلوب والسرائر ولذلك قيل إن شمس النهار تغرب
بالليل وشمس القلوب ليس تغيب أنوار الظواهر التي بها أنارها الحق تعالى
هي الإدراكات والإحساسات والحركات التي اتصف بها ظاهر العبد
وأنوار السرائر التي بها أنارها الحق تعالى هي المعارف والعلوم ولطايف الإدراكات
والفهوم التي اشتمل عليها باطنه وسره وأنوار الظواهر متعلقة بأنوار الصفات
الأزليات ولأجل اختلاف المتعلقين في الحدوث والقدم والفنا والبقا لا صح ما ذكره
المولف رحمه الله من أفول أنوارها تعلقها بالحادث الفاني وعدم أفول الأنوار
ما تعلق بالقديم الباقي ثم أنشد المولف البيت المذكور مستشهدا به على ما ذكره
ومعناه بين وقبله طلعت شمس من أحب بليل فاستضات فما لها من غروب
وفي هذا تنبيه على أن الأمور الباقية هي التي ينبغي أن يغتبط بها ويفرح بحصولها
ويعتني بتربيتها ومراعات حالها بخلاف الأمور الفانية الزايلة وجنيد
يكون العبد على ملة إبراهيم عليه السلام حيث قال لا أحب الآفلين
ويروى أن رجلا سأل سهل بن عبد الله رضي الله عنه عن القوت فقال
هو الحي الذي لا يموت فقال إنما سألناك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل
سألناك عن الغذا فقال الغذا هو الذكر قيل إنما سألناك عن طعم الجسد

فقال بالكل

فقال إنما الكل الجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخرا إذا دخلت علة فرده إلى صانعه
أما رأيت الصنعة إذا عيبت ردوها إلى صانعها حتى يصلحها وفي معناه أنشدوا

كمل حقيقتك التي لم تكمل … والجسم دعه في الحضيض الأسفل
أتكمل الفاني وتترك باقيا … هملا وأنت بأمره لم تحفل
فالجسم للنفس النفيسة آلة … ما لم تحصله بها لم يحصل
يفنى وتبقى دايما في غبطة … أو شقوة وندامة لا تنجلي
أعطيك جسمك خادما فخدمته … أتملك المفضول رق الأفضل
شرك كثيف أنت في حبالته … ما دام يمكنك الخلاص فعجل
من يستطيع بلوغ أعلى منزل … ما باله يرضى بأدنى منزل
يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته … وتطلب الربح مما فيه خسران
عليك بالنفس فاستكمل فضايلها … فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وقيل في هذا أيضا ليخفف ألم البلا عليك علمك بأنه سبحانه هو المبلي لك فالذي واجهتك
منه الأقدار هو الذي عودك حسن الاختيار إذا علم العبد أن الله تعالى رحيم به
وعاطف عليه وناظر إليه فكل ما يورده عليه من أنواع البلايا والرزايا ينبغي أن لا يكترث
بذلك ولا يبالي به فإنه لم يقصد منه إلا الخير ليمحص به قلبه وليعتقد أن ذلك اختيار الله
وأن له في ذلك مصالح خفية لا يعلمها هو كما قال تعالى وعسى أن تكرهوا شيا وهو خير لكم
قال أبو طالب المكي في هذه الآية فالعبد يكره العيلة والفقر والخمول والضر وهو خير له في الآخرة
وقد يحب الغنا والعوافي والشهوة وهو شر له عند الله تعالى واستواي في معنا قوله
تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة البلا لأنها نعمة في الآخرة فإذا كل ما يصيب
المومن فهو نعمة كائنا ما كان فلله الحمد على نعمه قال في التنوير إنما يقويهم
على حمل أقداره شهود حسن اختياره والشكر فيه لنفسه يقول

وخفف عني ما ألاقي من العنا … بأنك أنت المبتلي والمقدر
وما لامرئ عما قضى الله معدل … وليس له منه الذي يتخير

وكان الأستاذ أبو علي رضي الله عنه يقول رجبت سنة وكنت بحضوره وحشة
من ذلك فدخلت الحمام فقيل على قلبي بشي من الرضا ولكنت أنتم كل غوحدة من تلك
الفتوح فمحدت لم يبقى منها أثر وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه
سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رضي الله عنه يقول في آخر عمره وقد اشتدت به علته
قال من أمارات التأييد حفظ التوحيد في أوقات الحكم ثم قال كالمفسر لقوله مثيرا

الي ما كان فيه من حاله هو ان يفرفكل عفاريض القدره في امضا الاحكام
قطعة قطعة وانت ساكن خامد وقال الجنيد كنت نايما عند سري
السقطي رضي الله عنهما فانبهني وقال لي يا جنيد رايت كاني قد وقفت
بين يديه وقال يا سري خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتي وخلقت
الدنيا فهرب مني تسعة اعشارهم وبقي معي العشر فسلطت عليهم
ذره من البلا فهرب مني تسعة اعشار اعشار العشر فقلت للباقين
معي لا للدنيا اردتم ولا الجنة اخذتم ولا من النار هربتم فماذا تريدون قالوا
انك تعلم ما نريد فقلت لهم اني مسلط عليكم من البلا بعدد انفاسكم ما لم تقوم
له الجبال الرواسي اتصبرون قالوا اذا كنت انت المبتلي فافعل ما شيت
فهولا عبادي حقا من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره
فقصور النظر في رويه اللطف في القدر من ضعف اليقين وسو الظن بالمقدر
الحكيم اذ لو كمل نظر العبد وقوي بصره لراي في ذلك من الفوايد والمصالح ما
لا يحصي وما غاب عنه اكثر فكان كما روي عن بعض الصالحين العارفين
انه قال نفل مرضت مرضة فاحببت ان لا تزول وكان العمران بن الحصين
قد استسقى بطنه فلبث ملقي على ظهره سطيحا ثلاثين سنه لا يقوم ولا يقعد
قد نقب له على جريد وكان تحته ثقب لغايطه وبوله فدخل عليه مطرف
او اخوه العلا بن الشخير فجعل يبكي لما راه من حاله فقال لم تبكي قال لاني ارا(ك) على
هذه الحاله العظيمه قال لا تبكي فان احبه الي احبه الله سبحانه وتعالي ثم قال
احدثك بشي لعل الله تعالي ان ينفعك به واكتم علي حتي اموت ان الملايكه
تزورني فانس بها وتسلم علي فاسمع تسليمها وقال دخلنا على سويد بن
منعه نعوده فراينا ثوبا ملقي فما ظننا ان تحته شيا حتي كشف
فقالت له امراته اهلي فداك ما نطعمك وما نسقيك فقال طالت الضجعة
ودبرت الحراقيف واصبحت لا اسيطع طعاما ولا اسيغ شرابا منذ كذا وكذا
فذكر اياما ثم قال ما يسرني ان نقصت من هذا قلامة ظفر فهولا شاهدوا
في بلاياه عطاياه وفي محنه منته وفي عنفه لطفه فاوجب لهم ذلك الرضا

بما هو فيه

بما هو فيه الرضا والتنعم به والتلذذ بما يجدوه على ان لا يجهوا انواله عنهم ولا انفصاله
ووجوه الالطاف والمنن في البلايا لا تحصي ولكنا نذكر منها هاهنا ما يزداد به
المريد قوة في حسن ظنه بربه عز وجل وتحمله ذلك على القيام بواجبها فنقول
البلايا التي يبتلي الله تعالي بها عباده سابقة لارادتهم ومنغصة لشهواتهم
وكلما ازعج النفس ونغصها والمها فهو يجود العاقبه من قبل ان ذلك زاد لسه
الي الله تعالي وملازمة بابه بصرف الرجا والافتقار وهذا هو اعظم فوايد البلايا
ويجد ذلك من نفسه كل من نزلت به بليت او اصابته رزيه وفيها ايضا فمع
النفس وذهاب غرورها وبطلان صفاتها اذ بوجود ذلك يقع العبد في الذنوب
والمعاصي وتتاكد منه الرغبه في الدنيا والحرص على اتباع الهوي وقل ما لا
يخلو المومن من علة او عيلة او قلة او ذلة وفي الخبر عن الله تعالي الفقر
سجني والمرض قيدي احبس بذلك من احببت من عبادي وفيها
ايضا يحصل له طاعة القلوب واعمالها وذرة منها خير من امثال الجبال
من اعمال الجوارح وذلك مثل الصبر والرضا والزهد والتوكل وحسن
لقا الله تعالي قيل لعبد الواحد بن زيد رضي الله عنه هاهنا رجل
قد تعبد خمسين سنه فقصده فقال له حبيبي اخبرني عنك هل
قنعت به قال لا قال فهل انست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا
قال فانما مزيدك منه الصلاة والصيام قال نعم قال لولا اني استحي منك
لاخبرتك ان معاملتك خمسين سنه مدخوله قال ابو طالب المكي رضي الله
عنه اراد بذلك انه لم يرفعك باعمالك الي مقامات المقربين فيوجدك
مواجد العارفين فيكون مزيدك منه اعمال القلوب التي يستعمل بها كل
محبوب مطلوب لان القناعة به حال الموقن والانس مقام المحب
والرضا وصف المتوكل يعني انما انت عنده من طبقة اصحاب اليمين
فمزيدك منه مزيد العموم من اعمال الجوارح وهذه اشارة الي ما قلناه
من افضلية اعمال القلوب على اعمال الجوارح فمن وفقه الله تعالي الي
منازلة هذه المقامات وتوفية حقوقها في البلايا النازله فقد حصل
على كنوز التي ذكر ابو ابراهيم اسحاق ابن ابراهيم التجيبي القرطبي المالكي
رحمه الله تعالي في كتاب النصايح له ان عروة بن الزبير ابتلي بقرحة
في ساقه فبلغت الي نشر عظم ساقه في الموضع الصحيح منها فقال له

والاطبا الا تستقيك موقدا افلا نحسن ما يصنع بك فقال لا ولكن شانكم بها
فنشروا الساق ثم حسموها بالنار فما حرك عضوا ولا انكروا منه حتى مسته
النار فما زاد على ان قال حس واصيب حينئذ بابنه محمد وكان من احب ولده
اليه فلما راي القدم بيد بعضهم قال اما والله تعالى يعلم اني لم امش بها الى معصية
قط ثم قال يا غلام اغسلها وكفنها وادفنها في مقبرة المسلمين ثم جعل يقول
لعمرك لئن اخذت لقد ابقيت ولئن ابتليت لقد عافيت ولئن اخذت
لطالما اعطيت وذكر ابن قتيبة في عيون الاخبار له عن المدني
قال قدم رجل من عبس ضرير محطوم الوجه على الوليد فساله عن سبب
ضرره فقال رايت ليلة في بطن واد ولا اعلم على وجه الارض عبسيا
يزيد ماله على مالي فطرقنا سيل اذهب ما كان من اهل ومال وولد الا صبيا
رضيعا وبعيرا صعبا فند البعير والصبي معي فوضعته واتبعت البعير لاحبسه
فما جاوزت الا وراس الذيب في بطنه قد اكله واتبعت البعير فاستدار
فرمحني رمحة حطم بها وجهي واذهب عيني فاصبحت لا ذا مال ولا ذا
اهل ولا ذا ولد ولا ذا بصر فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم ان في الناس
من هو اعظم بلاء منه وروي عن عبد الواحد بن زيد انه خرج مع بعض
اخوانه الى ناحية من نواحي البصرة فالجاهم السيل الى كهف جبل فاذا فيه عبد
متقطع بالجذام يسيل جسده قيحا وصديدا فقالوا له يا هذا لو دخلت
البصرة فتعالجت من هذا الذي بك فرفع طرفه الى السماء وقال يا سيدي
باي ذنب سلطت علي هولاء يسخطوني عليك ويكرهوك الي سيدي تبت
اليك من ذلك الذنب واستغفرك منه لا اعود فيه ابدا ثم اعرض عنا بوجهه
فانصرفنا وتركناه وروي عن بشر بن الحارث الحافي رضي الله عنه انه قال رايت
بعبادان رجلا قد قطعه البلا وقد سالت حدقتاه على خديه وهو في ذلك
كثير الذكر عظيم الشكر لله تعالى قال واذا هو صريع من جنبه قال
فوضعت راسه في حجري وجعلت اسال الله تعالى ان يكشف ما
به وادعو فافاق فسمع دعائي فقال من هذا الفضولي الذي يدخل
بيني وبين ربي ويعترض عليه في نعمته علي فنحا راسه من حجري
قال بشر فاعتقدت ان لا اعترض ~~عليه~~ في نعمة اراها عليه من البلا
وقد روي

وقد روي عن بعض الاخبار ان يونس وجبريل التقيا فقال يونس لجبريل
عليهما السلام دلني على اعبد اهل الارض فاتا به على رجل قد قطع الجذام
يديه ورجليه واذا هو يقول متعتني بهما حيث شئت وسلبتهما
حيث شئت وابقيت لي فيك الامل يا بريا يا وصول فقال يونس يا جبريل
انما سالتك انقى صواما قواما قال ان هذا كان قبل البلا هكذا وقد
امرت ان اسلبه بصره فاشار الى عينيه فسالتا فقال متعتني بهما
حيث شئت وسلبتهما حيث شئت وابقيت لي فيك الامل يا بريا
يا وصول فقال جبريل عليه السلام هلم ندعوا وتدعوا معك ان يرد عليك
يديك ورجليك وبصرك فتعود الى العبادة التي كنت فيها فقال ما احب ذلك
قال ولم قال اذا كانت محبته في هذا فمحبته احب الي من ذلك قال يونس
يا جبريل ما رايت احدا اعبد لله من هذا قال يا يونس ان هذا طريق ليس
يوصل الى رضاه بشي افضل منه وفي الخبر اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر
اجتباه وان رضي اصطفاه وفيها ايضا يحصل له كفارة الذنوب والخطايا
ويستوجب من الله جزيل الهبات والعطايا ولا سبيل له الى ذلك
الا بما يرد عليه من انواع البلايا لان العبد قد يعجز عن القيام بوظايف
الطاعات ويتكاسل عن المواظبة على نوافل الخيرات فيكون
حينئذ محروما من ثوابها غير حاصل له تكفير سياته بها وان قدر
عليها ولم يتكاسل عنها من له بتخليصها عن الشوايب وتسليمها
من الافات والمصايب وحينئذ يبطل عمله ويخيب من انتفاعه
به لعله فليحسن العبد ظنه بمولاه وليعلم انما يختاره له خير مما يختاره
لنفسه بشهوته وهواه فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال للرجل الذي قال له اوصني قال لا تتهم الله في شي قضاه عليك
وذكر مسلم رحمه الله من حديث صهيب رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المومن ان امره كله خير وليس ذلك
لاحد الا للمومن ان اصابته سرا شكر فكان خيرا له وان اصابته
ضرا صبر فكان خيرا له وذكر البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث
ابي هريرة وابي سعيد الخدري رضي الله عنهما انهما سمعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما يصيب المومن من وصب ولا نصب ولا سقم
ولا حزن حتى الهم يهمه الا كفر به من سياته وذكر ايضا حديث عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم

يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حط عنه به سياته كما تحط
الشجرة ورقها وذكر البخاري ومسلم ايضا من حديث عايشة رضي الله
عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يشاك شوكة
فما فوقها الا كتبت له درجة ومحيت عنه بها خطيئة وذكر البخاري ايضا
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد
الله به خيرا يصب منه وفي حديث انس بن مالك رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المريض اذا برئ وصح من مرضه كمثل
البردة تقع من السما في صفايها ولونها وروي عن عيسى عليه السلام
انه قال لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصايب والامراض على جسده
وماله لما يرجوا بذلك من كفارة خطاياه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اخبار
كثيرة في الحمى والغم وغير ذلك وذكر البزاز من حديث ابي سعيد الخدري رضي
الله عنه انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وعليه
حمى فوجد حرها من فوق اللحاف فقال ما اشدها عليك يا رسول الله فقال
انا كذلك يشدد علينا البلا ويضاعف لنا الاجر قال يا رسول الله اي الناس اشد
بلا قال الانبيا ثم الصالحين ان كان احدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد الا عباءة
يحويها وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان احدهم ليفرح
بالبلا كما يفرح احدكم بالرخا وقيل في معنى قوله تعالى فيه رجال يحبون ان
يتطهروا والله يحب المطهرين اي من الاثام والذنوب بالحمى والامراض لما قاله
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه في الحمى اذهبي الى اهل قبا وقد ذكر
في بعض الاخبار بدلا من اهل قبا الانصار وفيه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم راى يوما شخصا اسود فقال من انت قال ام ملدم صورة الحمى فقال عليه
السلام اذهبي الى الانصار فان لهم علينا حقوقا فاصبح النبي صلى الله عليه وسلم
فلم ير احدا من الانصار يحضر الصلاة فطلبهم فقالوا اخذتنا الحمى فقال قوموا بنا
نعودهم وقال اللهم الحمى طهارة وكفارة فقالوا يا رسول الله ادع الله حتى تزيدنا
منها وذكر مسلم من حديث جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل على ام السايب او ام المسيب فقال ما لك يا ام السايب او يا ام المسيب
تزفزفين قالت الحمى لا بارك الله فيها فقال لا تسبي الحمى فانها تذهب خطايا
بني ادم كما يذهب الكير خبث الحديد وذكر البخاري رضي الله عنه قال سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل قال اذا ابتليت عبدي المومن
بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه كذا فسر في اخر الحديث
من قول احد الرواة والحبيبتان هما العينان وهما الكريمتان ايضا وروي
ان انس بن مالك وابا ظلال كانا في بيت ثابت البناني فقال انس يا ابا ظلال
متى فقدت بصرك قال وانا صبي لا اعقل قال الا احدثك حديثا حدثنيه
حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه عن جبريل عن ربه عز وجل قال
يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال
جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي ومن طريق هلال بن سويد وهو
ابن ابي ظلال المذكور انه سمع انسا يقول لعمرو بن ام مكتوم فسلم فقال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم بما حدثني به جبريل عليه السلام
عن هذا وضربائه الذين ذهبت ابصارهم قال صلى الله عليه وسلم حدثني جبريل
عليه السلام ان الله عز وجل يقول حق على من اخذت كريمتيه ليس له
جزا الا الجنة وفي حديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اصيب
عبد بعد ذهاب دينه باشد من ذهاب بصره وما ذهب بصر عبد
فصبر الا لقي الله ولا حساب عليه وذكر البخاري ومسلم رضي الله عنهما
من حديث ابن العباس رضي الله عنه ان امراة سودا اتت النبي صلى الله
عليه وسلم فقالت اني اصرع واني اتكشف فادع الله لي قال ان شيت
صبرت ولك الجنة وان شيت دعوت الله ان يعافيك قالت اصبر
قالت فاني اتكشف فادع الله ان لا اتكشف فدعا لها الى غير ذلك مما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب مما لا يحصى كثرة وفيها
ايضا يحصل به تجديد التوبة باداء الحقوق والتبعات والظلامات
وكثرة الاستغفار وحسن التذكار وكثرة ذكر الموت اذ ذاك ابلغ ما
يذكر به فقد قيل في الحمى بريد الموت وقد قيل في قوله تعالى اولا يرون
انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون اي يختبرون
بها وفي حديث عايشة وانس رضي الله عنهما قيل يا رسول الله هل يكون
مع الشهدا يوم القيامة غيرهم قال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة
وفي لفظ الحديث الاخر يذكر ذنوبه فتحزنه وقد كان السلف يستوحشون
اذا خرج عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس او مال وقيل لا يخلو المومن
في كل يوم اربعين يوما ان يروع بروعة او يصاب بنكبة وكانوا يكرهون

فقد ذلك في هذا العدد من غير ان يصابوا منه بشي وفيها ايضا نفع له
خلف ما كان يفوته من الطاعات ونوافل العبادات فيكتب له في مرضه
مثل ما كان يعمل من ذلك في صحته وذلك ابلغ في الوصول الي غرضه
من اختيار الله له وهو خير له مما اختاره لنفسه وفي الخبر يقول الله تعالي لملايكته
اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمله في صحته فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما
خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته فالي رحمتي وفي الحديث الصحيح
من حديث ابي موسي الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم اذا مرض العبد او سافر كتب له مثل ذلك ما كان يعمل صحيحا مقيما
الي غير ذلك من الالطاف التي لا نعلمها وانما ذكرنا هذه المعاني ها هنا لانها
لا تفي بكلام المولف رحمه الله وكانها مفسرة له وايضا فان العبد محتاج اليها
غاية الاحتياج فانه في حال نزول البلايا به يتسخط ويجزع ويضطرب ايمانه
ويتزلزل ايضا به فتحتاج الي مذكر يذكره بامثال هذه المعاني فيحصل له بذلك
من الرضا وحسن الظن بالله تعالي والاعمال بخواتيمها وهذا الغرض هو
الذي اوجب لنا في هذا الفصل الاكثار من الحكايات واظهار نسبة اكثر الاحاديث
فيه ايضا وانها التفات لتطمين قلوب اهل البلا بذلك ونسال الله تعالي
اصحاب تلك المسالك والله ولي التوفيق لا يخاف عليك ان تلتبس الطرق
عليك وانما يخاف عليك من غلبة الهوي عليك الطرق الي الله تعالي واضحة
لا بيحه لان الحق تعالي هو الذي تولي ذلك وبه انزل الكتب وارسل
الرسل ونصب عليه الادلة والبراهين فلا يخاف علي العبد من التباسها
عليه وانما يخاف من غلبة الهوي عليه حتي يعميه ذلك عن رويتها قال احمد
بن خضرويه البلخي الطريق واضح والحق لايح والداعي قد اسمع فما التحير
بعد هذا الا من العمي سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية
وظهر بعظمة الربوبية في اظهار العبودية سر الخصوصية هو حقيقة المعرفة
التي اختص بها ولاية الله بحيث لا يبقي معها وجود لغير ولا كون وذلك بما
حصل فيهم من التهيؤ والقابلية فمن لطيف حكمة الله تعالي ان ستر ذلك
بما اظهره من البشرية التي من لوازمها وجود الغير والكون ولولا
هذا الس

هذا الستر كان سر الله مبتذلا غير مصون كما قال في لطايف المنن لا بد للشمس
من سحاب وللحسنا من نقاب ثم ان حقيقة البشرية الاتصاف بصفة
الافتقار والاحتياج وغير ذلك من اوصاف الحدوث وذلك هو حقيقة التعبد
والانكسار فظهر لنا من ذلك لزوم وجود اله معبود وهذه هي عظمة الربوبية التي
ظهرت لنا من ورا حجاب العبودية ولولا ذلك لكان باطنا لا يظهر كما قال
سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه العبودية جوهرة ظاهرها الربوبية
فسبحان اللطيف الخبير ومن هو علي كل شي قدير والتسبيح الذي ذكره المولف
ها هنا في غاية المناسبة بما ذكره من المعني لا تطالب ربك بتاخير مطلبك
ولكن طالب نفسك بتاخير ادبك اذا دعوت ربك وسالت منه مطلبا
من المطالب ولم تظهر لك الاجابة فحسن به ظنك ولا تطالبه بالوفا بذلك
فانه يفعل ما يشا لا يسال عما يفعل ولكن طالب نفسك بتاخير ادبك
فانها اهل المطالبة وستورد بها من وجوه احدها انك دعوت لتجاب
في دعايك فيحصل لك بذلك غرض وهو ما يقدح في كمال عبوديتك وسياتي
هذا المعني في عند قوله لا يكن طلبك تسببا الي العطا منه فيقل فهمك
عنه وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما باحكام الربوبية والثاني اعتقادك
انه لم يستجب لك اذا ظهر لك عدم الاجابة منه وليس من شرط الاجابة
ان تظهر لك بل له ان يخفيها عنك لما في ذلك من المصالح والاجابة اليه لعرفها
يجعلها ما يشا مما تعلمه او تجهله وقد تقدم هذا المعني عند قوله لا يكن
تاخير امد العطا مع الالحاح في الدعا موجبا ليا سك الي اخره والثالث
وهو اشدها اعتراضك علي ربك في حكمه ومطالبتك له اذا تاخرت اجابة
دعايك ثم ذكر المولف رحمه الله تعالي الحالة التي اذا كان عليها العبد نال تحف
الادب ووصل الي غاية الارب فقال متي جعلك في الظاهر ممتثلا لامره
ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره فقد اعظم المنه عليك هذان
الامران هما اللذان يلزمانك في اقامة العبودية لربك لا غير فمتي يسرها
الله تعالي لك وانالك في مراعات احكامها ووفقك لذلك فقد اعظم المنه
عليك فلماذا تتشوف وما الذي تلتمس بعدها ان كنت عبدا حقيقيا
قال سيدي ابو الحسن صحبت قاصدا الي الله تعالي في البداية واعتزلنا

في مغارة عسى ان يكون من اولياء الله تعالى ولعل يفتح الله علينا بما فتح الله عليهم
فاقمنا بها ثمانية ايام لعل في هذه الجمعة لعل في هذا الشهر فلم يفتح الله علينا فلما
كان كذلك واذا بشيخ على باب المغارة يستاذننا فاذنا له فدخل وسلم ووقف فقلنا له من
انت فقال عبد الملك فعلمنا انه من اولياء الله فقلنا له كيف حالك فقال كيف حالك
كيف حالك يردد ها كالمنكر عليه ثم قال كيف حال من يقول لنفسه في هذه الجمعة
اكون وليا في هذا الشهر اكون وليا فلا ولاية ولا فلاح ولا دنيا ولا اخرة يا نفس لم لا تعبد الله
كما امرك مخلصة لوجهه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون ثم انصرف عنا فانتبهنا لغلطنا وتيقظنا من اين دخل علينا وعلمنا
ان الله رحمنا به فرجعت على نفسي باللوم والتوبيخ وقلت لها يا نفس من انت وما
عملك وما خطرك انت لا شي وتبنا واستغفرنا الله تعالى فان فتح الله علينا
بجوده وفضله ليس لك من تنت تخصيصه كما تخليصه التخصيص هاهنا
هو ان يظهر الحق تعالى على بعض عباده اثرته وعنايته وتوليه ولطفه
ورعايته فمنهم من يستمر له ذلك حتى يتحقق بالعرفان ويتخلص عن روية
الاغيار والاكوان وهاولاء هم خواص المقربين اهل العلم بالله والمحبة له
ومنهم من يوقفه عن بلوغ ذروة الكمال ويربيه في حاله بما يليق به من
علوم واعمال وهولاء عامة المقربين وخاصة اهل اليمين العباد والزهاد
واهل المجاهدة والاوراد وهولاء وان شاركوا الاولين فيما يتحفهم الحق تعالى
من لطائف الكرامات وفيما يمنحهم اياه من القيام بوظائف الطاعات
والعبادات فلم يتخلصوا عن روية نفوسهم ولم ينفكوا عن مراعات
حظوظهم بل هم ساكنون الى الاسباب محتبطون بوجود الحجاب
وقد يختص الحق تعالى هولاء باظهار الكرامات على ايديهم تسكينا
لانفسهم وتثبيتا لليقين في قلوبهم ويمنعها الاولين لانهم لا يحتاجون
اليها لما هم فيه من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين كما قال صاحب
كتاب عوارف المعارف وقد يكون من لا يكاشف بشي من معاني القدرة
افضل ممن يكاشف بها اذ كاشفه الله تعالى بصرف المعرفة فالقدرة

ابشر من القادر

ابشر من النادر وهو من اهل بفرب الناد ولا يستغرب ولا يستكثر شيا من القدرة
ويرى القدرة تتجلى له من سحف اجزاء عالم الحكمة وسئل الشبلي رضي الله عنه وقيل له
ان ابا تراب ذكر انه جاع في البادية فراى البادية كلها طعام فقال عبد رفق به ولو بلغ
الى محل التحقيق لكان كمن قال اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني قال في لطائف
المنن واعلم ان الكرامات تارة تظهر للولي في نفسه وتارة تظهر فيه لغيره فان
ظهرت للولي في نفسه فالمراد تعريفه بقدرة الله تعالى وفردنيته واحدنيته وان قدرته
لا تتوقف على الاسباب وان العوايد هو حاكم عليها ليست هي حاكمة عليه وانها جعل
العوايد والاسباب والوسايط حجب قدرته وسحف تتمس حضرته فواقف عندها
محدود ونافذ منها اليه بالعناية موصول قال وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه
فايدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى بالعلم والقدرة والارادات والصفات
الازلية بجمع لا يتفرق وامر لا ينفقد كانها صفة واحدة قايمة بذات الواحد
من تعرف الله اليه بنوره كمن تعرف الى الله بعقله ولاجل انها ثبتت لمن
ظهرت له ربما وجدها اهل البدايات في بداياتهم وفقدها اهل النهايات
في نهاياتهم اذ ما عليه اهل النهايات من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين
لا يحتاجون معه الى تثبيت وهكذا كان السلف رضي الله عنهم لم يحوجهم
الحق سبحانه وتعالى الى وجود الكرامات الحسية لما اعطاهم من المعارف
الغيبية والعلوم الاشهادية ولا يحتاج الى برهان فالكرامة دافعة لتزلزلة
الشك في المنة وتعرفه بفضل الله تعالى فيمن اظهرت عليه وشهادة له
بالاستقامة مع الله تعالى والناس في الكرامات على ثلاثة اقسام قوم
يجعلونها غاية الاستشراف وجدوها عظموا من اظهرت عليه وان فقدوها
لم يتوجهوا بالتعظيم اليه وقسم قالوا وما هي الكرامات انما هي خدع تخدع اهل
الارادة ليقفوا على حدودهم وحتى لا يلجوا مغا ما ليس هو لهم حتى قال ابوا
تراب النخشبي لابي العباس الرقي رحمة الله عليهما ما تقول اصحابك
في هذا الامور التي تكرم الله بها على عباده فقال ما رايت احدا الا وهو يوس
بها فقال ابو تراب من لم يومن بها فقد كفر انما سالتك عن طريق
الاحوال فقلت ما اعرف لهم قولا فقال بلى قد زعم اصحابك انها خدع
من الحق وليس الامر كذلك انما الخدع في حال السكون اليها فاما من لم
يقترح بها ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين وكان هذا من ابي تراب
رضي الله عنه بعد ان عطش القوم وهم اصحابه تضرب بيده الارض فنبع
الما فقال فتى اريد ان اشرب به في قدح تضرب بيده الارض فناوله قدحا

من زجاج ابيض فشرب وبسطنا قال ابو العباس الدقي وما زال القدح معنا الى بلده
قال الشيخ ابو الحسن والقول الافضل في ذلك انه لا ينبغي ان نطلب ادبا مع الله تعالى
ومن اظهرت عليه عظم لانها شاهدة له بالاستقامة مع الله تعالى قال الي
الكرامات والقسم الثاني وهو ان تظهر الكرامة في الولي لغيره فالمراد بذلك تعريف
ذلك العبد الذي يشهدها بصحة طريق هذا الولي الذي ظهرت عليه الكرامة
اما ان يكون جاحدا فيرجع الى الاعتراف او كافرا فيعود الى الايمان او شاكا
في خصوصية هذا العبد فاظهرت عليه ليعرفك الله بما فيه من ودايع
الاحسان انتهى وقال ابو نصر السراج سالت ابو الحسن بن سالم فقلت له
ما معنى الكرامات وهم قد اكرموا حتى تركوا الدنيا اختيارا وكيف اكرموا بان
تحصل لهم الحجارة ذهبا فما وجه ذلك فقال الا يعطيهم ذلك لقدرها ولكن يعطيهم
ذلك حتى يحتجوا بذلك على انفسهم عند اضطرابها وجزعها من فوت الرزق
الذي قسم الله لهم فيقولون الذي يقدر على ان يصير الحجارة ذهبا كما هم ينظرون
اليه اليس بقادر ان يسوق اليك رزقك من حيث لا تحتسبه فيحتجوا
بذلك على صحيح نفوسهم عند فوت الرزق ويقطعون بذلك حجج نفوسهم فيكون
ذلك سببا لرياضتها وتاديبها قال ابو نصر وقد حكي لنا ابن سالم في معنى ذلك حكاية
عن سهل بن عبد الله انه قال كان رجل بالبصرة يقال له اسحاق بن احمد وكان من ابناء
الدنيا فخرج عن الدنيا اعني من جميع ماله وتاب وصحب سهلا فقال يوما لسهل
يا ابا محمد ان نفسي هذه ليست تترك الضجيج والصراخ من خوف فوت
القوت والقوام فقال له سهل خذ ذلك الحجر وسل ربك ان يصيره لك طعاما
تاكله فقال له ومن امامي في ذلك حتى افعل فقال له سهل امامك ابراهيم عليه السلام
حيث قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
المعنى في ذلك ان النفس لا تطمئن الا برؤية العين لان من جبلتها الشك
فقال ابراهيم رب ارني كيف تطمئن نفسي فاني موقن بذلك والنفس لا تطمئن
الا برؤية العين قال فكذلك الاولياء يظهر الله لهم الكرامات تاديبا لنفوسهم
وتهذيبا لها وزيادة لهم انتهى كلام ابي نصر وقال بعض العلماء ما رايت هذه
الكرامات الا على ايدي البله من الصديقين وكان رجل يصحب سهل

ابن عبد الله

ابن عبد الله فقال له يوما ربما اتوضا للصلاة فيسيل الماء من بين يديه
قضبان ذهب وقضبان فضة فقال سهل اما علمت ان الصبيان
اذا بكوا اعطوا خشخاشة ليشتغلوا بها وفي حكاية جعفر الخلدي
عن الجنيد قال جاءني ابو حفص النيسابوري مرة ومعه عبد الله الرباطي
وجماعة وكان فيهم رجل اصلع قليل الكلام فقال يوما لابي حفص قد كان
فيمن مضى لهم الايات الظاهرة يعني بها الكرامات وليس شيء عندك
فقال له ابو حفص رضي الله عنه ثم جاء به الى سوق الحدادين الى كير عظيم
فيه حديدة عظيمة فادخل يده في الكير فاخذ الحديدة المحماة فاخرجها
فبردت في يده فقال له يجزيك هذا فسئل بعضهم عن معنى اظهاره ذلك
من نفسه فقال لكان مشرفا على حاله فخشي على حاله ان يتغير عليه
ان لم يظهر له ذلك فخصه بذلك شفقة عليه وصيانة لحاله وزيادة لايمانه
بل ربما يفر عنها العارفون ويخاف منها المحققون قال بعض السلف
اللطف ما يخادع به الاولياء الكرامات والمعونات وذكر عن ابي حفص
او غيره انه كان جالسا وحوله اصحابه فاذا نزل ظبي من الجبل فبرك
عندهم قال فبكى ابو حفص فسئل عن بكائه فقال انتم حولي
فوقع في قلبي ان لو كانت لي شاة لذبحتها لكم فلما برك هذا الظبي
عندنا شبهت نفسي بفرعون حين سال الله تعالى ان يجري معه
النيل فاجراه معه فبكيت وسالت الله الا يجعل لي مما تمنيت ويبيت الظبي
ويحكى ان بعض الابدال قال لتلميذ من تلامذة الشيخ ابي مدين ما بالنا
لا نعتاض علينا شيء وهو يعتاض عليه اثقل الامور مع انا نتمنى مقامه ولا
يتمنى مقامنا فبلغ ذلك الشيخ ابا مدين فقال قل له لو كنا منزاد المراده
وعن بعضهم انه كان يسير في البادية فانتهى الى بيت غاب النار يرتفع
الى راس البيت فقال انا اعلم انك قادر على هذا لكن لا اطيقه فلو تبعث
لي بعض الاعراب ليصفعني صفعات ويسقيني شربة ماء كان احب
لي ثم قيل اعلم ان ذلك الوقف ليس من جهته وقال يحيى بن معاذ الرازي رضي الله
عنه اذا رايت الرجل يشير الى الايات والكرامات فطريقه طريق الابدال
واذا رايته يشير الى الالاء والنعماء فطريقه طريق المحبة وهي اعلى من الذي
قبله واذا رايته يشير الى الذكر ويكون معلقا بالذكر الذي ذكر فطريقه

طريق العارفين وهي اعلا درجه من جميع الاحوال وقال ابو يزيد لقيت بدايع
بر ربي الحق تعالى الا بانفسوا الكرمات ولا التفت اليها فلما راني كذلك جعل لي
الى معرفته سبيلا وقال رضي الله عنه لا يستحقر الورد الا جهول الوارد
يوجد في الدار الاخره والورد ينطوي بانطواي هذه الدار واولى ما يعتنا
به ما لا يخلف وجوده الورد هو طالبه منك والوارد انت تطلبه منه واين
ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه الورد عبارة عما يقع بكسب العبد
والوارد انت تطلبه منه واين ما هو طالبه منك مما انت طالبه منه من
عبادة ظاهره او باطنه والوارد هو الذي يرد على باطن العبد من لطايف
والانوار فينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه وبصره فالوارد ما من العبد
للحق تعالى من معاملة وعبوديه والوارد ما من الحق سبحانه للعبد من لطف
وكرامة والورد احق ما يعتني به العبد ويراعيه من الوارد لوجهين احدها
ان الورد مختص بهذه الدار لا يقع الا فيها وهو منقطع بانقطاعها وفان
بفنايها فينبغي للعبد ان يستكثر من الاوراد قبل فواتها اذ لا يمكنه
خلف ما فات منها والثاني ان الورد هو حق الحق منك والوارد هو
حظك منه وقيامك بحقوقه عليك اولى واليق بالعبوديه من طلب حظوظك
ووقوفك معها فاذا اثبت مزية الورد على الوارد باعتبار العبد كان المستحقر له
من نهاية الجهل وكان مستحقره جهولا كما قال في لطايف المنن
واعلموا ان الله اودع انوار الملكوت في اصناف الطاعات فاي من فاته
من الطاعات صنف او اعوزه من الموافقه جنس فقد فقد من النور
بمقدار ذلك فلا تهملوا شيا من الطاعات ولا تستغنوا عن الاوراد
بالواردات ولا ترضوا لانفسكم بما رضي به المدعون اجرا الحقايق
على السنتهم وخلو الله انوارها من قلوبهم وان الحق بحكمته جعل الطاعة
الجاريه على العباد مفرعة لباب الغيب فمن قام بالطاعة والمعامله
بشرط الادب لم يحتجب الغيب عنه والتطهر من العيب يفتح لك
باب الغيب ولا تكن ممن يطلب الله لنفسه ولا يطلب نفسه
لله فذلك حال الجاهلين الذين لم يفهموا عن الله ولا واجههم المدد من الله

والمومن ليس كذلك بل المومن من يطالب نفسه لربه ولا يطالب
ربه لنفسه فان توقف الحق عليه انبسط ادبه ولا يستبطي
مطلبه ثم ذكر كلاما كثيرا وفي كلامه رحمه الله تنبيه على تاكد امر الاوراد
وعظم موقعها من الدين وان مراعاتها من احسن سمات العارفين
وقد روي الجنيد رضي الله عنه وفي يده سبحه فقيل له انت مع شرفك تاخذ بيدك
سبحه فقال نعم سبب به وصلنا الى ما وصلنا لا نتركه ابدا وكان يدخل كل يوم
حانوته ويسبل الستر ويصلي اربعماية ركعه ثم يعود الى بيته ورؤي بعد
وفاته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وفنيت
تلك العبارات وابيدت تلك الرسوم ونفدت تلك العلوم فما نفعنا الا ركعات
كنا نركعها في السحر وحكى ابو محمد الجريري قال كنت عند الجنيد رضي الله عنهما
في حال نزعه وكان يوم جمعه ويوم نيروز وهو يقرا القران فقيل له في هذه
الحاله يا ابا القاسم فقال ومن اولى مني بذلك وهو ذا تنطوي صحيفتي وقال ابو
الحسن السراج ذكر الجنيد رضي الله عنه اهل المعرفة بالله وما يراعونه
من الاوراد والعبادات بعد ما اتحفهم الله به من الكرامات فقال الجنيد العباده
على العارفين احسن من التيجان على رووس الملوك وقال ابو بكر العطار حضرت الجنيد
رضي الله عنه عند الموت في جماعة من اصحابنا قال وكان قاعدا يصلي ويثني رجليه
اذا اراد ان يسجد فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجليه فثقلت عليه حركتهما
فمد رجليه فرآه بعض اصحابه ممن حضر كذلك وقد كانت رجلا ابي القاسم تورمتا
فقال ما هذا يا ابا القاسم فقال هذه نعم الله الله اكبر فلما فرغ من صلاته رضي الله عنه
قال له ابو محمد الجريري يا ابا القاسم لو اضطجعت فقال يا ابا محمد هذا وقت منة الله
فلم يزل كذلك حاله حتى مات رحمة الله عليه ورضوانه وقال الحصري رضي الله عنه
يقولون الحصري لا يقول بالنوافل وعلي اوراد من حال الشباب لو تركت منها
ركعة عوتبت وقال محمد بن ثابت البناني لما حضرت ابي الوفاة جعلنا نلقنه
الشهاده فقال يا بني دعني فاني في وردي النافع قال ابو طالب المكي ومداومة
الاوراد من اخلاق المومنين وطريق العابدين وهي مزيد الايمان وعلامة الايقان
وفي خبر ان عايشة رضي الله عنها سيلت عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت كان عمله ديمه وفي لفظ اخر كان اذا عمل عملا اتقنه واثبته وفي الخبر

المشهور احب الاعمال الي الله تعالي ادومها وان قل وجاي الاثر كلام تارة يروي عن حسن
بن علي وتارة عن البصري ومرة عن عايشه رضي الله عنهم وبعضهم يحكيه عن النبي
صلي الله عليه وسلم في المنام من استوي يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شر من
امسه فهو محروم ومن لم يكن في مزيد فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت
خير له وقد يكون استحقار الورد من المكر والاستدراج للعبد ويكون مبدا ذلك
ان تكون له خيالات تظهر له صور كرامات توجب له استحسان حالته واختيار
بطالته وفي ذلك نقض العبوديه بالكليه وهو امارة لوجود الطرد والبعد والحجاب
بالله وصاحب هذا عظيم الجهاله شديد الحجابه والضلاله وقد قال الجنيد رضي الله
عنه لرجل ذكر المعرفه فقال الرجل اهل المعرفه بالله يصلون الي ترك الحركات من باب البر والتقرب الي الله فقال الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط
الاعمال وهذه عندي عظيمه والذي يسرق ويزني احسن حالا من الذي يقول هذا
وان العارفين بالله اخذوا الاعمال عن الله واليه رجعوا فيها ولو بقيت الف عام
لم انقص من اعمال البر ذرة الا ان يحال بي دونها وانه لاوكد في معرفتي واقوي في
حالي قال الشهروردي رضي الله عنه في كتاب عوارف المعارف فاما من
نعوذ بالله وقنع بما لم يحكم اساس خلوته بالاخلاص فيدخل الخلوة بالغرور
ويخرج بالغرور فيرفض العبادات ويستحقرها ويسلب لذة المعامله ويذهب
عن قلبه هيبة الشريعه ويفتضح في الدنيا والاخره فيعلم الصادق ان المقصود
من الخلوة التقرب الي الله تعالي بعمارة الاوقات وكف الجوارح عن المكروهات
فيصلح لقوم من ارباب الخلوه مداومة الاوراد وتوزيعها علي الاوقات ويصلح لاخرين
ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم دوام المراقبه ويصلح لقوم الانتقال من الا...
ولقوم الانتقال من الاوراد الي الذكر انتهي ما يتعلق بغرضنا من كلامه
وهو مناسب لما ذكره المولف رحمه الله تعالي وقريب من هذا المعني
ابي سليمان الداراني واحمد بن عاصم الانطاكي رضي الله عنهما انهما
صارت المعامله الي القلوب استراحت الجوارح وان كان ظاهره موهما
ابا نصر السراج فسره بعد ان حكاه عن ابي سليمان الداراني فقال ان
الذي قاله ابو سليمان يحتمل معنيين احدهما انه اراد بذلك انه
الجوارح من المجاهدات والمكابدات من الاعمال اذا اشتغل بحفظ قلبه

وراعاته

عن ذكر الله قلبه ويحتمل ايضا
سره من الخواطر المشغله والعوارض المذمومه التي تشغل عن ذكر الله قلبه
انه اراد بذلك ان يتمكن من المجاهدات والاعمال والعباده وتصير وطنه ويستلذ بها قلبه
فيجد حلاوتها ويسقط عنه التعب ووجود الالام التي كان يجدها قبل ذلك انتهي كلام ابي
نصر ومعناه صحيح والله اعلم وبه التوفيق وورود المواهب والامداد به من الله
تعالي علي عبده بحسب القوة الاستعداديه المجعولة فيه وشروق الانوار اليقينيه
علي حسب صفاء سره من كدر التعلق بالاثار والركون الي الاغيار الغافل اذا اصبح نظر
في ماذا يفعل والعاقل اذا اصبح ينظر ماذا يفعل الله به اول خاطر يرد علي العبد هو ميزان
توحيده فالغافل اذا اصبح اول خاطر يرد عليه نسبة الفعل الي نفسه فيقول ماذا افعل
اليوم فهو مشتغل بتدبير نفسه محجوب عن النظر الي مولاه وذلك لوجود
غفلته عنه فهو حقيق بان يكله الله تعالي الي نفسه فيبتت عليه قلبه
وينقض عليه مراده والعاقل اول خاطر يرد عليه نسبة الفعل الي الله تعالي
فيقول ماذا يفعل الله بي فهو ناظر الي الله تعالي والي ما يرد عليه منه وذلك لوجود
عقله ودوام يقظته فلا جرم يكفيه الله تعالي تعلقات الامال ويفرغه من جميع
الاشتغال ويرضيه ويقر عينه بما يقيمه فيه من اعمال او يورده عليه من احوال
وهذه سعادة عظيمه ومنة من الله تعالي لمن هو وليه من عباده
قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اصبحت ومالي سرور الا مواقع القدر وقال ابو
عثمان رضي الله عنه منذ اربعين سنة ما اقامني الله تعالي في حال فكرهته
ولا نقلني الي غيره فسخطته ومن احسن ما رايت في هذا المعني الذي ذكره المولف
ما يجب ان يحذر علي مثاله كل عاقل متصوف ما ذكره الشيخ ابو القاسم عبد الرحمن
الصقلي في كتاب صفة الاولياء ومراتب احوال الاصفيا بسنده الي ابو...
بن بشر الطالقاني قال حدثنا رجل من اصحابنا قال رايت رجلا في مسجد الدباج
ليس معه شي فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت يرحمك الله
اين تريد فقال لا ادري قلت رايت احدا يريد مكانا لا يدري اين يذهب
فقال انا واحد فقلت اين تنوي قال الي مكة قلت تنوي مكة ولا
تدري اين تذهب قال نعم وذلك اني كم مرة اردت ان اذهب الي مكة فيردني
الي طرسوس وكم مرة اردت طرسوس فيردني الي عبادان فيبقيني الي مكة ولا
ادري قلت فمن اين المعاش قال لا ادري قلت اخبرني باسباب ذلك

قال من حيث يريد يجيعني مرة ويشبعني مرة ويكوني مرة ويهيني مرة ومرة يقول
لي ما على الارض ازهد منك ومرة يقول لي انت لص ومرة يطردني اطرد العيفة
يوميني ~~الكحد~~ السوارس تلت يرحمك الله من يفعل ذلك بك قال الله عز وجل قال
فالتاني في سحر تلت فيتوب يرحمك الله كيف هذا قال انا رجل اسير نهاري فاين
داجن لي الليل بت فربما يوويني الليل الي قرية فاذا صلينا العشا الاخيرة يدخل
المسجد رجل فيقول يا ايهم فاقول لبيك فيقول لي بالعنف قم من هاهنا ليس لك هاهنا
موضع فاقول له ~~كرامة~~ فاين ابيت الليلة فيقول خارج السواريس فاقول نعم وكرامة
يكون لي ماوي الا عند السواريس تلك الليلة فاذا اصبحت سرت فيوويني الليل
الي قرية فاذا رآني اهلها قال بعضهم لبعض قد ورد عليكم الليلة رجل زاهد خير
فاضل فيقول هذا عندي يبيت ويقول هذا عندي يبيت فاذا صلينا العشا
الاخرة فيقول الرجل منهم قم بنا الي البيت فاقول وكرامة فامضي معه الي المنزل
فياتيني بالطعام الطيب ويدهن راسي ويكحل عيني ويا تيني بالفراش اللين
فينيمني عليه ولا يدع شيا من البر الا فعله بي حتى اصبح فهذا حالي مع سيدي
فقلت رحمك الله متي قدر لك ان تدخل بغداد فان منزلي في موضع كذا وكذا
قال فانا قاعد اذ ا بانسان يدق الباب فخرجت فاذا بصاحبي فسلمت عليه
وادخلته البيت فقلت اي شي صنع بك مولاك قال الخير ما فعل بي ضربني ضربا
شديدا وقال لي يا لص ثم اراني ظهره فاذا باثر الضرب عليه فقلت ابشر النعمه
قال كان اجاعني جوعا شديدا انما بلغت الانبار جيت الي فلان فقلنا المدود
والمود فقعد فتاكل منه فنظر الي صاحب الخباز فاقبل الي بعصاه فجعل يضرب ظهري
ويقول يا لص يا اخرب مقتاني عيني كم مذكم اقصدك حتى وقفت عليك قال ثم اذا
بفارس قد اقبل مسرعا اليه فاقلب السوط فدراسه وقال تعمد الي رجل زاهد
تضربه وبنا المثل هذا يا لص فالعما كان بي ان كنت عنده تكا اذ عرف
لا هذا الا كما حدثتك فاخذ بيدي صاحب الخباز فذهب بي الي منزله فما
ابقي من الكرامه شيا واستحلني فخرجت من عنده وجيت اليك وقل
من يكون من معنا نظره الي ما يفعل الله به ان ينظر ما يرد على قلبه من الاشارة
من قبله فيكون اقتدايه واحكامه بوجود نصيحة وحسن توفيق وهذا

ميراث شريف اقتضاه دوام التجايه وصدق انتفاره قال سيدي ابو مدين
احرص ان تصلح وتمسي مفوضا مستسلما لعله ينظر اليك فيرحمك قال بعضهم
من اهتدي الي الحق لم يهتدي الي نفسه ومن اهتدي الي نفسه لم يهتدي
الي الله فانظروا اذا استقبلك شغل فان عاد قلبك في وادو هله الي حولك وقوتك
فانت المنقطع عنه وان عاد قلبك الي الله فانت الواصل الي الله وكل العالم
في قبضته وتحفيض اهل الوصلة بانهم في كنف ابوابه لا يكلهم الي غيره واعتبر
هذا المعنى بعمرة الحديبية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صده المشركون
فيها عن مكة ومنعوه ان يتم بين الظهر هم نسكه رجع الي الحال عن تلك
العمرة ولم يتعوض لهم بما يحصل له به في الظاهر عزة او نصرة بعد ما كان دعا اليه
من بيعة الرضوان تحت الشجرة وما عزم عليه من مناجزة من حاده من الكفرة
وعمل في ذلك علما اظهره الله عليه له من اياته العظام عند نزول ناقته لما اراد
توجهها الي البيت الحرام وقال رحينيذ مظهرا لما قصده ومقررا لما اعتقده
انما حبسها حابس الفيل لا تدعوني اليوم قريش الي خطه فيها صلة الرحم
الا اجبتهم اليها فكان كما قال صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ما لحهم علي
وضع الحرب فيما بينهم عشر سنين يتقلبوا في الارض امنين فلما اثبت
بينهم الصلح وانزل الله عليه سورة الفتح ظهرت الفوايد التي تضمنها ذلك التدبير
الحسن وقرت اعين الصحابه رضي الله عنهم بما ابرزه الله لهم من الطافه ومنه
وقد صح بجميع ما قلناه الخبر ونقله الينا علما الحديث والسير ولنكن من دعاي
صاحب هذا المقام ومنا جاته ليتوافق عقده وقوله في جميع تصرفاته اللهم
اصبحت لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا استطيع
ان اخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم وفقني لما تحبه وترضاه من
القول والعمل في عافية انك ذو الفضل العظيم وليقل ايضا ما رايته لسيدي ابي
الحسن الشاذلي رضي الله عنه اللهم ان الامر عندك وهو محجوب عني ولا اعلم
امرا اختاره لنفسي فكن انت المختار لي واحملني في اجمل الامور عندك
واحمدها عاقبة في الدين والدنيا والاخرة انك على كل شي قدير انما استوحش
العباد والزهاد من كل شي لغيبتهم عن الله في كل شي فلو شهدوه في كل
شي لم يستوحشوا من شي العباد والزهاد في حجبة عن ربهم لنظرهم

لنفوسهم ومراعاة حظوظهم يفرون من الاسباب ويستوحشون منها
لانها موجودة في نظرهم والزهاد في المزهود يشاهدون له الوجود كما قال
سيدي ابو الحسن رضي الله عنه والله لقد عظمتها اذ زهدت فيها وهم يخافون
منها ان يعوق عليهم اغراضهم وتفوتهم مقاصدهم بميلهم اليها واشتغالهم
بها ولو كانوا اهل العلم بالله والمحبة له لراوه ظاهرا في الاشيا كلها ولكان
لهم في ذلك من قرة اعينهم ما يشغلهم عن رويتهم لنفوسهم ولا يكون
لهم من الاشيا وحشة ولا يختشون منها فتنة لانها فانية مثلا تشبيه
بهذا الاعتبار الصلاة طهرة للقلوب من ادناس الذنوب كما روي في
الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله انما مثل
الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما
ترون ذلك يبقي من درنه والاستفتاح لباب الغيوب لان القلوب اذا طهرت
وتزكت رفع عنها الحجب والاستار فرات ما غاب عنها من الاسرار والصلاة
محل المناجات لان يكون فيها الثنا والدعا والمناجات مخاطبة الاسرار عند
صفا الاكدار لملك الجبار وهي معدن المصافات وهي زوال الاكدار الملكوتية
بينك وبين ربك حتى يصفوا قلبك وسرك فيصفو لك حينئذ شهوده
وشهوده اذ انك وجوده تتسع فيها ميادين الاسرار حتى تتكاثر عليك
في الظهور وتشرق فيها شوارق الانوار فيكون قلبك نورا على نور
وهذه العبادات السنية معانيها متقاربة ولما كانت هذه الاحوال
التي ذكرها المولف رحمه الله تعالى لها كالدليل على ما قاله من ان المامور به
انما هو اقامة الصلاة لا وجود الصلاة وان الصلاة المعتبرة انما هي صلاة
الخاشعين لا صلاة الغافلين التي لا تنتهض لبلوغ هذه المقاصد السنية
ولذلك كانت الصلاة ام العبادات واساس الخيرات قال الله تعالى اقم الصلاة
لذكري فاخبر ان الصلاة المراد منها الذكر وقد روي معنا ذلك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما فرضت الصلاة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك
لاقامة ذكر الله ولذلك كانت قرة عين حبيب الله صلى الله عليه وسلم كما
سياتي الكلام عليه حيث تعرض المولف رحمه الله وفي بعض الاخبار ان العبد
اذا قام الى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه

وقامت الملائكة

وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهوا يصلون بصلاته ويومنون على
دعايه وان المصلي لينثر عليه البر من عنان السما الى مفرق راسه ويناديه
مناد لو يعلم المناجي من يناجي ما انفتل وان ابواب السما تفتح للمصلي وان الله
تعالى يباهي ملايكته بصفوف المصلين وفي التوراة يا ابن ادم لا تعجز ان تقوم
بين يدي مصليا باكيا فانا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رايت
نوري فكانوا يرون ان تلك الرقة والبكا وتلك الفتوح التي يجدها المصلي
في قلبه من دنو الرب وقال محمد بن علي الترمذي دعا الله
تعالى الموحدين الى هذه الصلوات الخمس رحمة منه عليهم وهيا لهم فيها
الوان الضيافات لينال العبد من كل قول وفعل شيئا من عطاياه فالافعال
كالاطعمة والاقوال كالاشربة وهي عرس الموحدين هياتها عطاياه
رب العالمين لاهل رحمته في كل يوم خمس مرات حتى لا يبقى عليهم دنس ولا
غبار وقال ابو طالب المكي حدثنا ان المومن اذا توضا للصلاة تباعدت عنه
الشياطين في اقطار الارض خوفا منه لانه يتاهب للدخول على الملك
واذا كبر حجب عنه ابليس وضرب بينه وبين سرادق لا ينظر اليه وواجهه
الجبار بوجهه فاذا قال الله اكبر اطلع الملك في قلبه فاذا ليس في قلبه اكبر من الله
فيقول الملك صدقت الله في قلبك كما تقول قال فيتشعشع في قلبه نور
يلحق بملكوت العرش فيكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض
ويكتب له حشو ذلك النور حسنات قال وان الغافل الجاهل اذا قام
الى الوضوء احتوشته الشياطين كما يحتوش الذباب على نقطة العسل
فاذا كبر اطلع الملك على قلبه فاذا كل شي في قلبه اكبر من الله عنده فيقول الملك
كذبت ليس الله في قلبك كما تقول قال فيثور من قلبه دخان يلحق
بعنان السما فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت قال فيزيد ذلك الحجاب
صلاته وتلتقم الشياطين قلبه ولا تزال تنفخ فيه وتنفث وتوسوس
وتزين له حتى ينصرف من صلاته لا يعقل ما كان فيه ومعاني هذه
الاخبار والاثار موافقة لمعنى ما ذكره المولف رحمه الله تعالى ودالة عليه
فلذلك اوردناها هاهنا والله ولي التوفيق بمنه اسرار في هذه الدار فالنظر
في مكوناته وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته روية العباد ربهم

عز وجل على حسب تجليه لهم في هذه الدار يرونه ظاهرا في المكونات
بانوار ابصارهم لما تجلى لهم من وراء حجابها ولذلك امرهم بالنظر فيها وفي الدار الاخرة
يرونه معاينة بانوار ابصارهم من غير حجاب ولا مانع وهذه غاية الظهور والكشف
علم منك انك لا تصبر عنه فاشهدك ما برز منه عدم الصبر عن الله من وجود
الاختصاص بمعرفته وهو حال شريف يقتضي وجود المحبة الاختصاصية والمحبة
الاختصاصية تقتضي دوام المشاهدة والحضور والمشاهدة الحقيقية غير متصورة
في هذه الدار لما هي عليه من الزيادة والنقص والغنا والذهاب فاكرم الله تعالى
عبده لعلمه بعدم صبره عنه بان اشهده ما برز منه من الاثار والاكوان تسلية
له بالاثر عن النظر فحصلت له حينئذ المحبة الاختصاصية اللائقة بحاله حتى اذا
اقعده في مقعد الصدق وحصلت له عنديته الحق خلع عليه خلع التقريب
والتكريم وواجهه بوجهه الكريم فحصلت له حينئذ المحبة الحقيقية والمشاهدة
السرمدية وما ذلك على الله بعزيز لما علم الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات
وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك في بعض الاوقات ليكون همك اقامة
الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصل مقيم تلوين الطاعات لوجود الملل وتحجيرها
في الاوقات لوجود الشره نعمتان عظيمتان انعم الله بهما على عبده فان الملل والشره
آفتان عظيمتان قاطعتان على العبد سبيل عبوديته والملل كراهة تعرض للانسان
من عمل يلحقه فيه مشقة فيصبر عليه ويتحمل التعب فيه حتى يضجر ويسأم
فيترك ذلك العمل ويرفضه اشتغالا وهو يعرض بالطبع بعد ايثاره للشيء ومحبته له
والشره مجاوزة للحد في التسارع الى العمل والحرص عليه والذي يوجب وجود
الملل المداومة على نمط واحد من العبادات فتسامها النفس وتستثقلها
فاذا الوت عليها استملتها واستخفتها وقد قال بعض الشعراء
لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة الا التنقل من حال الى حال
والموجب لوجود الشره وملاحية الاوقات كلها لايقاع العبادات فيها مع شدة
الحرص عليها وعند وجود الشره يقع النقص والتقصير فيها ولذلك عين لها
اوقاتا تقع فيها وذلك هو معنى تحجيرها في الاوقات فان كان الملل والشره واقعين
في الصلاة لم يكن الاتيان بها مقيما لها لوقوع التقصير منه فيها ولم يومر الا بالاقامة
الصلاة لا بوجود صورة الصلاة قال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه كل موضع

ذكر فيه المصلون في معرض المدح فانه انما جاء لمن اقام الصلاة انما بلفظ الاقامة او بمعنى
يرجع اليها قال الله سبحانه الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة رب اجعلني مقيم الصلاة
ومن ذريتي اقم الصلاة واقام الصلاة والمقيمي الصلاة ولما ذكر المصلين بالغفلة قال فويل للمصلين
الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة فالاقامة اذا امل المصلي صلاة فقبلت
خلق الله من صلاته صورة في ملكوته راكعة ساجدة الى يوم القيامة وثواب ذلك لصاحب
الصلاة واقامة الصلاة حفظ حدودها ظاهرا وباطنا قال ابن عطا اقامة الصلاة حفظ حدودها
مع حفظ السر مع الله عز وجل ولا يختلج بسره سواه قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله
عنه وهو القائم باركانها وسننها والغيبة عن شهودها برؤية من يصلي له فتحفظ
عليه احكام الامر فيما يجري عليه منه وعن ملاحظتها محو نفوسهم منه
مستقبلة القبلة وقلوبهم مستقرة في حقائق الوصلة وتمثيل المولف بالصلاة دون
سائر العبادات حسن لان ذلك اكثر ما يقع فيها وقد يكون ذلك استطرادا للكلام على
الصلاة وحسبما يقوله اثر هذا الصلاة طهرة للقلوب على وجود الضعف فقلل
اعدادها وعلم احتياجك الى فضله فكثر امدادها هذا من فضل الله تعالى الذي عوده
عبده فتقليل اعدادها بان جعل الخمسين خمسة وذلك تخفيف منه عنه لما علم من
وجوده ضعفه وتكثير امدادها بان جعل الخمسة ثواب الخمسين وذلك فضل منه عليه
اذا كان محتاجا اليه فله الحمد والشكر على ذلك وهذه المعاني مذكورة في حديث
الاسرا متى طلبت عوضا عن عمل طولبت بوجود الصدق فيه ويكفي المريب
وجدان السلامة تقدم ان العمل لاجل حصول الجزا مدخول معلول وحكينا
هنا لك من الاثار والحكايات عن العارفين وارباب القلوب ما فيه مقنع
وقد ذكر المولف هذا المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وما ذكره
ها هنا تقبيح بحال طالب الجزا على العمل ومعنى ما ذكره ان العمل على هذا الوجه
معترض للبطلان لانه اذا طالب ربه بالجزا على عمله طالبه ربه بوجود الصدق
فيه والصدق الوفا بحقه في العمل واني له توفية ذلك مع كونه طالبا للحظ من ربه
فهو لا محاله مريب في كيفيته وجدان السلامة من عيبه يزيد على كفاية قال الواسطي
رضي الله عنه العبادات الى طلب العفو عنها اقرب منها الى طلب الاعواض
عنها وقريب من هذا قول النصراباذي رضي الله عنه العبادات الى طلب الصفح
والعفو عن تقصيرها اقرب منها الى طلب الاعواض والجزاء عليها

النساج ميرا انسا عما لكنا يليق بالحكمة فاطلب ميزان فضله ولا من طلب بيان
الى عمله فانه انتم واحسن قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو
خير مما يجمعون ثم تطلب عوضا عن عمل لست له فاعلا يكفي من الجزا عن العمل
ان كان له قابلا المنفرد بخلق اعمال العباد واختراعها هو الله عز وجل فكيف يطلب
العبد الجزا على عمل لا يدخل له فيه على الحقيقة ومعنى كون القبول جزا انه تقدم اذا اراد
ان يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك ففضل الله تعالى عظيم فاذا اراد ان يظهره عليك
خلقه لك الطاعة وحلاك بها ونسبها اليك فقال لك يا عبدي انت مطيع ومتقرب مجتهد
وعامل وتسا ثنيك على ذلك فاذا شهد العبد هذا الفضل العظيم واستولى عليه الخجل
والحيا من سيده الكريم وانطلق لسانه في هذه الحالة بالدعا والسوال وقال يا رب
كما تفضلت على بخلق الطاعة لي وحليتني بها ووصفتني بصفات حميدة انا خلي
عنها في الحقيقة ووعدتني مع ذلك جزيل الثواب والنجاة من العقاب فتقبل مني
عملي والجزاء لي ما وعدتني كان في ذلك مصيبا والا فلا فحق العبد ان لا ينسب لنفسه
شيا من محامد الصفات ومحاسن الاعمال اذ لا اهلية فيه [illegible] واما مذام الصفات
والاعمال ومساويها فمقتضى الادب ان يضف ذلك الى نفسه [illegible] يعترف بان ذلك
من ظلمه وجهله قال سهل بن عبد الله اذا عمل العبد حسنة وقال انت يا رب
تفضلت استعملت وانت اعنت وانت سهلت شكر الله ذلك له وقال يا عبدي
بل انت اطعت وانت تقربت واذا نظر الى نفسه وقال انا عملت وانا اطعت وانا
تقربت اعرض الله تعالى عنه وقال يا عبدي انا وفقت وانا اعنت وانا سهلت
واذا عمل سيئة وقال يا رب انت قدرت وانت قضيت وانت حكمت غضب
المولى جلت قدرته عليه وقال له يا عبدي بل انت اسات وانت جهلت
وانت عصيت واذا قال يا رب انا ظلمت وانا اسات وانا جهلت اقبل المولى جلت
قدرته عليه وقال يا عبدي انا قضيت وانا قدرت وقد غفرت وقد حلمت وقد سترت
لا نهاية لمذامك ان رجعك اليك ولا يفرغ مدايحك ان اظهر جوده عليك من ارجعه
الحق تعالى الى نفسه ووكله الى عقله وحسه فقد طرده عن بابه وابعده عن جنابه
وكانت احواله مدخوله واعماله مستقبحة مردوله ومن اواه اليه واظهر
جوده عليه فقد اصطفاه لنفسه ودفعه الى حضرة قدسه وكانت احواله حسنة
جميله واعماله كلها ممدوحة مقبوله كما قال لما التبس الي حال تعرف

ذاتي بصر قالا والامن انا كنت باوصاف ربوبيته متعلقا وباوصاف عبوديتك
متحققا التعلق باوصاف الربوبية ان تشهد وجودكم لولا وجوده لا شي من
جميع ذلك لكم ولا منكم وانما هو عوارى عندكم ولا ترب وجودكم الا بوجوده ولا بقا لكم
الا ببقائه ولا عزتك الا بعزته ولا قدرتك الا بقدرته ولا غناك الا بغناه الى غير ذلك
من الاوصاف ولا ينتج لك ذلك الا بان يتحقق باوصاف عبوديتك من عدمك
وفقركم وذلكم وعجزكم والتعلق والتحقق المذكوران متلازمان بل هما شي واحد
لا يتعدد فيهما على التحقيق منعك ان تدعي ما ليس لك مما للمخلوقين افيبيح لك ان تدعي
وصفه وهو رب العالمين ذكرها كالدليل على ما ذكره انفا من انه لا حظ للعبد من صفات
مولاه الا التعلق بها فقطو ان ادعاه بشيا منها كان من المعاصي التي لسو من مشاركة
المربوب للرب ومن مقتضى الغيرة التي اتصف بها واعلمنا بشانها على لسان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لا احد اغير من الله ومن غيرته انه حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن تحريم ذلك على العبد والتسجيل عليه باستحقاق الطرد والبعد
ومن الفحش الفواحش عند العارفين وجود شي من الشرك في قلب العبد بادعا
شي من اوصاف [illegible] الربوبية لنفسه عقدا او قولا لان ذلك منازعة له وتكبر عليه
وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله
عز وجل الكبر ياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدة منهما القيته في
النار ومعنى المنازعة الدعوى قولا وعبارة والاضمار فعلا واشارة ومعنى
لغيره في حقه تعالى انه لا يرضى بمشاركة غيره له فيما اختص به من صفات
الربوبية وفيما هو حق له من الاعمال الدينية واذا كان الحق تعالى ما نهاك
ومحرما عليك ان تدعي ما ليس لك مما اعطي للمخلوقين من الاموال والمنتمياه
لك ظلما وعدوانا فكيف يبيح لك ان تدعي وصفه وهو رب العالمين لا شريك له
في ذلك لا انت ولا غيرك فهو اذا من اعظم الظلم واشد العدوان عافانا
الله من ذلك قلت وهذا المعنى الذي ضمنه المولف رحمه الله هذه المسيلة
هو الغرض الاقصى الذي هو من تطر الصوفية وكلما صنفوه ودونوه
واحروا به ونهوا عنه من افعاله واقوالهم واحوالهم انما هي وسايل الى هذا
المقصد الشريف والمقام المنيف وشانهم ابدا انما هو العمل عليه بمون نفوسهم
واسقاط حظوظها بالكلية كما قال الصوفي دمه هدر وملكه مباح ولبس
ذلك هو المقصود لهم بالذات وانما غرضهم من ذلك ما يلزم عنه من انفراد الله

تعالى عنهم بالوجود ولوازم الوجود انفرادا ان لا يشاركونه في شي منها
البتة كما ذكرنا انفا وهذا هو كيمياء السعادة الذي اعوز اكثر الناس ولم يحظوا
منه الا بالافلاس اذ بذلك يتحقق المرء عبودية الله عز وجل الذي لا مقام للعبد
اشرف منه كما قال الشاعر ان كنت لي خلقا متى كفا نثونا فما وراك لي
قصد ومطلوب ولهذا المعنى كانت عندهم دقايق خطرات الحظوظ وخفيات
هواجس الهوى وكلما يقتضي بقا النفس وثبوتها من محبة المقامات وايثار
الالطاف والكرامات ذنوبا عظيمة واخلاقا ليمة قادحة في صدق العبودية والاخلاص
للربوبية يتوبون من جميع ذلك الى ربهم ويتعوذون به من شرهم ويخافون من
مسالته وملاحظته غاية البعد ونهاية الطرد والمكر كما قيل اذا قلت ما اذنبت
قالت مجيبة وجودك ذنب لا يقاس به ذنب ذكر انه كان لبعض
الملوك عبد ينازعه على اشكاله واقرانه فتشكى اهل اقليم عاملهم الى الملك فقال
تخيروا من تشتهيه من توليه عليكم فاختاروا ذلك العبد لما راوا ميل الملك اليه فقال
الملك اجمعوه فان اختار الولاية وليته عليكم فرغب الغلام في الولاية فامر بكتب
المنشور وامر باستقباله اذا اتى بحلل والزينة والمبالغة في الطافه بانواع الكرامات
والمبارودس من يرش عليه ما وردفيه ثم امر من يقول انا الشوف على الموت
هذا جزا من اختار الولاية على خدمة مولاه ففي هذا غنية لاولي الابصار وتبصرة
لاولي الاعتبار والى هذا المعنى الجليل المودي الى سوا السبيل يشير الحكاية المشهورة
المروية عن ابي يزيد رضي الله عنه حدث يحيى بن معاذ رضي الله عنه انه راه
في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشا الى طلوع الفجر مستوفزا على
صدور قدميه رافعا اخمصيهما مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره
شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فاطال ثم قعد فقال اللهم
ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهوى فرضوا بذلك واني
اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك واني
اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم عبدك خضرا فرضوا بذلك
واني اعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم
التفت فراني فقال يا يحيى فقلت نعم يا سيدي قال منذ متى انت هاهنا قلت
منذ حين تسكت فقلت يا سيدي حدثني بشي قال احدثك بشي يصلح لك
ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت الاسفل فاراني الارض

وما تحتها

59

وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات
واراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شي
رايت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي ما رايت شيا استحسنه فاسالك
اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن
بك ولافعلن وذكر اشيا فقال يحيى بن معاذ فهالني ذلك وامتلات به
وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لا سالته المعرفة به اذ قال لك ملك الملوك
سلني ما شيت فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غيرة عليه مني لا احب
ان يعرفه سواه قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه بعد ان ذكر هذه الحكاية
فبدا حال العبد عن نفسه ماخوذا كان ربه عز وجل له موجودا طال
مقامه في المقامات فقصر قعن وصف الصفات وحق له اذ لا نظر الى
الحسن الذي حسنت المحاسن بل ~~الى ... بغير ما طلب ... بغير~~
~~مطلوب بمعنى ما طلب~~ كلها عن حسنه وتنشا تنشا الزينة فجميعها
بعد النظر الى زينته وشهد الجمال الذي تجمل المتجملون بجماله ان لا يستحسن
سواه وكيف تحب غير ما استحسن او تزين في عينه الا اياه ام كيف
ينظر غير اباه ام كيف يطلب غير ما احب او يصنع غير ما طلب بل كيف
يهتم بغير ما طلب فهذا نعت عبد مطلوب بمعنى ما طلبوه ووصف
مخصوص بمعنى ما احب الله يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس
انتهى وفي الاثار ان الله تعالى يا عبدي اعزل نفسك فيعزل بعدها
الملك والملكوت فتلحق الوارثين بالملك وتلحق العلوم بالملكوت فتكون عبدي
من ورا ما ابدي فلا تستطيعك ما ابدي لانك عندي واذا كنت عندي
كنت عبدي واذا كنت عبدي كان عليك نوري ولا يستطعك ما ابدي وان
ارسلته اليك لان نوري عليك وليس نوري عليه فاذا جاءكم يطيقك فاذلك
به فتاذن له والعبارات عنهم في هذا المعنى خارجة عن الحصر وفيما رسمناه
منها كفاية وانما ذكرنا هذه المعاني وان كانت في الظاهر اعلى من ان يتناولها
كلام المولف رحمه الله تعالى لان مرجع امره اليها اذا دققنا فيه النظر
وتصرفنا فيه بوجوه العبر وكان باطنه هو المقصود المعتبر كلام الصوفيه
كثيرا ما يجري هذا المجرى والله تعالى يجزيهم عنا خيرا ويمن علينا بالنعم

عنهم وحسن القبول منهم ويفتح اسماعنا للاصغا اليهم ويشرح صدورنا باستحسان
ما يرد منهم او يتلو عليهم بمنه وفضله كيف تخرق لك العوايد وانت لم تخرق
من نفسك العوايد خرق العوايد بانكشاف عالم القدره ولا يكرم الحق
تعالى به الا من خرق عوايد نفسه وفني عن ارادته وحظوظه فمن لم يصل
الى هذا المقام لا يطمع فيها وان اظهر له صورته صورة الكرامة ينبغي له
ان يخاف عند ذلك من الاستدراج والمكر ولا يحزنك ولا يطلبه فان طلبه
او احبه فهو دليل على بقايه مع ارادته وحظوظه وعاداته فكيف تخرق
العوايد لمن هذه صفته على سبيل الكرامه وهل هذا الا محال لا يستقيم
قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه وجميع الاسرار من الغيوب التي
تكنها الحجب والاستار لا يظهر عليها الا مطلوب والمطلوب لا يكون محجوبا
وهو عن نفسه مسلوب فمن يفتش عليه من نفسه بقيه ونظر الى حركته
وسكونه بعينه نظرة خفيه فيسترها عليه رحمة له لانه لو كوشف بها
هلك في حيرة الهوى وغرق في بحار الدنيا ونفس حبه رعي طلبه اياها هو
حجابه عنها واستتارها عنه حتى يكون كارها لظهورها كراهية لظهور
الخلق عن حصيته وخايفا منها لخوفه على نفسه في تظاهرها عليه
بملكته فهنالك حين يبتلى بها ويختبر ليظهر كيف يعمل وكذا الشيخ ابو عبد الله
القرشي رضي الله عنه قال من لم يكن كارها لظهور الايات وخوارق العادات
منه كراهية الخلق لظهور المعاصي فهو في حقه حجاب وسترها عليه رحمه
واذا من خرق عوايد نفسه لا يريد ظهور شي من الايات وخوارق
العادات له بل تكون نفسه عنده اقل واحقر من ذلك فاذا فني عن ارادته
جملة وكان له تحقيق في روية نفسه بعين الحقارة والذله حصلت له
اهلية ورود الالطاف ووجود الاسعاف وسلك الى مرتبة الصديقيه
المنبع النافع وضرب مع اهل الاراده بالقدح الناجح قال الشيخ ابو العباس
ابن العريف اقمت يوما سهوت فقلت للشيخ ابو القاسم ابن رويل حزني
يحكا به عسى الله ان يفرج ما بي فقال نعم وصف لي رجل ببعض السواحل
يعرف بابي الخيار فقصدته فوجدته على ساحل البحر فسلمت عليه وجلست
فلم يتكلم ولم اكلمه حتى اذا كان وقت الصلاه اقبل نفر من بعض الاوديه يتفرقون
واجتمعوا اليه وتقدم واحد منهم فصلى بهم ثم افترقوا ولم يبق احدا منهم وجلس

الشيخ مكانه وجلست عنده حتى اذا كان وقت الصلاه اقبل النفر وصلوا ثم انصرفوا
حتى حان وقت الصلاة للعصر اجتمعوا وصلوا ثم جلسوا بعد ذلك وتذاكروا في سير
الصالحين ومقامات الاوليا الى قرب الاصفرار ثم تفرقوا واجتمعوا للمغرب
ثم تفرقوا فجلست عنده ثلاثة ايام وهو على ذلك ثم وقع في نفسي ان اسيله عن
مسله استفيدها فتقدمت اليه فقلت له ايها الشيخ مسلة اسيل عنها فقال
فقل فنظر الجماعه الى كالمنكرين ثم فرغت فقلت له ايها الشيخ متى يعلم المريد
انه مريد قال فاعرض عني ولم يجبني فخفت ان اكون اغضبته فقمت عنه
فلما كان في اليوم الثاني فقلت لا بد ان اساله عن المسله وعزمت على ذلك
فتقدمت اليه وقلت له ايها الشيخ متى يعلم المريد انه مريد فاعرض عني
كالاول ولم يجاوبني فقمت وعدت في الثالثه وسالته عن المسله بعينها
فاجتمع وقال لا تنقل هكذا الا لمن تريد ان تسل عن اول قدم يضعه المريد
في الاراده فقلت نعم فقال لي اذا اجتمع فيه اربع خصال احدها ان تطوى
له الارض وتكون عنده كالقدم واحد وان يمشي على الماء وان ياكل من الكون
متى اراد وان لا ترد له دعوه فعند ذلك يضع اول قدم في الاراده
واما متى ما علم المريد عندنا انه مريد سقط من حد الاراده قال الشيخ ابو
العباس ابن العريف رضي الله عنه فصحت صيحة كادت نفسي تذهب
معها ثم قلت له ايستنا من الاراده يابا القاسم وتعجبت من علو
همة هذا الشيخ الشيخ والاعلان او لما تخرق له من عادة تسميته باسم
مريد مع كونه مسلوب الاراده وما احسن ما قال الشاعر
تكون مريدا ثم فيك ارادة   اذا لم ترد شيا فانت مريد
والتحقيق في هذا ان من تمحضت ارادته لعبودية الله عز وجل في اقامة حقوقه
لاجل ما وجب عليه من ذلك لا ليتوصل به نيل حظ ما هو الذي يسمى مريدا فلم يسم
بذلك الا لانه متصف بالاراده الحقيقيه المتعلقه باشرف المطالب ونهاية الهمات
والمارب وذلك من وجوب تعلقها ان يشتق منه اسم لمن قام به ذلك الامر
لانه سمي بذلك لاجل ما سلب عنه من الاراده المجازيه المتعلقه بحظوظه لكن
لما كان سلبها حراها يقتضي وجود الاخرى لا اقتضا الواجب صح لذلك
الشاعر ان يطلق اسم الاراده على ما سلب منه وتجزه عمن وجدت فيه

ربانية وملاحظة ونعمه وبهذا اشيف لك صحة كلام ابي يزيد وانتقا منه
حين قيل له ما تريد فقال اريد ان لا اريد وانه ليس بمختل ولا متناقض كما توهم بعضهم
فقال في التنوير واعلم انه قد قال بعضهم ان ابا يزيد رضي الله عنه لما اراد ان لا يريد
فقد اراد وهو قول من لا معرفة عنده وذلك ان ابا يزيد انما اراد ان لا يريد لان
الله تعالى اختار له وللعباد عدم الارادة معه فهو في ارادته ان لا يريد موافق
لارادة الله ولذلك قال ابو الحسن فكل مختار الشرع وترتيباته هو مختار لله
ليس لك منه شي واسمع واطع وهذا موضع الفقه الرباني والعلم اللدني وهو ارض
لتنزل علم الحقيقة الماخوذ عن الله قال ما تا الشيخ رحمه الله الكلام ان كل مختار
للشرع لا ينافي اختياره مقام العبودية المبني على ترك الاختيار بل لا يتحد
عقل قاصر عن درك الحقيقة بذلك فيظن ان الفقها يقولوا الاوليا رضوان الله
ارادتها يخرج بها العبد عن صريح العبودية لانه قد اختار فبين الشيخ رحمه
الله ان كل مختار الشرع وترتيباته ليس منه شي فانما انت مخاطب ان
يخرج من تدبيرك لنفسك واختيارك لها الا عن تدبير الله ورسوله لك
فافهم قال فقد علمنا اذ ان ابا يزيد لما اراد ان لا يريد الا لان الله تعالى اراد
منه ذلك فلم تخرجه هذه الارادة عن العبودية المقتضى منه انتهى وقد طال
بنا الكلام في هذا المعنى حتى كان يبعد المناسبة بينه وبين المسيلة المنبه
عليها من الكتاب والحديث مشحون بجر بعضه الى بعض لكن لما كان
مقصدنا في هذا التنبيه استغنام ذكر الفوايد في مظانها ومظان [illegible] لتقع
مسايل هذا الفن لغريب اسماع [illegible] الله توفيقه على اوضح المسالك
وبالله تعالى التوفيق ما الشان وجود الطلب انما الشان ان ترزق
حسن الادب اذا التزم العبد طلبت حوايجه وحظوظه من مولاه ولم يطلب
ذلك من غيره فلا يظن انه وفا بما يجب عليه من حق الربوبيه
فليس ذلك بالشان المعتبر عند المحققين وانما الشان ان يتادب
العبد بين يدي مولاه اذا احسن بان يفوض امره اليه ويرضى بما قسم له
ولا يطلبه كما سيقوله المولف بعد هذا او يطلب منه عبوديه منه
له لا لقصد نيل حظه فبتقدين الوجهين يحسن ادبه ويصح سواله
وطلبه وذلك هو الوفا على التحقيق ما طلب لك مثل الاضطرار ولا اسرع
بالمواهب اليك مثل الذلة والافتقار اضطرار العبد هو اخص اوصاف عبوديته

ولذلك لم يطلب من العبد شي اجل منه قال ابو محمد عبد الله بن منازل العبودية
الرجوع في كل شي الى الله تعالى على حد الاضطرار وفيه ايضا خاصية اجابة الدعا
قال الله عز وجل امن يجيب المضطر اذا دعاه والاضطرار المطلوب منه
ان لا يتوهم العبد من نفسه شيا من الحول والقوة ولا يرى لنفسه
شيا من الاسباب يعتمد عليه او يستند اليه ويكون بمنزلة
الغريق في البحر او الضال في التيه القفر لا يرى لغياثه الا مولاه ولا يرجوا
لنجاته من هلكته احدا سواه وقال بعض العارفين المضطر الذي يقف
بين يدي مولاه فيرفع يديه اليه بالمسيلة فلا يرى بينه وبين الله
حسنة يستحق بها شيا فيقول هب لي يا مولاي بلا شي والذلة
والافتقار امران لازمان له وهما موجبان لاسراع مواهب الحق
تعالى الى العبد المتصف بهما واليه الاشارة بقوله عز من قايل ولقد نصركم
الله ببدر وانتم اذلة فذلتهم اوجبت لهم عزتهم ونصرتهم كما قيل
واذا تذللت الرقاب تقربا منها اليك فعزها في ذلها
وقيل حين اسلمتني الى الذل والالام تلقيتني بعين وراي قال في لطايف المنن
والجالب للتوفيق وعلامة صدق الرجوع الى الله في اول كل فعل وترك
بتحقيق الفقر والفاقة اليه والانغماس في بحر الذلة والمسكنة بين يديه
واستصحاب ذلك الى الفراغ من ذلك ابدا وقد قال سبحانه وتعالى ولقد نصركم الله
ببدر وانتم اذلة وقال سبحانه انما الصدقات للفقرا والمساكين فلا يدخل
الجنة بعملك ولا بما اعطيت من نور وتيح فتقول كما قال من خذل
فاخبر الله عنه ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه
ابدا ولكن ادخلها كما يليق لك وقل كما رضي لك ولولا اذ دخلت جنتك
قلت ما شا الله لا قوة الا بالله وافهم ها هنا قوله صلى الله عليه وسلم لا حول
ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة وفي رواية اخرى كنز من كنوز العرش
فالرحمة ظاهرا لكنز والمكنوز فيها صدق التبري من الحول والقوة
والرجوع الى حول الله وقوته لولا انك لا تصل اليه الا بعد فنا مساويك ومحو
دعاويك لم تصل اليه ابدا ولكن اذا اراد ان يوصلك اليه غطا وصفك بوصفه
وغطى نعتك بنعته فوصلك اليه بما منه اليك لا بما منك اليه الوصول الى الله
تعالى لا يكون الا بمحو صفات النفس وقطع علايق القلب بشي من ذلك لا يتصور

العبد من حيث هو لان ذلك طبعه وجبلته ولو لم يكن الا لادته وعمله في تحصيل هذا
الغرض بنفسه دهما من جملة المساوي والدعاوي المحتاج الي محوها قال سيدي ابو
العباس رضي الله عنه لن يصل الولي الي الله حتي ينقطع عنه شهوة الوصول الي الله
يعني انقطاع ادب لا انقطاع ملل قال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه ولن يصل
الولي الي الله ومعه شهوة من شهواته او تدبير من تدبيراته او اختيار من اختياراته
فلو خلي الله عبده وذلك لم يصل اليه ابدا ولكن اذا اراد الله ان يوصل عبده اليه تولي ذلك
له بان يظهر له من صفاته العليه ونعوته القدسيه ما تغيب بذلك صفات عبده
ونعوته عنه ويكون ذلك علامة علي محبته له كما اشار اليه بقوله في الحديث
الصحيح قال اذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي
يبطش بها ورجله التي يمشي عليها وعند ذلك لا يكون له اراده ولا اختيار الا ما اختاره
مولاه واراده فيكون حينئذ واصلا بما من الله اليه من التفضل والكرم لا بما من
العبد اليه من الاجتهاد والعمل فسبحان المتفضل علي من شا بما شا وقال
رضي الله عنه لولا جميل ستره لم يكن عمل اهلا للقبول العبد يشتغل بنظره الي نفسه
وفرحه بعمله من حيث نسبته اليه وشهوده حوله وقوته عليه وهذا لا
يحصل له عنه الا بما يشاربه وقد يكشف حجابه فيري به ويطلب حمد الناس
له وهذا كله من الشرك الخفي القادح في الاخلاص الحقيقي والاخلاص شرط في قبول
الاعمال كما تقدم وقال يحيي ابن معاذ رضي الله عنه مسكين ابن ادم جسم معيب
وقلب معيب يريد ان يخرج من معيبين عملا بلا عيب فعمل العبد لما كان
بهذه المثابه لم تكن فيه اهليه لوجود القبول لولا جميل ستر الله تعالي وعظيم
حلمه وبره فليعتمد المريد علي فضل الله تعالي وكرمه لا علي اجتهاده وعمله قال الشيخ ابو
عبد الله القرشي رضي الله عنه واذا طالبهم بالاخلاص تلاشت اعمالهم واذا تلاشت
اعمالهم زاد فقرهم وما فاقتهم فتبروا عن كل شي من كل شي لهم وشهدوا انت الي حلمه
اذا اطعته احوج منك الي حلمه اذا عصيته تشرف العبد دفعة قدره انما
يكون بنظره الي ربه عز وجل واقباله عليه وسكونه اليه واعتماده ورد انه وخسته
وسقوطه من عين الله تعالي انما تكون بنظره الي نفسه واقباله علي غيره واستناده
الي سواه فالعبد بعمله بالطاعه معرض لهذه الاخطار من نظره لنفسه
واستعظام عمله وحجبه بطاعته وسكونه الي معاملته ولمنه بيسر فيه من ذايف
الريا والتصنع بخلاف المعصيه في جميع هذه الاشيا فانها تحمله علي الحذر والخوف من ربه
وتوجب له الاستكانه والخضوع وشدة الافتقار اليه فلذلك كان العبد الي حلم الله

اذا الطاعه احوج منه الي حلمه اذا عصاه وفي الخبر عن رسول الله صلي الله
عليه وسلم انه قال اوحي الله تعالي الي نبي من الانبيا قل لعبادي الصديقين لا تغتروا فاني
ان اقم عليهم عدلي وقسطي اعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادي الخاطيين لا ييسوا
من رحمتي فاني لا يكبر علي ذنب اغفره ولهذا المعني قال ابو يزيد رضي الله عنه
توبة المعصيه واحده وتوبة الطاعه الف توبه الستر علي قسمين ستر عن
المعصيه وستر فيها فالعامه يطلبون الستر من الله فيها خشية سقوط
مرتبتهم عند الخلق والخاصه يطلبون الستر عنها خشية سقوطهم من نظر
الملك الحق العامه يغلب عليهم شهود الخلق والتصنع والتزين لهم ومحبة
حمدهم وكراهة ذمهم فهم يعملون المعصيه ويستخفون بها ويطلبون الستر من الله
عليهم فيها اي في حال كونهم عاملين بها لئلا يراهم الخلق فيسقطون من اعينهم وفي
امثالهم قال الله عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ
يبيتون ما لا يرضي من القول قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه في هذه الايه انكالب
علي قلوبهم روية الخلق ولا يشعرون ان الحق مطلع عليهم ارلئك الذين وسم الله
قلوبهم بوسم الفرقه روي ابن حاتم ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال يومر يوم القيامه
بناس من الناس الي الجنه حتي اذا دنوا منها ونظروا اليها واستنشقوا ارايحها
وما اعد الله لاهلها نودوا ان اصرفوهم لا نصيب لهم فيها قال فيرجعون
بحسرة ما رجع الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان ترينا
ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليايك كان اهون علينا قال ذلك اردت
بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظايم واذا القيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراوون
الناس خلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني اجللتم الناس ولم تجلوني
وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم العذاب مع ما حرمتم من الثواب وفي
بعض الكتب المنزله ان لم تعلموا اني اراكم فالخلل في ايمانكم وان علمتم اني
اراكم فلم تجعلوني اهون الناظرين اليكم وقال ابن عباس في قوله تعالي يعلم خاينة
الاعين وما تخفي الصدور هو الرجل يود لو انه يطلع علي عوراتها ويقدر عليها وقال ايضا
في رواية اخري هو الرجل يكون في القوم فتمر بهم المراه فيريهم انه يغض بصره عنها
فاذا راي من القوم غفله لحظ اليها فاذا خاف ان يفطنوا اغض بصره فقد
اطلع الله عز وجل من قلبه كذا يود لو انه نظر الي عورتها وهذا كله شان اهل
المراتب الذين يستخفون بنظر الجبار ويهابون الناس ان يطلعوا علي احوالهم

فيه يكونها من الانوار والخاصة من اهل الايمان واليقين براء من هذا الوصف الذميم لا التفات لهم الي الخلق مدحا ولا ذما وهمتهم مصروفه عن النظر اليهم ولا اعتماد عليهم في نفع او دفع وحالهم القناعه بعلم الله تعالى ومراقبة نظره فيه يطلبون الستر من الله تعالى عنها اي ان يغيبها عن نظرهم ولا يخطرها بقلوبهم فتقبل اليها انفسهم فيعملون بها فيقعوا في مخالفة ربهم والتعرض لسخطه والسقوط من عينه وشتان ما بين الحالتين والي هذا اشار سيدي ابو الحسن في دعايه بقوله اللهم انا نسالك التوبه ودوامها ونعوذ بك من المعصيه واسبابها وذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها واحملنا على النجاة منها ومن التفكر في طرايقها وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها واستبدلها بالكراهة لها والطعم لما هو بضدها من اكرمك فانما اكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن اكرمك وشكرك فالعبد محل الافات والعيوب وستر الله الجميل هو الذي حبب الناس اليه فاذا اكرمك احد فلا يذهب بك ان ترى لنفسك وصفا محمودا تستحق به الاكرام فتكون جاهلا بنفسك ولا يحملنك ايضا رؤية اكرام الخلق لك لوجود جهلهم بحالك على ان تحمدهم عليه دون ربك الذي اضطرهم الي اكرامك وستر عنهم عيوبك واظهر لهم محاسنك فتكون بذلك كافرا لنعمه من ربك ظالما بوضع الحمد في غير موضعه فما صحبك الا من صحبك وهو بعيبك عليم وليس ذلك الا مولاك خير من تصحب من يطلبك لك لا لشي يعود منك اليه الصاحب على الحقيقة هو من بذل احسانه لك واسبغ نعمه عليك ولم يمنعه من ذلك ما يعلم من عيوبك التي تكرهها منك وليس ذلك الا مولاك خير صاحبك ايضا من اعتنائك والترك واردك من غير منفعة ينالها منك وليس ذلك ايضا الا مولاك فاتخذه صاحبا ودع الناس جانبا لو اشرق نور اليقين لرايت الاخرة اقرب من ان ترحل اليها ولرايت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفنا عليها نور اليقين يتراى به حقايق الامور على ما هي عليه فيحق به الحق ويبطل به الباطل والاخرة حق والدنيا باطل فاذا اشرق نور اليقين في قلب العبد ابصر به الاخرة التي كانت غايبة عنه حاضرة لديه حتى كانها لم تزل لديه فلا تنكشف نورها اليها لم تزل فكانت اقرب اليه من ان يرتحل اليها فيحق بذلك حقها عنده وابصر دنياه الحاضرة لديه قد انكشف نورها واسرع اليها الفنا والذهاب فغابت عن

نظره

نظره بعد ان كانت حاضره فظهر له بطلانها حتى كانها لم تكن فيوجب له هذا النظر اليقيني الزهادة في الدنيا والتجافي عن زهرتها والاقبال على الاخره والتهيوا لحضرتها ووجدان العبد لهذا هو علامة انشراح صدره بذلك النور كما قاله النبي صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامه يعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله او كما قال صلى الله عليه وسلم وعند ذلك تموت شهواته وتذهب دواعي نفسه فلا تامره ولا تطالبه بارتكاب منهي ولا يكون له همة الا المسارعة في الخيرات والمبادره لاغتنام الساعات والاوقات خوفا لذلك من خشية حلول الاجل وفوات صالح العمل والي هذا المعنى الاشارة بحديثي حارثه ومعاذ روى انس بن مالك رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي اذ استقبله شاب من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف اصبحت يا حارثه فقال اصبحت مومنا بالله حقا قال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقه فقال يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي واظمات نهاري فكاني بعرش ربي بارزا وكاني انظر الي اهل الجنه يتزاورون فيها وكاني انظر الي اهل النار يتعاوون فيها فقال ابصرت فالزم عبد نور الله الايمان في قلبه فقال يا رسول الله ادع لي بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي يوما في الخيل يا خيل الله اركبي فكان اول فارس ركب واول فارس استشهد فبلغ امه ذلك فجات الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اخبرني عن ابني فان يكن في الجنه فلن ابكي ولن اجزع وان يكن غير ذلك بكيت ما عشت في الدنيا فقال يا ام حارثه انها ليست بجنه ولكنها جنة في جنان وحارثة في الفردوس الاعلى فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ يا حارثه وروى انس ايضا ان معاذ بن جبل رضي الله عنهما دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال كيف اصبحت يا معاذ قال اصبحت بالله مومنا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقه فما مصداق ما تقول فقال يا نبي الله ما اصبحت صباحا قط الا ظننت اني لا امسي وما امسيت مساء قط الا ظننت اني لا اصبح ولا خطوت خطوة قط الا ظننت اني لا اتبعها اخرى وكاني انظر الي كل امة جاثية تدعى الي كتابها معها نبيها واوثانها التي كانت تعبد من دون الله وكاني انظر الي عقوبة اهل النار وثواب اهل الجنه فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم فهذان الرجلان الفاضلان حارثه ومعاذ بن جبل الانصاريان رضي الله عنهما لما اشرق عليهما انوار اليقين

وتمكن من قلوبهما اي تمكين صدر منهما ما صدر مما ذكرناه من فنون العبر
وشاهدا ما الدارين بمنزلة راي العين فسلمت اعمالهما من العيوب والافات
وحفظا من الصفات فسوا النسيا فظهرت منهما الاسرار والقلوب وسارعا في كل امر
محبوب وطارقا روحهما الشيا قا الي البقا الواحد الفرد وطابت نفسهما
بالموت حتى صارت تعدها احلا من الشهد حبيب جا على فاقه لا افلح من
تدم وكذلك غيرهما من الصحابة وكبار التابعين وايمة الدين رضي الله عنهم اجمعين

ولقد امار معبر عن حالهم   فاسمع مقالا ما دنا مقبولا
ان الاولى ماتوا على دين الهوى   وجدوا المنية منهلا معسولا

روي انس ابن مالك رضي الله عنه ان حرام بن ملحان وهو خال انس طعن يوم بير
معونة في راسه فتلقى دمه بكفه ثم نضحه على راسه ووجهه وقال فزت ورب
الكعبة وكان جبار بن سلمى من حضر بير معونة مع عامر بن الطفيل ثم
اسلم بعد ذلك فكان يقول مما دعاني الى الاسلام اني طعنت رجلا منهم فسمعته
يقول فزت والله قال فقلت في نفسي والله ما فاز اليس قتلته حتى سالت
عن قوله فقالوا الشهادة بعد ذلك فقلت فاز لعمر الله والمطعون هاهنا
والله اعلم هو عامر بن فهيرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شان الامرا
الثلاثة يوم موته اخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذها جعفر فاصيب ثم اخذها
ابن رواحة فاصيب ثم اخذها خالد بن الوليد عن غير امرة ففتح الله عليه ثم
قال صلى الله عليه وسلم والله ما يسرنا انهم عندنا او قال ما يسرهم انهم عندنا وعيناه
تذرفان رحمه الله كرهم لقد حازوا مرتبة شريفة ومنزلة عالية منيفة وقتبا
لامثالنا الذين عميت بصايرهم واظلمت سرايرهم فحجبت عنا شموس المعارف
ووقعنا في اودية المهالك المتالف واغترونا بهذه الدار الغرارة الفتانة السحارة
فتشبثت بنا ابشراكها وانكبنا في مصايدها واشراكها من غير شعور
منا بحالها وتزوير محالها فصارت قصدنا اليها وتعويلنا عليها بمنزلة ظمآن
لاح له سراب حسبه ما فلما جاه لم يجد فيه ريا ولا غنا ثم مع هذا كله نتبسط
الي الدين وندعي كمال المعرفة واليقين والاخوة في جوار الله المتقين مع ان اخبرنا
لو خيرنا بين حلول الحين او البقا في الدنيا معلقا باسفار العين لاختارها البقا فيها
على هذه الحالة مع كونه لا يحدث نفسه في طاعة باذدياد ولا عن معصية بانتقال
وهذه كلها اخلاق يهودية لا يليق نسبتها الي الملة المحمدية قال الله تعالى مخبرا
عن حال اليهود

عن حال اليهود وكشفا لاسرارهم وهتكا لاستارهم ولتجدنهم احرص الناس على
حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من
العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون فلو لم ينبه العاقل عن محبة البقا في هذه
الدار ويلامه بايثار دار القرار الا تشبهه باليهود الناقضين العهود المتهاونين
باوامر المعبود لكان ذلك ابلغ ناه وامر فكيف وقد ورد في ذلك من مواعظ وزواجر
نزع الله عن قلوبنا حجاب الغفلة والغرور وحمانا عن مشابهة كل ظلوم وكفور
وحبب الينا لقاه ورزقنا ما رزق اصفياه واحباه بمنه وكرمه امين يا مجيب عن الله
وجود موجود معه اذ لا شي معه ولكن حجبك عنه توهم وجود معه
تقدم ان لا موجود سوى الله تعالى على التحقيق وان وجود ما سواه انما هو
وهم مجرد فلا حاجب لك عن الله تعالى اذا وقد استوفى المولف رحمه الله تعالى
ذكر جميع انواع اعتبارات هذا المعنى قبل هذا قال في لطايف المنن واعلم ان
شي بوجود الكاينات اذا نظرت اليها بعين البصيرة وجود الظلال والظلال
لا موجود باعتبار جميع مراتب الوجود ولا معلوم باعتبار جميع مراتب العدم واذا
ثبتت ظلية الاثار لم تنسخ احديه المؤثر لان الشي انما ينسخ بمثله ويضم الى شكله
كذلك ايضا من شهد ظلية الاثار لم تعوقه عن الله تعالى فان ظلال الاشجار في الانهار
لا تعوق السفن عن السير وهاهنا تنبيه كذا يقال ان الحجاب ليس امرا وجوديا
بينك وبين الله تعالى ولو كان بينك وبينه حجاب وجودي للزم ان يكون اقرب اليك
منه ولا شي اقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب فما حجبك
وجود بوجود معه وذلك كرجل بات في مكان واراد البراز فسمع صوت الرياح مثلوه
هناك فظنه زئير اسد فمنعه ذلك عن البراز فلما اصبح لم يجد هناك اسدا وانما هو الريح
انخفض في تلك الكوة فما حجبه وجود اسد وانما حجبه توهم الاسد لولا ظهوره في
المكونات لما وقع عليها وجود ابصار لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته
ظهور الحق تعالى من وراء حجاب المكونات هو الذي اوجب ظهورها ووقوع
الابصار عليها ولولا وجود تجلياته لم يقع عليها ابصار ولتلاشت
لوجود التجلي الحقيقي كما قال لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته بل لم
يكن هناك بصر ولا ابصار ولا مبصر كما جاء في الحديث حجابه النار وفي رواية
النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه كل شي ادركه بصره
اظهر كل شي بانه الباطن وطوى وجود كل شي لانه الظاهر رضي ربنا
تعالى استحيا تعظيم

الظاهر والباطن فاسمه الظاهر يقتضي بطون كل شي حتي لا ظاهر معه فينطوي
حينيذ وجود كل شي واسمه الباطن يقتضي ظهور كل شي حتي لا باطن معه فيظهر
ادراك وجود كل شي فالحق تعالى هو الموجود بكل اعتبار والحمد لله اباح لك
ان تنظر في المكونات قل انظروا ماذا في السموات والارض ولم يقل انظروا السموات
ليلا يدلك علي وجود الاجرام امر الله تعالى بالنظر في المكونات ليس لذاتها لان في ذلك
البعد عن الله تعالى بالنظر الي ما سواه ولم يبح هذا ولكنما امرهم بذلك ليتوصلوا بنظرهم
فيها اليه لوجود ظهوره فيها والاشارة الي هذا المعني بقوله تعالى قل
انظروا ماذا في السموات والارض والمعني المقصود في وجود الظرفيه ومنها يستفاد
وهو معني قوله يفتح لك باب الافهام فلو اسقطها وقال انظروا السموات
لكان منه دلالة علي وجود الاجرام وهل غادر فيها البعد عند تكييف لك
علي ذلك وهو لم ياذن فيه فالشيخ لطايف المنن فما نصبت لك الكاينات
لتراها ولكن لترا فيها مولاها فمراد الحق منك ان تراها بعين من لا يراها
تراها من حيث ظهوره فيها ولا يراها من حيث كونيتها قال لنا في هذا المعني
بعينك لك العوالم الا تراها بعين من لا يراها فارق عندها رق من ليس يرضي
حالة دون ان يرى مولاها الاكوان ثابته باثباته وممحوة باحدية ذاته الاكوان
من ذاتها العدم المحض كما تقدم وانما حصل لها وصف الثبوت باثبات الله تعالى لها
وجعلها اكوانا بالثبوت لها امر عرضي والحق اللازم هو وجود احدية الله تعالى
والاحديه مبالغه في الوحديه ولا يتحقق الا اذا كانت الوحده بحيث لا يمكن ان تكون
اشد ولا اكمل منها فمن مقتضي حقيقتها محو الاكوان وبطلانها بحيث لا توجد اذ لو
وجدت لم تكن احدية ولكان في ذلك تعدد وا تثنية كما قيل رب وعبد لو نعم ذلك
قلت له ليس عندي فقال ماعندكم فقلنا وجود نقد وفقد وجدي

توجد حق يترك حق | وليس حق بسولي وجدي
سولي سوي من جانب القدس انثاني | وانشدوا
لكن بذاك الغني عني فدا جاني | وركني فبقا حتي اعبر عن
جال حضرته لكل هماني | وطوف في ملوك من عجايبه
لم الف غير وجود ماله ثاني | وانشد المولف لنفسه في لطايف المنن يوصي رجلا من اخوانه اسمه حسن
فقال حسن بان تدع الوجود باسره | حسن ولا يشغلك عنه شاغل
ولو فيت تعلمن بانه | لا نزل الا للذي هو حامل
تسواه فاعلم انه | من وهل الادني وتلك داهل

حسب الاله

حسب الاله شهوده لوجوده | والله يعلم ما يقول القايل
ولقد اشرت الي الصحيح من الهدي | دلت عليه ان فهمت دلايل
وحديث كان وليس شي غيره | يقضي به الان اللبيب العاقل
لا غرو الانسة مشيوتة | ليذوم ذوتوك ونجد فاعل

الناس يمدحونك بما يظنون فيك فكن انت ذاما لنفسك لما تعلمه منها
ذم العبد لنفسه واحتقارها لما يتحقق من عيوبها وافاتها مطلوب منه لان
ذلك يودبه الي الحذر من غرورها وشرورها فتصلح بذلك اعماله وتصدق احواله
والا فسدت عليه واعتلت لدخول الافات عليها ولا يصدنه عن ذلك ثنا
الناس عليه ومدحهم له لانه يعلم من عيوب نفسه ما لا يعلمه غيره ثم انهم لما
قاموا بحق ما يجب عليهم من المدح له وحسن الظن به ينبغي ايضا ان يقوم
هو بحق ما يجب عليه من اتهام نفسه وسوء اعتقاده فيها قال بعضهم
من فرح بمدح فقد امكن الشيطان ان يدخل في بطنه وقال اخر اذا قيل لك
نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال بيس الرجل انت فانت والله
بيس الرجل وقيل لبعض الصحابه لن يزال الناس بخير ما ابقاك الله فغضب
وقال اني لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الي بمقتك
فاشهدك علي مقته وقال الاخر اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تواخذنا
بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون وقال الامام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه
وانما كرهوا المدح خيفة ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق
فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله تعالى يبغض اليهم مدح الخلق
لان الممدوح هو المقرب الي الله تعالى والمذموم علي الحقيقه هو المبعد عن الله
تعالى الملقي في النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله تعالى من اهل
النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنه فلا ينبغي ان
يفرح الا بفضل الله تعالى وثنايه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم
ان الارزاق والاجال بيد الله تعالى قل التفاته الي مدح الخلق وذمهم وسقط
من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه انتهي كلام ابي حامد
رضي الله عنه الحقيقي المومن اذا مدح استحيي من الله ان يثني عليه بوصف لا
يشهده من نفسه المومن الحقيقي هو الذي لا يشهد من نفسه
صفة محموده يستحق بها ان يمدح او يثني عليه وانما يشهد ذلك من ربه
عز وجل فاذا اثنا الناس عليه وذكروا محاسنه استحيا من الله تعالى استحيا تعظيم

ولست باهل ... [illegible] ... بما هو اهله

واجلا ان يثني عليه بصفة ليست منه فيزداد بذلك مقتا لنفسه واحتقارا لها ونفورا عنها وتقوى عنده روية احسان الله تعالى اليه وشهود فضله في الهها لا المحاسن عليه وهذا هو الشكر الذي به ينال المزيد مع سلامته من السكون الى ثنا العبيد واجهل الناس من ترك يقين ما عنده بظن ما عند الناس لاغترار بمدح الناس وثنايهم غاية في الجهل والغباوة وذلك من علامات المقت المغتر بذلك ترك يقينه بنفسه لظن غيره به وهو على كل حال اعلم بنفسه وقد مشبه الحادث الحالي الراضي بالمدح بالباطل بمن يهزأ به ويقال له ان العذرة التي تخرج من جوفك لها رايحة كرايحة المسك وهو يفرح بذلك ويرضى بالسخرية به قلت ولا شك ان الذنوب والعيوب التي يعلمها العبد من نفسه انتن واقذر من القذرة التي تخرج من جوفك ولا فرق من الحالتين الا انه في حال المدح بعلمه ان المادح لم يشاركه في معرفة ذنوبه وعيوبه مشاركة ذلك المستهزي للمستهزا به في معرفة حال ما يخرج من جوفه فهو بجهله وغباوته رضي بان يكون له في قلوب العبيد الجاهلين بحاله قدر وجاه من غير مبالاة بسقوطه من عين مولاه الذي يعلم من حاله ما لا يعلمه هو ولا غيره من حيث فرح بالمدحة وفرح بها ولم يقابل ذلك بالاباء والكراهة هذا اذا كان المادح من اهل العلم والدين واما ان كان جاهلا او فاسقا فاغتباطه اعظم من الوفا بمدحهم والفرح به قال بعض الحكماء ان العامة يثنون عليك فاظهر الوحشة من ذلك فان بعدهم داوا شيئا اعجبهم ولا خير في شي يسرهم ويعجبهم ويروى عن بعض الحكما انه مدحه بعض العوام فبكا فقال له تلميذه اتبكي وقد مدحك فقال انه لم يمدحني حتى وافق بعض خلقي خلقه فلذلك بكيت فانظر فقد نبهك هذا الحكيم على العلة في ذلك فاذا اطلق الثنا عليك ولست باهل فاثن عليه بما هو اهله المومن هو الذي لا يرى نفسه اهلا لان يمدح او يثني عليه لان موجبات ذلك ليس له منها شي كما تقدم فاذا اطلق الله تعالى السنة الناس بالثنا عليه ولا اهلية فيه لذلك فينبغي ان يعرف الحق لاهله فيستعمل نفسه بالثنا على الله بما هو اهله ليكون ذلك شكرا لانعمه اطلاق الالسنة بالثنا عليه من غير استحقاق فلذلك لا يثبت اهليه الزهاد اذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثنا من الخلق والعارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق بعدم ان الزهاد في غيبة عن الله تعالى فهم لا يشاهدون الا الخلق فاذا مدحوا او اثني عليهم شهدوا ذلك من الخلق فانقبضوا عند ذلك لانهم يخافون من فوت نصيبهم من ربهم لاجل ما يتوقعون من الاغترار بذلك والعارفون حاضرون مع ربهم فهم لا يشاهدون

معه غيره

معه غيره فاذا مدحوا شهدوا الثنا من ربهم فانبسطوا لذلك كان ذكر مزيد ابي حاتم ومقامهم لغيبتهم عن انفسهم كان بعضهم يمدح وهو ساكت فقيل له في ذلك فقال وما علي في ذلك ولست اغلط في نفسي بل لست في البين والمحبوب والمثني هو الله عز وجل وقيل هذا المعنى في الخبر المروي اذا مدح المومن ربا الايمان في قلبه قال ابو طالب المكي وفيه طريق للعارفين بان يعلو الايمان العلي الى المولى الاعلى فيفرح بذلك لمولاه ويضيفه الى سيده الذي تولاه فيريا لصنعة الحمد نعتها ويشهد من الفطرة ناظرها فيكون ذلك مدحا للصانع ووصفا للفاطر لا ينظر الى صفة ولا يعجب بنفسه انتهى قلت وللمولف رحمه الله قصايد في مدح شيخه ابي العباس المرسي وكان ينشدها بين يديه ويقع ذلك منه موقعا عظيما وكان يستعيد منه بعضها ويقول له في بعضها ايدك الله بروح القدس نحو ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم لشاعره حسان ابن ثابت مع ان حب المدح عندهم من الرذايل التي تشبه الفضايل واهل النظر والشهود الجمعي استغناهم من مدحهم لا نفسهم وثنايهم عليها ما لم يستغن لغيرهم كما وقع لجماعة منهم وقد روي في ذلك عن سيدي عبد القادر الجيلاني وسيدي ابي الحسن الشاذلي وسيدي ابي العباس المرسي رضي الله عنهم غير شي مع ان ذلك معدود عندهم من الحدق بالقبيح وما ذلك الا ما ذكرنا ولاهنا وليعا وقع لهم من ذلك ما انا دل به علما الظاهر مدح يوصف لنفسه وثنايه عليها بغاية الحفظ والعلم لعدم الحاجة اليه في هذا المقام والله تعالى اعلم وعلامة الصادق في حب المدح وان كان صاحب هذا المقام لا يحتاج الى علامة الا يكره ذمه الناس له من حيث نسبة ذلك اليهم لانهم مصرفون في قبضة القدرة فيسمح لهم ويصفح عنهم ولا يجد في قلبه عليهم ولا يصل شي من الاذى اليهم كما قيل

رب رام لي باحجار الاذى	لم اجد بدا من العطف عليه
فعسى ان يطلع الله على	فرح القوم فيدنيني اليه

متى كنت اذا اعطيت بسطك العطا واذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك في عبوديتك القبض عند المنع والبسط عند العطا من علامات بقا الحظ والعمل على نيله وهو مناقض للعبودية عند العارفين فمن وجد ذلك فليعرف به عدم صدقه في عبوديته وانه طفيلي بين اهل الله تعالى في دعاويهم مقاماتهم ونعوتهم باهلها والطفيلي هو الذي ياتي الى الولايم والضيافات فيدخل مع اهلها من غير دعوة وهو منسوب الى رجل من اهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يقال له طفيل الاعراس وطفيل العرايس وكان ياتي الولايم من غير ان يدعى فنسبه ما جهد الكتاب قال الشيخ عبد الرحمن السلمي اكثر الخلق مع الله في احوالهم وارادتهم على الظن مما يحقق

قوله

منه الا قليل الا تراه تعالى يقول وما يتبع اكثرهم الا ظنا فمن تحقق في حاله مع الله تعالى
غلب عن كل ما منه وله من الاحوال انما نظرا لما اليه من رعاية الخلق وحياطته وتوليه
وكان للحق من حيث الحق له لا من حيث هو للحق ولكن اكثر العبيد يشيرون اليه بالمعرفه
وينظرون حال المحبة فاذا ورد عليهم وارد كذلك او خلاف مراد رجعت نفوسهم الى حد الاشفاق عليها
والاهتمام بها ونسوا ما العوائد به وما اشاروا اليه ولو كانوا للحق من حيث الاستحقاق نسوا في جنب
ما اشاروا اليه جميع الموارد سيا اصلا لان من حصل في ميدان الوصول لا يعترض عليه عارضة خلاف
ولا دهله حاله عما سواه اذا وقع منك ذنب ولا يكن سببا يوئسك من حصول الاستقامة مع
ربك فقد يكون ذلك اخر ذنب قدر عليك الاستقامة على العبودية لا ينافيها فعل الذنب على
سبيل الفلتة والهفوة اذا جرى القدر عليه بذلك وانما ينافيها الاصرار عليه فاذا وقع من
العبد ذنب فينبغي له ان يبادر الى التوبة منه ولا يياس بسبب وقوعه فيه من الاستقامة
مع ربه ويرى انه طرده وابعده رؤية توجب له القنوط من رحمة الله والاياس من روح الله
لانه قد يكون ذلك اخر ذنب قدر عليه وقد وقع ذلك ووقع منه اذا اردت ان يفتح لك باب
الرجا فاشهد ما منه اليك وان اردت ان يفتح لك باب الحزن فاشهد ما منك اليه الرجا والحزن
حالان عن شاهدين فمن اراد ان يفتح له باب الرجا فليشهد ما من الله له من الفضل والكرم
والاحسان والالطاف فيغلب عليه حينئذ حال الرجا ومن اراد ان يفتح له باب الحزن
فليشهد ما منه الى الله تعالى من المخالفة والعصيان وسو الادب بين يديه فيغلب عليه
اوفا سنا فال حال الحزن ربما افادك في ليل القبض ما لم تستفده في اشراق نهار البسط لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا تقدم ان القبض يوثره العارفون على البسط لما فيه من عدم حظ
نفوسهم ووجود تقدمهم على الوفا باداته دون البسط وقد ينفتح لهم فيه من ابواب المعارف
ما لا ينفتح لهم في البسط فينبغي للعبدان يعرف نعمة ربه تعالى عليه في ليل القبض كما يعرفه
في نهار البسط كما تعلم ان في الليل من المنافع ما ليس في النهار وليعلم مع ذلك
عدك وليحسن ظنه به فانه لا يدري ايهما اقرب اليه نفعا كما اشار اليه بالاية الكريمة
اهلا لان يعبر عن القبض بالليل والبسط بالنهار مجاز بديع وقد تقدم نحوه في كلام سيدي ابي الحسن
الله تعالى الليل لانوار القلوب والاسرار نجوم العلم واقمار المعرفة وشموس التوحيد مطالعها
منها قلوب العارفين واسرارهم وهذه هي الانوار الحقيقية من المطالع الروحانية بخلاف
الانوار المحسوسة قال في لطايف المنن واعلم ان الله سبحانه اذا تولى وليا كان قلبه من الاغيار
محروسة بدوام الانوار حتى لقد قال بعض العارفين اذا كان الله سبحانه تحرس السما بالكواكب
والشهب كي لا يسترق السمع منها فقلب المومن اولى بذلك فيقول الله تعالى فيما يحكيه عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تسعني ارضي ولا سماي ووسعني قلب عبدي المومن فانظر
الى هذا الامر الاكبر الذي اعطيه هذا القلب حتى صار لهذه الرتبة اهلا وهذا قال الشيخ ابو الحسن

لوكشف

لوكشف عن نور المومن العاصي لطبق ما بين السما والارض فما ظنك بنور المومن المطيع قال
ولقد سمعت شيخنا ابا العباس يقول لو كشف عن حقيقة الولي لعبد لان اوصافه من اوصافه
ونعوته من نعوته قال ولقد اخبرني بعض المريدين قال صليت خلف شيخي صلاة فشهدت ما
ابهر عقلي ذلك اني شهدت بدن الشيخ والانوار قد ملاته وانبثت الانوار من وجوده حتى اني لم
استطع انظر اليه قال فلو كشف الحق تعالى عن مشرقات انوار قلوب اوليايه لانطوى نور الشمس
والقمر من مشرقات انوار قلوبهم واين نور الشمس والقمر من انوارهم الشمس تظهر عليها الكسوف
والغروب وانوار قلوب الاوليا لا كسوف لها ولا غروب كذلك قال بعضهم ان شمس النهار تغرب بالليل
وشمس القلوب ليس تغيب نور مستودع في القلوب مدده النور الوارد من خزاين الغيوب
نور اليقين المستودع في القلوب يستمر ويتزايد ضياوه من النور الوارد من خزاين الغيوب
وهو نور الاوصاف الازلية كما ذكرناه عن الشيخ ابي العباس المرسي قبل هذا وقد تقدم ذكر المولف
رحمه الله اثار الظواهر بانوار الاثارة واثار السراير بانوار اوصافه نور يكشف لك به عن اثاره ونور
يكشف لك به عن اوصافه النور المعرف بالحواس يكشف لك به عن اثاره وهي الاكوان المحدثة
وليس لك اليه ذلك كبير حاجة الا من حيث تستدل بها على الموثر والنور المستودع في القلوب
يكشف لك به عن اوصافه الازلية حتى تراها عيانا وفي هذا غاية بغيتك به تشرف قدرك وتنيلك
انه بذلك يتحقق في المعرفة ويرتفع في المشاهدة ولا يحتاج الى دليل بذلك وهذا فرقان ما بين النورين
قال في لطايف المنن نور الشمس تشهد به الاثار ونور اليقين يشهد به المؤثر قال الشاعر في هذا المعنى
هذه الشمس قابلتنا بنور   وللشمس اليقين ابهر نورا
فراينا بهذه النور لكن   بهاتيك قد راينا المنيرا
وربما وقفت القلوب مع الانوار كما حجبت النفوس بكثايف
الاغيار القلوب بنورانيه فتنحجب بوقوفها مع لطايف الاغيار النورانية من العلوم والمعارف
والنفوس ظلمانية فتنحجب بكثايف الاغيار الظلمانية من العادات والشهوات
فالقلوب محجوبة بالانوار كما النفوس محجوبة بالظلمات والحق وراء ذلك كله قال
ابو الحسن الششتري في قصيدته النونية   تقيدت بالاوهام لما تداخلت
عليك ونور العقل اورثك الشجنا   وهمت بانوار فهمنا اصولها
ومنبعها من اين كان فما همنا   وقد تحجب الانوار للعبد مثل ما
تبعد من الاظلام نفس حوت ضغنا ستر انوار السراير بكثايف الظواهر اجلالا لها
ان تبتذل بوجود الاظهار وان ينادي عليها بلسان الاشتهار انوار السراير انما خفيت
عن العيان بما سترها من كثايف الظواهر مع ان الظهور التام لا ينبغي ان يكون
الا طالانها رفيعة القدر جلية الخطر واجلالا عن الابتذال بوجود اظهارها وصيانتها
من ان ينادي عليها بلسان الاشتهار بين الاغيار فيكون ذلك نوعا من الاهانة بها

وقد تقدم مثل هذا المعنى في قوله سبحانه من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية
سبحان من لم يجعل الدليل على اوليايه الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من اراد ان يوصله
اليه فلا دليل على الله سواه ولا وصول اليه بغيره وكذلك اولياوه ولما كان الوصول الى الله تعالى
لا يكون الا بالعنايه والخصوصيه ويستحيل ان يكون بطلب وسبب كان اولياوه المخصوصون
بالقرب منه كذلك لما خلع عليهم الخلع العظيمه وتولاهم بمننه الجسيمه واصطفاهم
لنفسه واختصهم بمحبته وانسه وطهر اسرارهم من النجاسات الاغيار وصان قلوبهم بما
اودع منها من الانوار والاسرار فكانوا بذلك ضنايه في عباده وخباياه في بلاده كما قال في
بعض الاشارات عنه سبحانه اوليايي تحت قبابي لا يعرفهم احد غيري وهذا من غيرته
عليهم لان الحق تعالى غير على اوليايه من ان يظهرهم الا من لا يعرفهم فلم يجعل لاحد دليلا
عليهم الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من اراد ان يوصله اليه لانه يلبسهم لباس
التلبيس بين الانام ويظهرهم بما يخفيهم عن اعين الخواص والعوام فان يكون لاحد دليل عليهم
او وصول بسبب اليهم قال في لطايف المنن فاولياء الله اهل كهف لا يبوا فقليل من يعرفهم
تحالى وقد سمعته يعني شيخه ابا العباس يقول معرفة الولي اصعب من معرفة
الله فان الله معروف بكماله وجماله وحتى متى يعرف مخلوقا مثلك ياكل كما تاكل ويشرب
كما تشرب قال فيه واذا اراد الله ان يعرفك بولي من اوليايه طوى عنك وجود بشريته
واشهدك وجود خصوصيته وقال هاجي كفا بانوار القلوب لله سبحانه عباد ضن بهم على
العامه واظهرهم للخاصه فلا يعرفهم الا شكل او محب لهم ولله عباد ضن بهم على الخاصه والعامه
وعباد اظهرهم للخاصه والعامه ولله عباد يظهرهم في البدايه ويسترهم في النهايه ولله عباد
يسترهم في البدايه ويظهرهم في النهايه ولله عبادا لا يظهرهم حقيقه ما بينه وبينهم الا
الحفظه ممن سواه حتى يلقونه بما اودعهم منه في قلوبهم وهم شهدا الملكوت الاعلى والفتح
الايمن من العرش الذي تتولى الله قبض ارواحهم بيده فتطيب اجسامهم به فلا يعدوا
عليها الثرى حتى تبعث بها مشرقة بنور البقا المحمود فيهم بيقا الابد مع البقا في الاحد
عز وجل انتهى وقال ابو يزيد اولياء الله تعالى عرايس ولا يرى العرايس الا من كان محرما لهم
واما غيرهم فلا وهم مخدرون عنده في حجاب الانس لا يراهم احد لا في الدنيا ولا في الاخرة وقال الشيخ
علي الجورجاني الولي هو الفاني في حاله الباقي في مشاهدة الحق تولى الله سبحانه سياسته فتوالت
عليه انوار التولي لم يكن له عن نفسه اخبار ولا مع غير الله قرار وفي الاشارات عن الله عز وجل
انما سميتك الولي وليا لانه يليني دون ما سواه ثم من هو بمنزلته الحق تعالى لهم من ان
يوصل اليهم بغيره ولذلك صدر المولف رحمه الله كلامه بالتسبيح ربما اطلعك على غيبه ملكوته

وجعك

وجعل الاستشراف على اسرار العباد من لطف الله تعالى اخفا اسرار الناس بعضهم
عن بعض لا سيما سر يقتضي وجود غيب فهو ظاهر ما ذكره المولف الان فيحتمل ان يريد ما هو
اعم مما ذكرناه ويدخل في ذلك اسرار الولايه اذا اختص الحق تعالى بها بعض عباده ويكون
في ذلك تنبيه على العله الموجبه لخفا الولي حسبما ذكره المولف في المسيله التي فرغنا منها
حتى يمنع الوصول اليه بطلب وسبب واخفا ذلك ايضا عن عامة المومنين من النعم
العظيمه اذ لو ظهرت اسرار الولايه على احد لاوجبت على من ظهرت له حقوقا لا يتاتى
القيام بما يجب منها فان فرط في ذلك وترك القيام بتلك الحقوق راسا وقع بسبب
ذلك في محذور لا يقوم لها شي وقد فهمت هذا المعنى من كلام سهل ابن عبد الله
وقد ساله بعض تلاميذه كيف نعرف اوليا الله تعالى فقال ان الله تعالى لا يعرفهم الا اشكالهم
او من اراد ان ينفعه بهم ولو اظهرهم حتى يعرفهم الناس كانوا حجه عليهم ومن خالفهم بعد
علمه بهم كفر ومن قعد عنهم خرج ولكن الله تعالى جعل اختياره تغطية امورهم رحمة
منه لخلقه ورافة ولكن الله قد اخبر بكراماتهم فقال انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا والله ولي
المومنين فافردهم به ولو حتى يبرزهم لكان في النظر اليهم حجة وكان الاستماع لحديثهم
حرجا والمعنى الذي ذكرته في هذه المسيله فهمته من الكلام الذي ذكره الشيخ ابو طالب
في كتاب الشكر قال فيه ثم بعد ذلك من لطايف النعم شمول ستره لهم بعضهم من بعض
وستره عنه العلما والصالحين منهم لولا ذلك لما نظروا اليهم ثم حجب الصالحين عنهم
ولو ظهر عليهم لكانوا يعرفون بها حتى يكون الجاهلون على يقين من ولاية
الله تعالى لهم وقربه منهم ليبطل ثواب المحسنين اليهم ولعدم قبول احسانه
وليبطل اعمال المسيين اليهم ففي حجب ذلك وستره ما عمل العاملون لهم في النفس
والسر على الرجا وحسن الظن من ورا حجاب اليقين وتاخرت عقوبات
لهم عن المعاجله لما ستر عليهم من عظيم شانهم عند الله عز وجل وجلالهم
ففي ستر هذا نعم عظيمه على الصالحين في نفوسهم من سلامة دينهم وقلوبهم
ونعم جليله على المنتهكين لحرمتهم المصغرين لشانهم لعلها بالله تعالى
اذ كانوا اسا وا اليهم من ورا حجاب فهذا هو اللطف الخفي من لطف النعم
كما جا في الخبر من اذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربه ثم ان النار لو رايت فقد يكون
ذلك من اذى نبيا وهو لا يعلم بنبوته قبل ان يخبره الرسول انه وان الله
لعظم حرمة النبوه انتهى ما ذكره الشيخ ابو طالب والوجه الاول اولى من تقدير
ما ذكره المولف رحمه الله والله سبحانه وتعالى اعلم من اطلع على اسرار العباد

بالرحمة الالهية كان اطلاعه فتنة عليه وسببا لحجر الوبال عليه المطلع على الاسرار التي تقتضي وجود الغيب اذ لم يتخلق صاحبه بالرحمة الالهية ليرحم المومنين ويحلم على الظالمين ويصفح عن الجاهلين ويحسن الى المسيئين ويراف بعباد الله اجمعين فانه يكون ذلك الاطلاع فتنة عليه لان ذلك يوديه الى روية نفسه واستعظام امرها والبغي بعمله والتكبر على عبيده ومنازعته لكبريائه وعظمته وهذا هو اعظم الفتنة ويكون ايضا سببا الى حجر الوبال عليه من اذعانه لطغيان ربه وهذا هو اعظم الوبال وغاية الخزي والنكال وفي بعض الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزعت الرحمة الا من شقي وفي حديث عبد الله ابن عمرو ابن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السما وفي الاشارات عن الله سبحانه وتعالى عبدي ان استخلقتك بشفقتك لك من الروحانية شيئا فكن تتراحم بالمومن نفسه وقد ادب الله سبحانه خليله ابراهيم عليه السلام في بعض ملاطفه العظيمة المقدار وعلمه كيف يتخلق بهذا الخلق الكريم عند اطلاعه على الاسرار روي عن اسامة بن زيد رضي الله عنه قال بلغني ان ابراهيم حدث نفسه انه ارحم الخلق قال فرفعه الله حتى اشرف على اهل الارض فابصر اعمالهم وما يعملون فقال يا رب دمر عليهم فقال الله تعالى انا ارحم بعبادي منك يا ابراهيم اهبط لعلهم يتوبون ويرجعون وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما اري الله تعالى ابراهيم عليه السلام ملكوت السموات والارض اشرف على رجل على معصية من معاصي الله فدعا الله عليه فهلك وكذلك على اخر فهلك فاوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم انك رجل مستجاب الدعوة فلا تدعوا على عبادي فانهم مني على ثلاث خصال اما ان يتوب فاتوب عليه واما ان اخرج منه نسمة تسبح لي واما ان يبعث الي فان شئت عفوت عنه وان شئت عاقبته وقيل وان شئت امر الله تعالى ... الا ان المعنى الذي ظهر منه من غلظته على العصاة وقلة رحمته لهم ذكر في بعض ... عليهم انه عليه السلام كان يعرج به كل ليلة الى السما وهو قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض فعرج به ذات ليلة فاطلع على مذنب على ... فقال اللهم اهلكه ياكل رزقك ويمشي على ارضك ويخالف امرك فاهلكه ثم اطلع على اخر فقال اللهم اهلكه فنودي كف عن عبادي رويدا رويدا فاني عليهم ... فلما اهبط اري في المنام ما ذكره الله حيث يقول اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى فلما تشمر ... واخذ السكين بيده قال اللهم ... ثمرة فوادي وحبيب نفسي فسمع قايلا يقول اما تذكر الليلة التي سالت

اهلاك عبدي

اهلاك عبدي او ما تعلم اني رحيم بعبادي كما انت شفيق بولدك فاذا سالتني هلاك عبدي سالتك ذبح ولدك واحدا بواحد والبادي اظلم

حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي ومداواة ما يخفى صعب علاجه ... اشار الى ان حظوظ النفس في الحقوق فهي لا تسعى الا في ذلك ولو في عملها بالطاعات فضلا عن المعاصي ومن جانب نفسه ... المرء ... من النشاط والقوة في نوع من العبادات ما لا يجده في نوع اخر وان كان هذا النوع الاخر افضل منه وما ذاك الا لحظها منه ... اذا الفت بابا من ابواب العبادات لمعرفتهم بخدعها ومكايدها ... ذلك عليها وينتقلون فيها وقد حكي عن ابي محمد المرتعش انه قال حججت كذا وكذا حجة على التجريد فبان لي ان جميع ذلك كان مشوبا بالحظ وذلك ان والدتي سالتني يوما ان استقي لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسي فعلمت ان مطاوعة نفسي في الحجات كانت بحظوظ وشوب من نفسي اذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع فهذا مما نبين ان حظ النفس في الطاعة موجود ولكنه خفي على العامل بذلك ... لانه يحتاج الى دقة فهم ونفوذ ادراك ليتطلب كذا فان نفسه ولطائف خدعها وخفايا حظوظها فيحمل على تصفية اعماله فلا جرم ان كان متعذرا يجب عليه اتهام نفسه وسوء الظن بها في كل ما تدعوا اليه كاينا ما كان قال الشيخ ابو بكر الخفاف سمعت بعض مشايخنا يقول عن احمد بن ارقم البلخي قال حدثتني نفسي بالخروج الى سبيل الله بالغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تامرني بالخير لا يكون هذا ابدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس ... على معروفه فاجابت ... فقلت الله اصدق قولا فقلت لها انا لا القوم حاسرا فتكوني اول قتيل فاجابت ... فقلت يا رب نبهني لها فاني لها متهم ... فقالت انك تقتلني كل يوم مرات بمنعك اياي من شهواتي ولا يشعر بي احد فان قتلت قتلة واحدة فنجوت منك ويتسامع الناس فيقال استشهد احمد فيكون شرفا لي وذكرا في الناس قال فقعدت ولم اخرج ذلك العام فهكذا خدع النفس وغرورها اعاذنا الله من شرها وسياتي من كلام المولف ذكر النفس

عليك ابدا ان تنظر ... على النفس ... لا يستقل عليها الا ان كان ...

ربما دخل عليك الريا حيث لا ينظر الخلق اليك لان ريا العبد بالعمل حيث يكون بمراي
من الناس ظاهر لا يحتاج الى الامارة عليه ورياوه بعمله من حيث لا يراه احد
امر خفي لا يعرف الا بالامارات والعلامات بل هي اخفى من دبيب النمل ومن اماراته
ان يلتمس بقلبه توقير الناس له وتعظيمه وتقديمه في المحافل والمجالس ومسارعتهم
الى قضا حوايجه والانتصار في حقه الذي يستحقه عند نفسه استعظاما لك
ستر عمله ويجد تفرقة بين اكرامه واكرام غيره واهانته واهانة سواه حتى ربما
يظهر بعض ضعفا العقول ذلك على السنتهم فيتعجبون من تقصيرهم في حقهم
عما جلة الله له بالعقوبة وان الله تعالى لا يدعهم حتى ينتصر لهم وياخذ بثارهم فاذا
وجد هذه الامارات في نفسه فليعلم انه مراي بعمله وان اخفاه عن اعين الناس
وقد روي عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه انه قال ان الله تعالى يقول للفقرا يوم القيامة
الم تكونوا يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبتدون بالسلام الم تكن تقضى لكم
الحوايج وفي الحديث الاخر قد استوفيتم اجوركم وقال عبد الله ابن المبارك وروى
وهب ابن منبه ان رجلا من العباد قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد
مخافة الطغيان فنخاف ان نكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان
اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم لمكان
دينه وان سال حاجة احب ان يقضى له لمكان دينه وان اشترى شيا احب ان
يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكبه من الناس فاذا
السهل والجبل قد امتلا من الناس فقال السايح ما هذا قيل له هذا الملك قد
اظلك فقال للغلام ايتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فاقبل يحشو
شدقه وياكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف انت قال كالناس
وفي حديث اخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السايح
الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام ومن هذا النوع من الريا خاف الكبار وعيبوا
انفسهم بسببه من الاشتهار كما روي عن الفضيل ابن عياض رضي الله عنه انه قال
من اراد ان ينظر الى مراي فلينظر الي وسمع مالك ابن دينار امراة وهي تقول يا مرايي
فقال لها يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة ودخل رجل على داود الطاي
فقال له ما حاجتك قال زيارتك فقال اما انت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر
ماذا ينزل بي انا اذا قيل لي من انت فتزار امن الزهاد انت لا والله امن العباد انت
لا والله امن الصالحين انت لا والله ثم اقبل يوبخ نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقا

فلما كبرت

فلما كبرت صرت مرائيا والله للمرائي شر من الفاسق الى غير ذلك مما روي عنهم في هذا
المعنى ولا يسلم من الريا الجلي والخفي الا العارفون الموحدون لان الله تعالى طهرهم من دقايق
الشرك وغيبهم عن نظرهم لروية الخلق بما اشرق على قلوبهم من انوار اليقين والمعرفة فلم يرجوا
منهم حصول منفعة ولم يخافوا من قبلهم وجود مضرة فاعمال هولا خالصة ولا يعملون بها
اظهر الناس ويرايي منهم ومن لم يحط بهذا وشاهد الخلق وتوقع منهم حصول المنافع
ودفع المضار فهو مرايي بعمله وان تعبد الله تعالى في قلة جبل بحيث لا يراه احد ولا يسمع به
وقد تقدم من قول يوسف ابن الحسين الرازي اعز شي في الدنيا الاخلاص وكم اجتهد في
اسقاط الريا عن قلبي فكانما ينبت على لون اخر واستشرافك ان يعلم الخلق بخصوصيتك
دليل على عدم صدقك في عبوديتك الخصوصية ها هنا ما اختص الحق تعالى به لبعض
عباده من علم نافع وعمل صالح وصدق العبودية فيه ان يقنع بعلم الله تعالى بحاله ولا
يتطلع الى ان يعرف بذلك احد من الخلق فيشغله حينيذ الحيا من ربه والشكر له عن
الاستشراف الى معرفة الخلق ويغار على حاله من روية الاغيار له ولهذا افضل عمل السر
على عمل العلانية بسبعين ضعفا كما ورد في الخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم وقال عيسى
عليه السلام اذا كان صوم يوم احدكم فليدهن راسه وليمسح شفتيه فاذا اخرج الى
الناس راوه انه لم يصم واذا اعطى احدكم فليعط بيمينه وليخفها من شماله واذا صلى احدكم
فليسبل عليه ستر بابه فان الله تعالى يقسم الثنا كما يقسم الرزق وقد سيل حكيم
من الحكما عن علامة الصادق فقال كتمان الطاعة وقال احمد ابن ابي الحواري من احب
ان يعرف بشي من الخير او يذكر به فقد اشرك في عبادته لان من عبد على المحبة لا يحب
ان يرى خدمته غير مخدومه وقال الشيخ ابو عبد الله القرشي كل من لم يقنع بسمع الله ونظره
في افعاله واقواله تدخل عليه الريا لا محالة وقال بعضهم ما اخلص احد قط الا احب ان يكون
في جب لا يعرف وقال سهل ابن عبد الله التستري من احب ان يطلع الخلق على ما بينه وبين
الله فهو غافل وقال ابو الخير الاقطع من احب ان يطلع الناس على عمله فهو مراي ومن احب
ان يطلع الناس على حاله فهو كذاب وقال بعضهم لمن استوصاه لا تحب ان تعرف
ولا تحب ان تعرف انك ممن لا يحب ان يعرف فعلى العبد اخفا حاله جهده وان يجتهد ويبلغ
في كتمانه اقصى ما عنده قال الحسن ادركنا قوما ما من احدهم يستطيع ان يستر شيا
من عمله الا اسره وان كان الرجل ليجلس مع القوم وانه لفقيه وما يعلم به حتى يقوم
ولقد ادركنا اقواما ياتي احدهم الزور فيصلي وما يشعر به ولقد ادركنا اقواما
وما من عمل يقدرون ان يعملوه لله تعالى سرا فيكون علانية ابدا لنا ولقد ادركنا قوما

بجمع احدهم القران وما يعرف به جاره ولقد ادركنا قوما يجتهدون في الدعا وما يسمع لهم صوت
وقال محمد بن واسع ادركت رجالا وكان الرجل يكون راسه مع راس امراته على وسادة واحدة
قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امراته ولقد ادركت رجالا يقوم احدهم في الصف
فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي الى جنبه وفي داوية عنه ان كان الرجل ليبكي عشرين
سنة وامراته معه لا تعلم فان وقع منه اعلان واظهار في وقت فليشتغل حينئذ بمراقبة
قلبه وصونه عن ان يحل فيه الفرح باطلاع الناس على حالة ولينكر ذلك على نفسه ويكرهه
ولا يرضاه منها وليجاهد نفسه في ذلك اشد المجاهدة فان خالف هذا واستشرف الى معرفة
غير الله بحاله وغفل عما هو حق نفسه في حال ظهور ذلك منه ولو في لحظة خيف عليه
ان يحل الفرح في قلبه فيقع عند ذلك في الفتنة فان كان ضعيف الارادة لم يسلم من
الوقوع في الريا الجلي والخفي لانه سببه فلا يستبدله وان كان قوي الارادة وسالكا
سبيل المعرفة لم يسلم من السكون والركون فيفقد حينئذ الغيرة في الحال ويحط
بذلك عن ذروة الكمال ولهذا كان اسقاط المنزلة عند الناس من ضروريات سالكي
هذه الطريق كما تقدم عند قوله ادفن وجودك في ارض الخمول فان تحقق العبد
في المعرفة ومشاهدة الوحدانية الصرفة جاز له الاخبار باعماله والاظهار لمحاسن
احواله بناء منه على نفي الغير واذا الواجب حق الشكر كان بعض السلف يصبح
فيقول صليت البارحة كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا سورة فيقال له اما تخشى من الريا
فيقول هل رايتم من يرى بفعل غيره وكان اخر يفعل مثل ذلك فيقال له لم لا تكتم ذلك فيقول
الم يقل الله سبحانه واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث فان قصد في هذه
الحالة الى هداية عباد الله ودعايهم الى الله فاظهر احواله واعماله للاقتداء به والاهتدا
بهديه فهو خارج عن النمط الاول لكنه وداخل في حكم هذا النوع الثاني وعلانيته هذا افضل
من سره لانه سلم من الافات التي تعرض لها غيره وحصلت منه الفوايد التي
تضمنها اظهاره وجهره وقد جا في الخبر السر افضل من العلانية والعلانية افضل
لمن اراد الاقتدا وهذا ارجح الوجوه عند العلما في قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي
ساله عن فرحه باطلاع الناس على بعض اعماله لك اجران اجر السر واجر العلانية
وقد فعل ما ذكرناه من الاظهار جماعة من الصحابة والتابعين فمن ذكروا بعضهم
خشية الاطالة وكان ذلك منهم لاجل هذا الغرض ومقام هذا العبد مقام النصحا العباد
الله والدعاة الى الله فلاجرم كان لهم الدرجات العلى عند الله لمكانه من ايمة المتقين الله
وقد اخبر الله تعالى بجزايهم وذكره عقيب دعايهم بذلك فقال عز من قايل اولئك يجزون الغرفة

بما صبروا

بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قال في لطايف
المنن اعلم ان مبنى امر الولي على الاكتفا بالله والقناعة بعلمه والاغتنا بشهوده قال الله
عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال سبحانه اليس الله بكاف عبده وقال الم يعلم بان
الله يرى وقال اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد فمبنى امرهم في بدايتهم على الفرار من الخلق
والانفراد بالملك الحق واخفا الاعمال وكتم الاحوال تحقيقا لفنايهم وتثبيتا لزهدهم
وعملا على سلامة قلوبهم وحبا في اخلاص اعمالهم لسيدهم حتى اذا تمكن اليقين وايدوا بالرسوخ
والتمكين وتحققوا بحقيقة الفنا وردوا الى وجود البقا فهنالك ان شا الحق اظهرهم
وان شا سترهم وان شا اظهرهم هدين بعبارة اليه وان شا سترهم فانقطعوا عن كل شي
اليه وظهور الولي ليس بارادته لنفسه لكن بارادة الله تعالى بل يطلبه ان كان له مطلب
الخفا الا انجلا كما قدمناه فلما لم يكن الظهور مطلبهم واراد سبحانه اظهارهم فاظهرهم تولاهم
في ذلك بتاييده وارادة مزيده لقوله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن بن سمرة لا
تطلب الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسالة اعنت عليها وان اعطيتها عن مسالة
وكلت اليها ومن تحقق منهم بالعبودية لله تعالى لم يطلب ظهورا ولا خفا بل ارادته وقف
على اختيار سيده له وقال الشيخ ابو العباس من احب الظهور فهو عبد الظهور ومن
احب الخفا فهو عبد الخفا ومن كان عبد الله فسوا عليه اظهره او اخفاه انتهى غيبته
عن نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغيبتك عن اقبالهم اليك بشهود اقباله عليك
هذا المعنى هو حقيقة صدق عبودية العبد الذي اشار اليه في المسالة التي قبل هذه
وهو ان لا يكون له شعور بما من الخلق اليه من نظر واقبال ولا تشوف اليه وطلبه
ما من الله اليه من نظر اليه واقباله عليه فيغيب له في الحالتين باعدامها وذلك بان يعلم ان
ما من الخلق اليه امور هي باطل بالنسبة اليه كما ذكر يعقل تافه يوجب له هذا الانقياد انواعا
من الكبائر والرذايل من الاختلاط بتلاهيوا الناس وتحسين مواقع نظرهم منه بالتصنع والتزين
لهم وتربية الجاه والحسنة لديهم تكبرا وتعظيما عليهم وحاشرتهم بالنفاق والدهان
ومن الغفلة الاسرار والاعلان وهذا عذاب اليم استعجله في دنياه اذ يفوته بذلك حلاوة قلبه
وطيب عيشه ويسلبه ثوب الغنا والعز ويلبسه لباس الطمع والمذلة فتردى بذلك
همته وتقل قيمته ولعذاب الاخرة اكبر وتلقاء الشاعر من راقب الناس مات غما
وفاز باللذة الجسور وراى سهل بن عبد الله رجلا من الفقرا عكة فقال له شيا اعطاك
فقال يا استاد لا اقدر على هذا من اجل الناس فالتفت سهل الى اصحابه فقال لا ينال العبد
حقيقة من هذا المعنى حتى يكون باحد وصفين حتى يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدار

الا هو خالقه فان احد الا يقدر ان يضره ولا ينفعه او يسقط نفسه عن قلبه ولا يبالي باي حال
يكون له انتهى ثم من له يحصول ما اراده منهم واعراضهم مختلفه وطبايعهم متباينه فربما استحسن
من نفسه شيا لم يستحسنه غيره وربما ارضى شخصا ما لا يرضي الاخر فهو يعمل بزعمه فيما ينفعه
عند الناس وهو ساع فيما يضره عندهم وعند الله تعالى مع ما يقاسيه من التعب والنصب
في نفسه وفي الحكاية المذكوره عن لقمان وابنه تنبيه على هذا المعنى ذكر ان لقمان دخل
ذات يوم السوق وهو راكب حمارا وابنه يسوقه فقال الناس شيخ راكب وشاب يتشفف
على صبي ان ركبه خلفه فقالوا اثنان على حمار هذا زاد الناس فنزل لقمان وبقي الولد معا والابنه
يمشي وصبي راكب فنزل يمشي مع والده وساقا جميعا الحمار فقالوا حمار فارغ وهذان يسوقانه
وكان غرض لقمان بهذا ان يري ابنه شان الناس مع من يراعي نظرهم وانه لا يسلم منهم على اي
حالة تكون فرضى الناس غاية لا تدرك واحمق الناس من طلب ما لا يدرك فهذا حال من انقاد
الى الاوهام من ضعفا العقول وسخفا الاحلام واما من كان له عقل وافر وحلم باخر فلا يميل الا
الى ما هو حق ووجود صدق فهو بما من الله اليه من نظر واقبال وجزيل عطا وعظيم نوال فهو يعمل
فيما يوديه الى هذه المطالب من غير التراث بذم لام وعيب عايب ثم يقول بلسان حاله
ان الذي تكرهون مني ذاك الذي يشتهيه قلبي ويقول ايضا ما قال محمد ابن ابي
مالي ولهذا الخلق كنت في صلب ابي وحدي ثم صرت في بطن امي وحدي ثم دخلت الدنيا وحدي
ثم تقبض روحي وحدي فادخل في قبري وحدي ويأتيني منكر ونكير يسألاني وحدي فان صرت
الى خير صرت وحدي وان صرت الى شر صرت وحدي واوقف بين يدي الله وحدي ثم يوضع
عملي وذنوبي في الميزان وحدي فان بعثت الى الجنه بعثت وحدي وان بعثت الى النار
بعثت وحدي فما لي وللناس وقيل للحارث ابن اسد المحاسبي رضي الله عنه عن علامة الصادق
فقال الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له من قلوب الخلق من اجل صلاح قلبه ولا يحب ان
يطلع الناس على الشي من عمله فان كراهته لذلك دليل على انه يحب الزياده عندهم وليس هذا
من اخلاص الصادقين ومن عرف الحق بشهده في كل شي ولا يستوحش من شي كما تقدم من نعت
العارفين ومن فني به غاب عن كل شي فلا يكون منه على الاشيا اعتماد ولا له اليها استناد
ومن احبه لم يوثر عليه شيا من مراداته وشهواته وهذه الامور التي ذكرها المولف رحمه
الله هي علامات تبلغ هذه المقامات العليه وبها تصح وتكمل فمن لم يجدها في نفسه فلا ينبغي
له ان يدعي تلك المقامات وليعمل على مجاهدة نفسه فيما يصححها ويكملها انما حجب الحق
عنك شدة قربه منك بشده القرب حجاب كما ان شدة البعد حجاب لان شدة قربه
منك موجبة لاضمحلالك وذهابك والمضمحل الذاهب لا مناسبة بينه وبين الثابت الموجود

فكيف يراه

فكيف يراه ما احتجب الا لشدة ظهوره وخفي عن الابصار لعظيم نوره وهو الذي غيب عنك شهوده
الشيخ ابو الحسن حقيقة القرب ان يغيب في القرب عن القرب لعظم القرب كمن يشم رايحة
المسك فلا يزال يدنو وكلما دنا منها تزايد ريحها فلما دخل البيت الذي هو فيه انقطعت رايحته عنه وانشد بعض العارفين
كم ذا تموهوا بالشعبين والعلم والامر اوضح من نار على علم
اراك تسال عن نجد وانت بها وعن تهامة هذا فعل متهم
انما احتجب لشدة ظهوره وخفي عن الابصار لعظم نوره هذه عبارات تداولها الصوفيه
وضربوا لمعناها مثالا بالشمس وكذلك الشمس نورها اقوى من سائر الانوار
المحسوسه وقوة نورها هي التي حجبت الابصار الضعيفه عن ادراك كنهها مع تحقق
ظهورها الذي اوجده وجود نورها حجابا لها وليس الحجاب على الحقيقه متعلقا
لذاته لا يحجب ذاته والنما الحجاب عليه من غيره والحجاب ها هنا ضعف البصر عن
نيل ذلك النور فالحق تعالى احتجب عن الخلق لشدة ظهوره وخفي عن الابصار لعظيم نوره وانشد
في هذا المعنى

لقد ظهرت فما تخفى على احد الا على اكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما اظهرت محتجبا وكيف يعرف من بالعزة استترا وانشدوا ايضا
بالنور يظهر ما ترى من صورة وبه وجود الكائنات بلا امترا
لكنه يخفى لفرط ظهوره حسا ويدركه البصير من الورا
فاذا نظرت بعين عقلك لم تجد شيا سواه على الذوات مصورا
واذا طلبت حقيقة من غيره فبذيل جهلك لا تزال متعثرا

وقال رضي الله عنه لا يكن طلبك تسببا الى العطا منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لاظهار
العبوديه وقياما بحق الربوبيه لم يامر الله تعالى عباده بالطلب له والسوال منه الا
ليظهروا افتقارهم اليه وسؤلهم بالتعرض والخضوع بين يديه فيكون ذلك اظهارا لعبوديتهم
وقياما بحقوق الربوبيه لربهم لا لان يتسببوا به الى حصول ما طلبوه ونيل ما رغبوا في
فيه منفعه وحظ فهذا هو فهم العارفين عن الله تعالى ويدل على هذا المعنى ما يذكره المولف الان
قال ابو نصر السراج سالت بعض المشايخ عن الدعا ما وجهه لاهل التسليم والتفويض قال
يدعوا الله على وجهين احدهما يريد بذلك تزيين الجوارح الظاهره بالدعا لان الدعا ضرب
من الخدمه يريد ان يزين جوارحه بهذه الخدمه والوجه الثاني ان يدعوا ايتمارا
لما امره الله تعالى من الدعا انتهى وتذليل ما به الدعا اظهار الفاقه بين يديه والاقرار بانه
يفعل ما يشا ومقتضى هذا ان لا ينقطع سواله ولا ينغنه وان لعطاه كل ما طلب واثاله كل سول
وما ان يسول لا يفرق بين العدم والوجود والمنع والعطا فيما يرجع الى اظهار الفاقه والفقر

في الاحوال كلها كما انه في الاحوال كلها فيجب على العبد ان يصرف وجهه
الى باب مولاه فيما يبيله من شهواته وهواه قال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه لا يكن همك
في طلب الظفر بقضا حوائجك فتكون محجوبا ولكن همك مناجاة مولاك قال الامام ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه شر الناس من يبتهل الى الله تعالى عند هجوم البلا بخلوص الدعا
وشدة التضرع والبكا فاذا زالت شطايته ورفعت عنه افته ضيع الوفا ونسي البلا
كان الوفد ينقض العهد وابدل العفو بوفض الود اولئك الذين ابعدهم الله في سابق العلم و
في سلك اهل الرد وقد قيل لا يحملك على الانتصاب بين يدي معبودك خير كل
عطا يتسبل اياه وتفصيل عنه كيف يكون طلبك اللاحق في عطايه السابق
دليل على نفي السببية المذكوره لان ما طلبه العبد امر سابق في الازل تقديره وطلبه
لاحق فيما لا يزال فكيف يكون اللاحق سببا في وجود السابق وهل السبب الا ما
تقدم على المسبب جل حكم الازل ان ينضاف الى العلل هذا دليل اخر على ما ذكره وهو ان
حصول ما طلبه الداعي حكم من الله تعالى في الازل فلا يكون سببه الدعا والسوال
لان احكام الله تعالى تجل عن ان تضاف الى علة او سبب من قبل ان له الاراده المطلقة
والمشية النافذه فصنعه علة لكل شي ولا علة لصنعه كما قال العارفون المحققون
عنايته فيك لا لشي منك واين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته لم تكن
في ازله اخلاص اعمال ولا وجود احوال بل لم يكن هناك الا محض الافضال وعظيم النوال
عناية الله تعالى بك في الازل حين لم تكن حين لا حين غير معللة بشي كاين منك
من اخلاص اعمال او وجود احوال تتوسل بحجج ذلك اليه واين كنت اذ ذاك وانت عدم محض
لم يكن هنالك الا محض كرمه وافضاله وعظيم احسانه ونواله قال الواسطي اقسام
قسمت ونعوت اجريت كيف تستجلب بحركات او تنال بسعايات ان العباد
يشوفون الى ظهور سر العنايه فقال يختص برحمته من يشا وعلم انه لو خلاهم وذلك
لو العهد الاعتماد على الازل فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين ظهور سر
العنايه التي مقتضاها الرحمة هو تخصيص المشية في قوله عز من قايل يختص برحمته
من يشا ولا علة له من العبد والاحسان المنسوب اليه في قوله تعالى ان رحمت الله
قريب من المحسنين اما هو علامة على تلك العنايه وليس بعلة موجبة وانما اسند
الرحمة اليه وعلقها به لئلا يتكل العبد على السابقه ويترك الذي هو مقتضى العبودية
الواجبة لله عليه الى المشية يستند كل شي لان وقوع ما لم يشا الله تعالى محال وهي
لا تستند هي الى شي لاستحالة وجود النقص فيما يجب له الكمال وهذه العبارات التي

ذكرها المؤلف في اول الفصل الى هنا بالغة الغاية في الحسن واستغنت بتبيانها وتكرارها
عن البيان والشرح وفيها اشارة الى احكام الازل وفقد الاسباب والعلل فيجب على العبد ان
يبني عليها اعماله واحواله فيلزم العبودية والافتقار ويدع التقدير والاختيار ويلقي بيده ذلك
وهذا هو ادب التوحيد جعلنا الله من اهله بمنه وفضله قال ابو بكر محمد بن موسى الواسطي
ان الله لا يتقرب بعقيرة الاجل فقره ولا يبعد عنه الاجل جنايه وليس الاعراض عنده خطر
حتى بها يصل وبها يقطع ولو بذلت له الدنيا والاخرة ملا وملكا لابيعها ولو اخذت ثلثيه
ما قطعك بها قرب من قرب من غير علة وقطع من قطع من غير علة كما قال تعالى ومن
لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقال ايضا ما خالفه احد ولا وافقه وكلهم مستعملون بمشيته
وقدرته انى يكون له الوفاق والخلاف وهو مقلب الليل والنهار بما فيهما وهو قائم على الاشيا
في بقايها وفنايها لا يونسه وجد ولا يوحشه فقد بل لا فقد ولا وجد انما هي رسوم جعلت
الرسوم وقال رضي الله عنه ربما الهم الادب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره
عن مسالته قد يكون من الادب ترك السوال والطلب على ما هو مستغرق في الاذكار
راض بما يجري عليه من تصاريف الاقدار وهو احد مذاهب القوم قال ابو القاسم القشيري
واختلف الناس في اي شي افضل الدعا او السكوت والرضا فمنهم من قال الدعا في نفسه عبادة
قال صلى الله عليه وسلم الدعا مخ العبادة فالاتيان بما هو عبادة افضل من تركها ثم هو
حق الحق سبحانه وتعالى فان لم يستجب للعبد ولم يصل الى حظ نفسه فلقد قام بحق ربه لان
الدعا اظهار فاقة العبودية وقد قال ابو حازم الاعرج لان احرم الدعا اشد علي من ان احرم الاجابة
وطايفة قالوا السكوت والخمود تحت جريان الاحكام والرضا بما سبق به اختيار
الحق اولى ولهذا قال الواسطي اختيار ما جرى لك في الازل خير لك من معارضة الوقت
وقد قال صلى الله عليه وسلم خبرا عن الله تعالى من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته
افضل ما اعطي السايلين وقال قوم يجب ان يكون العبد صاحب دعا بلسانه وصاحب
رضا بقلبه ليأتي بالامرين جميعا قال الامام ابو القاسم والاولى ان يقال الاوقات مختلفة
ففي بعض الاحوال الدعا افضل من السكوت وهو الادب وفي بعض الاحوال السكوت
افضل من الدعا وهو الادب وانما يعرف ذلك في الوقت لان علم الوقت يحصل
في الوقت فاذا وجد بقلبه اشارة الى الدعا فالدعا به اولى واذا وجد اشارة الى السكوت
فالسكوت له اولى ويصح ان يقال ينبغي للعبد ان لا يكون ساهيا عن شهود ربه
تعالى في حال الدعا ثم يجب ان يراعي حاله فان وجد من الدعا زيادة بسط في وقته
اولى وان عاد الى قلبه في وقت الدعا شبه زجر ومثل قبض

الوقت فان لم يجد في قلبه لا ذيادة بسط وحصول زجر في الدعا وتركه هاهنا شيئان
وان كان الغالب عليه في هذا الوقت المعرفة والحال الغالب السكوت والسكون اولى به الآن
بقا لما كان للمصلين فيه نصيب وللحق فيه حق فالدعا اولى وما كان لنفسه فيه حظ
فالسكوت اتم وفي الخبر المروي ان العبد ليدعوا والله تعالى يحبه فيقول يا جبريل اخر حاجت
عبدي فاني احب ان اسمع صوته وان العبد ليدعوا والله يبغضه فيقول يا جبريل اقض لعبدي حاجته
فاني اكره ان اسمع صوته انتهى كلام ابو القاسم وهو حسن بديع وهو في معنى ما ذكره المؤلف رحمه الله
تعالى انما يكون ... بعد تعليه الاغفال انما ... الدليل على ما ذكره
من ان ترك الطلب قد يكون من الادب وذلك لان في الطلب اشعارا بتجويز الاغفال عليه فيقع
بذلك ... باحتمال وجود الاهمال منه فيكون ذلك تنقيصا له وجل ذلك مما على
الحق تعالى عن ذلك علوا كبيرا فلاجل هذه العلة كان ترك الطلب عند هؤلاء ادبا ...
لو اعطى ابن يبعا فقال الختلي ان دعوة ان ... لسا لتناه ... فقدا ... وان
سالتنا ما ليس لك عندنا فقد اسات الثنا علينا وان رضينا اجرينا لك من الامور ما قضينا لك
الدهور ويحكى عن عبد الله ابن المبارك انه قال ما دعوت منذ خمسين سنة وما اريد ان ادعوا
... لانه ماض على ما سبق ورود الفاقات اعياد المريدين الاعياد عبارة عن الاوقات
تعايد على الناس بالمسرات والافراح وهم مختلفون في ذلك فمنهم من مسرته وفرحه بوجود
ونيل شهوته وغرضه وهذا هو حال عامة المسلمين ومنهم من مسرته وفرحه بفقدان
حظوظه واعراضه الفانية واغراضه وهذا هو حالة الخاصة من المريدين لان مدار امرهم انما هو
... مراعاة قلوبهم وتصفية اسرارهم من كدورات الاغيار والاثار ولا ياتي لهم ذلك الا بوجدانهم
... من ضروب الفاقات وانواع الحاجات والضرورات فلذلك ... يؤثرون الفقر على الغنى
... والذل على العز والمرض على الصحة اذ يحصل لهم بذلك رقة وحلاوة لا يعرف قدرها
الا هم لانها من وجودهم لقربهم وروئيتهم في حال فقدان حظهم وكلما ازدادوا الفاقة ازدادوا ... مولاهم
... ولا كان بعضهم يطوف حول الكعبة ويقول ... كما ترى صبية بابيه كما ترى
ديانه كما ترى يا من يرى الذي بنا ولا يرى ما ترى يا حال ... ما ترى فسمعه بعضهم فجعل له
... فعلها اليه فقال اليك عني لو كان معي شي لما امكنني ان اقول هذا القول ... البلايا
... اسرار لطائف لا يفقهها الا اولو البصاير ... نزول البلايا بحمل النفس وتزيلها ...
... مع البلايا وجود الذلة ومع الذلة تكون النصرة ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة
... اراد ان يبلغ الشرف كل الشرف فليختر سبعا على سبع فان الصالحين
... ان تختار الفقر على الغنى والجوع على الشبع والدون على المرتفع

والذل على العز

والذل على العز والتواضع على الكبر والحزن على الفرح والموت على الحياة وقد تقدم عند قول المؤلف من
لم ... ان يطلبه عن ... فذلك لقصور نظره الشيء في هذا المعنى فواجب اذا ان يكون ورود الفاقات
اعياد المريدين كما قال فاذا افقدوا ذلك بمواتات الاسباب استشعروا وجود الحجاب بعدهم عن المال
الاقتراب ويحزنوا الذي لكونهم اسفوا اوردوا لو عاد اليهم الحال الاول ... هذا المعنى ما حكى عن خير النساج
قال دخلت بعض المساجد فاذا فيه فقير فلما راني تعلق بي وقال ايها الشيخ تعطف علي فان محنتي عظيمة
فقلت وما هي فقال فقدت البلاء وقرنت بالعافية فنظرت فاذا هو قد فتح عليه شي من الدنيا وقال بعضهم ان
الفقير الصادق ليتحرز من الغنى حذرا ان يدخله الغنى فيفسد عليه فقره كما ان الغني يتحرز
من الفقر حذرا من ان يدخل عليه فيفسد عليه غناه وقد تقدم من حكايات ... السلمي ... والفضيل
ابن عياض والربيع ابن خثيم ما يوافق ما ذكرناه وانشدوا في ذكر اعياد المريدين والعارفين فقيل
انها لابي علي الروذباري قالوا غدا العيد ماذا انت لابسه فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوباي تحتهما قلب يرى الفه الاعياد والجمعا احرى الملابس ان تلقى الحبيب به
يوم التزاور في الثوب الذي خلعا الدهر لي ماتم ان غبت يا املي والعيد ما كنت لي مراي ومستمعا
ربما وجدت من المزيد في الفاقات ما لا تجده في الصوم والصلاة ورود الفاقات تحصل للمريد بها مزيد كبير من
صفات القلب وطهارة السر وقد لا يحصل له ذلك بالصوم والصلاة لان الصوم والصلاة قد يكون له فيهما
شهوة وهو كما تقدم وما كان هذا سبيله لا يومن فيه من دخول الافات فلا يفيده تحلية ولا تزكية بخلاف
ورود الفاقات فانها مباينة للهوى والشهوة على كل حال وقد تقدم نحو من هذا المعنى عند قوله
اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك ... الفاقات بسط المواهب الفاقات
تحضره مع الحق وتجلسه على بساط العزة وناهيك بما يكون في تلك المحاضرة والمجالسة من
المواهب الربانية والنفحات الرحمانية ان اردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك انما
الصدقات للفقراء هذا امثل ما ذكره الان وذكر الاية عقيبه اشارة بديعة وتصحيح الفاقة والفقر
هو التحقق باوصاف العبودية المذكورة في المسالة التي تاتي اثر هذه ومما يتعلق بظاهر الاية التي
استشهد بها المؤلف رحمه الله على طريقة القوم ما قال بعضهم صدق الفقير اخذه الصدقة
ممن يعطيه لا ممن نقل اليه على يديه فالحق تعالى هو المعطي على الحقيقة لانه جعلها لهم فان
قبلها من الحق فهو الصادق في فقره بعلو همته ومن قبلها من الوسايط فهو المتوسع
بالفقر مع دناة همته تحقق باوصافك يمدك باوصافه تحقق بذلك يمدك بعزته تحقق بعجزك
يمدك بقدرته تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته هذا مناسب لما ذكره من الفاقات والمواهب
وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله كن باوصاف ربوبيته متعلقا وباوصاف عبوديتك
متحققا قال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه بعد كلام ذكره وتصحيح العبودية بملازمة الفقر

والعجز والضعف والذل لله تعالى وافتقارها اوصاف العبودية فما تكون الا فاقة ثم او حاكم وتعلق باوصاف ربوبيه
وقال من بساط الفقر الحقيقي يا غني من للفقير غيرك ومن بساط الضعف يا قوي من للضعيف غيرك ومن بساط
العجز يا قادر من للعاجز غيرك ومن بساط الذل يا عزيز من للذليل غيرك تجد الاجابة كانها طوع يدك واستعينوا
بالله واصبروا ان الله مع الصابرين انتهى كلام سيدي ابي الحسن رضي الله عنه وقال رضي الله عنه
ربما رزق الكرامة من لا تكمل فيه الاستقامة الكرامة الحقيقية انما هي حصول الاستقامة والوصول
الى كمالها ومرجعها الى امرين صحة الايمان بالله عز وجل واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم
ظاهرا وباطنا فالواجب على العبد ان لا يحرص الا عليهما ولا يكن له همة الا في الوصول اليهما واما الكرامة
بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين اذ قد يرزق ذلك من لم تكمل له الاستقامة قال
سيدي ابو الحسن الشاذلي انها كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان
وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتدا والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة فمن اعطيهما
ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب او ذو خطا في العلم والعمل بالصواب كمن اكرم
بشهود الملك على نعت الرضا عن الله ومن الله فجعل يشتاق الى سياسة الدواب مستدرج مغرور ناقص او هالك مثبور
وقال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه ليس الشان من تطوى له الارض فاذا هو بمكة وغيرها من
البلدان انما الشان من تطوى عنه اوصاف نفسه فاذا هو عند ربه وذكر عن سهل بن عبد الله
رضي الله عنه الكرامات لا تنفع العمال الا انما الكرامات انما هي شي تنقضي لوقتها ولكن اكبر الكرامات
ان تبدل خلقا مذموما من اخلاق نفسك بخلق محمود وقال بعض المشايخ لا تعجبوا ممن لم يضع في جيبه
شيئا ويده خاليه في جيبه فيخرج منه ما يريد ولكن تعجبوا ممن يضع يده في جيبه شيئا فيده خاليه
في جيبه فلا يجده فلا يتغير وقيل لابي محمد المرتعش ان فلانا يمشي على الماء فقال عندي ان من مكنه
الله من مخالفة هواه فهو اعظم من المشي على الماء وفي الهوى وقال ابو يزيد لو ان رجلا بسط سجاده
وتربع في الهوى فلا تقتدوا به حتى تنظروا كيف تجدونه في الامر والنهي وقيل له فلان يقال انه يسري
ليلة الى مكة فقال الشيطان يمضي في لحظة من المشرق الى المغرب وهو في لعنة الله وقيل ان
فلان يمشي على الماء فقال الحيتان في الماء والطير في الهوى لي بمحض ذلك وقال الجنيد
حجاب القلوب الخاصة المختصة برؤية النعم والتلذذ بالعطا والسكون الى الكرامات
عند وقد تقدم مثل هذا في قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه من علامات
اقامة الحق اياك في الشي ادامته اياك فيه مع حصول النتائج لا اعتبار بما يقوم فيه العبد
بنفسه من غير الوجه وانما العبرة بما يقيمه فيه ربه وعلامات اقامة الله تعالى عبده في الشي ان يمده
عليه ويحصل له ثمرته ونتيجته ويبنى على هذا الادب ولا تتوقف انتشرنا الى الخروج من هذا
عند قول المولف رحمه الله ارادتك التجريد مع اقامة الله تعالى اياك في الاسباب الى اخره

مع ربه

من غير من بساط احسانه اضمنته الاساة وهو عنه من بساط احسان الله اليه لم يجد لذا اسا
من شاهد احسان نفسه وعمله بطاعة ربه انبسط لسانه بالنصيحة والموعظة لعباد الله فان وقعت
منه اساة ومخالفة انقبض عند ذلك وصمت لما يعتريه من الخجل والحيا وهذه طريقة اهل التكليف الذين
ينظرون الى ما منهم الله تعالى لسانه في الحالين من غير فرق لان مشاهدته لوحدانية ربه وقيوميته
اوجبت جولته على ذلك فتدفق جولة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان وهذه طريقة اهل التعريف
الذين ينظرون الى ما من الله تعالى عليهم فلنذكر ما ذكرناه هاهنا من لفظي التعريف والتكليف وما انبنت
عليهما من الكلام اللطيف لا شرف به الى مسالة عظيمة يبتني عليها احكام جمة وهي مسلة
اختلاف الناس في معاملتهم لربهم بحسب ثباتهم في تقربهم ومن احكامها مسلة التعبير التي
اقتصر المولف عليها في هذا الفصل ولم يذكر معها سواها مما ينبني على ذلك الاصل وقد نبه عليها
في لطائف المنن ولنا فيها بكلام مستوعب حسن فراينا ان ننقله هاهنا بكماله ليتبين
به مقصودنا في تفصيله واجماله قال فيه وقال رضي الله عنه يعني شيخه ابا العباس الناس على ثلاثة
اقسام عبد يشهود ما منه الى الله وعبد هو يشهود ما من الله اليه وعبد هو يشهود ما
من الله الى الله قال وهو يعني كلام الشيخ ابي العباس هذا ان من الناس من يكون الغالب عليه شهود تقصيره
واساته فيقوم مقام المعتذرين بين يدي الله وملازمة الاحزان ومخالفة الاشجان ويستولي عليه
الكمد كلما بدت منه سية او كشفت له من نفسه عن اوصاف سو وعبد اخر الغالب
شهود ما من الله اليه من الفضل والاحسان والجود والامتنان فهذا يلازمه عليه
المسرة بالله والفرح بنعمة الله قال الله سبحانه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما
يجمعون فالاول حال العباد والزهاد والثاني لاهل العناية والوداد الاول شان اهل التكليف
والثاني شان اهل التعريف الاول حال اهل اليقظة والثاني حال اهل المعرفة فكذلك قال الشيخ ابو
الحسن رضي الله عنه العارف حال اهل المعرفة فلذلك قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه العارف من عرف
شدائد الزمان في الالطاف الجارية من الله عليه وعرف اساته في احسان الله اليه فاذكروا الاء الله
لعلكم تفلحون وقال رضي الله عنه قليل العمل من شهود المنة من الله خير من كثير العمل مع
روية التقصير من النفس وقال بعض اهل المعرفة لا يخلو شهود التقصير من الشرك
في التقديس وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه قرات ليلة من الليالي قل اعوذ برب الناس الى ان
انتهيت الى قوله تعالى من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس
فقيل لي شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك تنفسك الطافه الحسنة ويذكرك
افعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات الشمال ليعدل بك عن حسن الظن
بالله ورسوله الى سوء الظن بالله وبرسوله فاحذر هذا الباب فقد اخذ منه كثير من الزهاد والعباد

واهل الجلوة الاجتهاد بعد ذلك فلان تجد الزاهد والعابد الا مكمودا حزينا لانه علم ان الله سبحانه وتعالى
طالبه بالعبودية وحمله اعباها والزمه ما اشفقت السموات والارض والجبال الاية فابين ان
يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فعاين الزاهد ثقل ما حملوا ولم يشهدوا
الي شهود لطف الحامل للاثقال عن عادة المتوكلين عليه فلذلك لزمهم الكمد واستولى عليهم الحزن
واهل المعرفة بالله علموا انهم حملوا من التكليف امرا عظيما وعلموا الحقيقة ضعفهم عن حمله والقيام به بني
وكلوا الي انفسهم قال الله عز وجل وخلق الانسان ضعيفا وعلموا انهم اذا رجعوا الي الله تعالى حمل عنهم ما حملهم
قال الله سبحانه وتعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فرجعوا اليه بصدق الرجوع فحمل عنهم الاثقال فساروا
الي الله محمولين في محفات المنن يروح اليهم نفحات اللطف والاخرون ساروا الي الله حاملين لاثقال التكليف
فلا زمهم المشقات فعطو لعليهم المسافات فان شاء الله رحمهم بلطفه فاخذ بايديهم من شهود ما حملهم الي شهود
سابق توفيقه لهم فطابت لهم الاوقات واشرقت عليهم الغيابات واما القسم الثالث فهم الذين هم مع الله تعالى
شهودا من الله الي الله فهولا هم اهل التوجه والداخلون في ميادين التفريد واهل القسم الاول هم الذين
غلبت عليهم شهود ما منهم الي الله لم يخرجوا عن باطن الشرك وان خرجوا عن ظاهره لانهم اقبلوا
على انفسهم موبخين شاهدين لتقصيرهم واسائتهم فلولم يشهدوا فعل لها او منعها ما توجهوا اليها بالتوبيخ
اذا قصرت فلذلك قال في ذلك العارف الذي سبق قوله لا يخلوا شهودا لتقصير من الشرك في التقدير
فان قلت اذا كان توبيخ النفس وذمها بلزم ~~يستلزم~~ يستلزم دقيقة الشرك فكيف يصح والله تعالى
قد ذم النفس وامرنا بتوبيخها اذا قصرت وبخها هو لذا كان كذلك فالجواب ان ذمها لان الله امرك
بذمها من غير ان تشهد لها قدرة او تضيف اليها فعلا تراها هي الفاعلة له واما القسم الثاني وهو الذي
يشهدون ما من الله اليه فهو وان كان خيرا من القسم الاول لكنه ما سلم من اثبات لنفسه نه هداة
اليها هداها الي الحق فلولا اثباته لنفسه ما شهد ذلك ولاجل هذين المعنيين اثر اهل الله تعالى القسم
الثالث وهو ان يكون بشهود ما من الله الي الله انتهى انتهى كلامه رحمه الله ولاجل ما تضمنه
من الفوايد الجليلة والمقاصد النبيلة دعانا قرب المناسبة الي ذكره على ما هو عليه في هذا الموضع
والله الموفق لا رب غيره فسبق انوار الحكما اقوالهم بحيث صار التنوير وصل التعبير الحكما هم
العارفون بالله تعالى العاملون به والانوار المنسوبة اليهم التي انوار حقايقهم وهي قوة
يقينهم فان الامور كلها بيد الله تعالى لا شريك له فيها فاذا ارادوا ارشاد عباد الله و
نصيحتهم باذن من الله تعالى لهم سبقت انوار قلوبهم الي الله تعالى بالالتجا والافتقار اليه في ان
يتولى لهم امر قلوب عباده بان يجعل فيها اهلية واستعدادا لقبول ما يريدون ارادة عليهم من
كلام الحكمة فيجيبهم الي ذلك فاذا تكلموا به تلقته قلوبهم الي وصل اليها اثار انوار اسرارهم
الحكما كما تلقى الارض الميتة وابل المطر فينتفعون بذلك اتم انتفاع وقد اوصى لقمان الحكيم
ابنه

ابنه فقال يا بني ما بلغت من حكمتك قال لا اتكلف ما لا يعنيني قال يا بني انه قبل نبي شي
اخوج الي مجالس العلما وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة
كما يحيي الارض الميتة بوابل السما وانما قلنا ان الحكما هم العارفون بالله تعالى العاملون
به لانهم خايفون من الله تعالى وفي بعض الاثار راس الحكمة مخافة الله والخوف من ثمرات
العلم بالله قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما والعلم الموجب للخشية هو العلم
بالله تعالى فقط فالحكما هم العاملون بالله تعالى وان كانوا ضعفا في ساير العلوم
الرسمية كليلة الالسنة في البيان عنها كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي
منه برز اللسان ترجمان القلب فاذا صفا من الاكدار وتزكى من الاغيار واشرقت
فيه الانوار كانت ترجمانية لسانه على حسب ذلك فيتكلم بالكلام النوراني
الذي يلج اذان السامعين فينفتح له اقفال قلوبهم ويستجيبون لندا حبيبهم ربهم
الحافظ ابو نعيم رحمه الله عن سعيد ابن عامر قال كان قاص يجلس قريبا من مجلس
محمد ابن واسع فقال له يوما وهو موبخ جلساءه مالي ارى القلوب لا تخشع وما لي ارى
العيون لا تدمع وما لي ارى الجلود لا تقشعر فقال له محمد ابن واسع يا عبد الله ما ارى
القوم اتوا الا من قبلك ان الذكر اذا خرج من القلب وقع على القلب قلت وقد حصل
المؤلف رحمه الله نصيب السبق في هذا المعنى الذي ذكره ومن مارس كلامه في هذا
الكتاب وفي غيره حصل له منها التاثير المحمود فسلم ما قلناه وكفى بشهادة
شيخه ابي العباس احمد المرسي رضي الله عنه على عظيم قدره ودعايه له برهانا على ذلك
فالحق لطايف المنن ولنستفد قلت لبعض تلامذة الشيخ يعني ابا العباس اريد
ان نظر الشيخ الي برعايته وجعلني في خاطره فقال ذلك للشيخ فلما دخلت على الشيخ
قال رضي الله عنه لا تطالبوا الشيخ بان تكونوا في خاطره بل طالبوا انفسكم
ان يكون الشيخ في خاطركم فعلى مقدار ~~ما يكون~~ ما يكون عندكم تكونوا عنده
ثم قال اي شي تريد ان تكون والله لتكونن تكونن شان عظيم فان كان من فضل
الله سبحانه مالا انكره قال واخبرني سيدنا جمال الدين ولد الشيخ قال قلت للشيخ ان
يريدون ان يصدروا ابن عطا في الفقه فقال الشيخ هم يصدرونه في الفقه وانا
اصدره في التصوف قال ودخلت عليه فقال ان اتيت في الفقيه ناصر الدين يجلسك
في موضع جده في مجلس الفقه من ناحيه والا من ناحية وتتكلم ان شاء الله في
العالمين فكان ما اخبر به قال وسمعته يقول اريد ان استنسخ كتاب التهذيب
لولدي جمال الدين فذهبت انا فاستنسخته من غير ان اعلم الشيخ واتيته بالجزء الاول

فقال اما هذا فلتك كتاب التهذيب استنسخته لكم فاخذه فلما ذهب تمام الاجل اتاك
الولي لا يتفضل عليه احد تجران شا الله هذا في ميزانك فلما اتيته بالجزا الثاني لقيني
بعض اصحابه عند نزولي من عنده قال قال الشيخ عنك والله لاجعلنه عينا من
عيون الله يقتدى به في علم الظاهر والباطن فلما اتيته بالجزا الثالث ونزلت من عنده
لقيني بعض اصحابه وقال اطلعت عند الشيخ فوجدت عنده مجلدات حمرا فقال هذا
الكتاب استنسخه لي ابن عطا الله والله ما ارضى له يجلس مجلس جده ولكن بزيادة
التصوف قال واخبرني بعض اصحابه قال قال الشيخ يوما اذا جا ابن الفقيه الاسكندرية
فاعلموني به فلما اتيت اعلمنا الشيخ بذلك فقال تقدم فتقدمت بين يديه ثم قال جا جبريل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ملك الجبال حين كذبته قريش فقال له هذا ملك الجبال
قد امره الله ان يطيع امرك في قريش فسلم عليه ملك الجبال ثم قال يا محمد ان شئت ان
اطبق عليهم الاخشبين فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكن ارجو ان يخرج
الله من اصلابهم من يوحد الله ولا يشرك به شيئا فصبر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجا
ان يخرج الله من اصلابهم كذلك صبرنا على جد هذا الفقيه لاجل هذا الفقيه قال وخرجت
يوما من عند الفقيه المكين الاسمر وخرج معي ابو الحسن الحريري وكان من اصحاب الشيخ
ابو الحسن فسلمت عليه وسلم علي ببشاشة واقبال فقلت له من اين تعرفني قال وكيف
لا اعرفك كنت يوما جالسا عند الشيخ ابا العباس وكنت انت عنده فلما نزلت
قلت له يا سيدي انه ليعجبني هذا الشاب انقطع فلان وفلان عن الملازمه
وهذا الشاب ملازم ثم قال فقال الشيخ يا ابا الحسن لن يموت هذا الشاب حتى يكون
داعيا يدعو الى الله فكان كما قال الشيخ رحمه الله قال وكنت كثيرا ما يطرا علي الوسواس
في الطهارة فبلغ ذلك الشيخ فقال بلغني انك تشكو الوسواس في الوضو قلت نعم قال رضي الله
عنه هذه الطايفه تلعب بالشيطان لا الشيطان يلعب بها ثم سكت اياما ودخلت
عليه فقال ما حال ذلك الوسواس قلت على حاله فقال ان كنت لا تترك الوسوسة
لا تعد تاتينا فشق ذلك علي وقطع الله الوسواس عني قال وكان رضي الله عنه يلقن الوسواس
سبحان الملك الخلاق ان يشا يذهبكم وياتي بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز قال وعملت
قصيدة امدحه بها فقال رجعت انشدت ايدك الله بروح القدس قال ثم عملت قصيدة اخرى
باشارته جوابا القصيدة مدحه بها انسان من بلاد اخميم فلما قريت عليه قال رضي الله
عنه صحبني هذا الفقيه وبه مرضان وقد عافاه الله منهما ولا بد ان يجلس ويتحدث في العالمين
يشير الشيخ الى مرض الوسوسه قال فلقد انقطع عني ببركات الشيخ حتى صرت لا اخاف

ان اكون

ان اكون لشدة التوسعه التي اجدها قد تساهلت في بعض الامور للمرض الاخر كان في ايام براسي قد
فشكوت ذلك اليه فدعا لي فعافاني الله وشغلني في ليلة من الليالي سهو ما فرايت الشيخ في المنام
فشكوت اليه ما انا فيه فقال اسكت والله لاعلمنك علما عظيما قال فلما انتبهت جيت الى الشيخ
فقصصت عليه الرويا فقال هكذا يكون ان شا الله تعالى قال وجا يوما من السفر فخرجت
للقايه فلما سلمت عليه قال الحمد لله كان الله لكم لطف بكم وسلك بكم سبيل الولايه
ونهاك كدبي خلفته قال فلما جيت ببركة هذا الدعا وعلمت انه يمكنني الانقطاع عن الخلق
واني مراد لقوله ونهاك كدبي خلفته قال وكنت انا لامره من المنكرين وعليه من المعترضين
لا لشي سمعته منه ولا لشي صح نقله عنه حتى جرت بيني مقاوله وبين بعض اصحابه
وذلك قبل صحبتي اياه وقلت لذلك الرجل ليس الا اهل العلم الظاهر وهولا القوم يدعون
امورا عظيمه بظاهر الشرع يابا ها قال ذلك الرجل بعد ان صحبنا الشيخ يدري ما قال لي الشيخ
يوما تخاصمنا قلت لا قال دخلت عليه فاول ما قال لي هولا كالحجر ما اخطا منه خير مما
اصابك فعلمت ان الشيخ كوشف بامرنا ولعمري لقد صحبت الشيخ اثنا عشر عاما فما
سمعت منه شيا ينكره ظاهر العلم من الذي كان ينقله عنه من يقصد الاذى قال وكان
سبب اجتماعي به ان قلت في نفسي بعد ان تخاصمت انا وذلك الرجل دعني
اذهب انظر الى هذا الرجل فصاحب الحق له امارات لا تخفى شانه قال فاتيت الى مجلسه
فوجدته يتكلم في الانفاس التي امر الشارع بها فقال الاول اسلام والثاني ايمان والثالث
احسان وان شئت قلت الاول عباده والثاني عبوديه والثالث عبوده وان شئت قلت
الاول شريعه والثاني حقيقه والثالث تحقق او نحو هذا فما زال يقول وان شئت قلت
الى ان بهر عقلي وعلمت ان الرجل انما يغترف من فيض بحر الهي ومدد رباني فاذهب
الله ما كان عندي ثم اتيت تلك الليله الى المنزل فلم اجد شيا يقبل الاجتماع بالاهل على ما كان
ووجدت معنى غريبا ما ادري ما هو فانفردت في مكان انظر الى السما والى كواكبها
وما خلق الله فيها من عجايب قدرته فحملني على ذلك العود اليه مرة اخرى فاتيت
فاستوذن علي فلما دخلت عليه قام قايما وتلقاني ببشاشة واقبال حتى دهشت
خجلا واستصغرت نفسي ان اكون اهلا لذلك فكان اول ما قلت يا سيدي انا والله
احبك فقال احبك الله كما احببتني ثم شكوت اليه ما اجد من هموم واحزان
فقال احوال العبد اربعة لا خامس لها النعمه والبليه والطاعة والمعصية فان
كنت بالنعمه فمقتضى الحق منك الشكر وان كنت بالبليه فمقتضى الحق منك
الصبر وان كنت بالطاعه فمقتضى الحق منك شهود المنة عليك وان كنت بالمعصيه

تقتضي الحق منك وجود الاستغفار قال فقمت من عنده وكأنما كانت تلك الهموم والأحزان
ثوب نزعته قال ثم سألني بعد ذلك بمدة كيف حالك فقلت أفتش على الراحة فقال شعر
ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس ساري والناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار
الزم فوالله ان لزمت لتكونن مفتيا في المذهبين يريد مذهب اهل الشريعة اهل العلم الظاهر
ومذهب اهل الحقيقة اهل العلم الباطن انتهى ما نقلته من لطائف المنن وانما اوردت ذلك هنا على طوله
ليعرف به قدر المؤلف ليندفع بواضح برهانه طعن الطاعن وتعسف المتعسف وليتعرض
بذلك لتنزل الرحمة من الله تعالى علينا وسؤاله منحه وعطاياه لدينا وقد قيل عند ذكر الصالحين
تنزل الرحمة مع ما في ذلك من قرب المناسبة لمعنى ما اورده المؤلف من الكلام الجاري في النسق
بين من عاصره من الأئمة والعلماء واما شيخه ابو العباس وشيخ شيخه ابو الحسن
فحالهما اوضح من نار على علم وقد طرزت بكلامهما الكتب والدفاتر وزهت بمآثرهما وعلومهما
الالسنة والاقلام والصحف والمنابر ولولا خشية الملالة وكراهة الاطالة لذكرنا من ذلك ما يبهر
عقول السامعين والمطالعين وتزعج آذان الجاحدين والمعاندين ونستكفي من ذلك المسمى اشارة
ودعته مصونا بالجمال محجبا من اذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته وجليت اليهم اشارته
المأذون له في التعبير هو الذي يتكلم بالله وبالله وفي الله ولذلك كان كلامه صوابا قال الجنيد الصواب
كل نطق عن اذن اشار بهذا والله اعلم الى قوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال
صوابا فاذا اقرع اسماع السامعين كلامه وقرت في مسامعهم عبارته فلم يفتقروا الى معاودته
وتكراره وجليت اليهم اشارته فلم يحتاجوا مع فهمها الى اطناب ولا اكثار بخلاف غير المأذون له فانه
ذلك قيل لحمدون ابي احمد بن عمارة القصار ما بال كلام السلف انفع من كلامنا قال لانهم تكلموا
لعز الاسلام ونجاة النفوس ورضى الرحمن ونحن نتكلم لعز النفس وطلب الدنيا وقبول الخلق
ربما عبرت الحقائق مكشوفة الانوار اذا لم يؤذن لك فيها بالاظهار من لم يستكمل
الاوصاف المذكورة لم يؤذن له في اظهار شيء من الحقائق والمواهب فان اظهرها برزت مكشوفة
الانوار بما غشيها من ظلمة رؤية الاغيار فحجبتها عن آذان السامعين وانكرتها قلوبهم
وعلامات استكمال الاوصاف المذكورة ان ينفتح له باب التعبير ويجد السلامة من آفات
النطق قال في لطائف المنن ومن اجل ما يهب الله لاوليائه وجود العبارة قال وسمعت
شيخنا ابا العباس يقول الولي يكون مشحونا بالعلوم والمعارف والحقائق لديه مشهودة
حتى اذا اعطي العبارة كان كالاذن من الله له في الكلام قال وسمعت شيخنا ابا العباس
رضي الله عنه يقول كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام الذي لم يؤذن له
يخرج مكشوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل من احدهما وترد

على الآخر عبارته وانما قصدنا توحيدا ولقصد هداية مريد فالاول حال السالكين والثاني
حال ارباب المكنة والمحققين لانما يقع التعبير منهم عما يطالعون به من الامور الغيبية
والعلوم الاستشهادية لاحد معنيين اما حال غلبة الوجد عليهم وفيضانه وهم معذورون
في ذلك لوجود الغلبة وهذا حال السالكين من اهل البداية واما لقصد هداية مريد
فيتلقى ذلك لما فيه من فائدة الارشاد والهداية وهذا حال اهل التمكين والمحققين
من اهل النهاية فان عبر السالك لا عن غلبة وجد كان في ذلك نوع من الدعوى وان
عبر المتمكن عن غير قصد هداية مريد كان في ذلك افشاء سر لم يؤذن له فيه وايضا
فحاله يقتضي وجود الصمت وعدم النطق لانه في حضرة الحق سبحانه وتعالى ليتلقى
ما يرد على سمع قلبه من عجائب العلوم وغرائب الفهوم فكيف يجد مهلة لنطق
او تعبير على غير هذا الوجه المذكور والصمت من اداب الحضرة قال الله تعالى و
خشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا العبارات قوت لعائلة المستمعين
وليس لك الا ما انت له آكل المستمعون موسومون بالفقر والحاجة الى معنى ما يستمعون
اليه من المواعظ والحكم وهو قوت قلوبهم وغذاء ارواحهم كما ان المستطعمين
والسؤال موسومون بالفقر والحاجة الى قوت ابدانهم وكما ان اقوات هؤلاء
مختلفة فلا يصلح لواحد من هؤلاء ما يصلح للآخر من الاطعمة والاشربة لاختلاف
طبائعهم وامزجتهم فكذلك الاقوات الاخرى مختلفة فلا يصلح لواحد منهم
من العبارات التي تتضمن وجود القوت المعنوي ما يصلح للآخر لاختلاف
مذاهبهم وتباين مطالبهم فاذا سمعت عبارة من عالم او عارف او احد من
اهل الطريق ولم تحظ منها بشيء فاعلم انها لا تصلح لقوتك وغذائك وهي صالحة
لقوت آخرين وربما يتكلم في هذا السلك ان تقرع اسماع الناس العبارة من بعض
الاشخاص فيفهم منها معنى لم يقصده المتكلم ويتأثر باطنه بذلك تأثرا عجيبا ويدعو
ذلك لجماعة من الناس فيفهم كل واحد منهم ما لا يفهمه الآخر ويحصل لهم بذلك
التأثر مع ان المتكلم لم يرد شيئا من ذلك وربما كان مضادا له وقد سمع ارباب
القلوب من الجمادات ويستفيدون به ويستنبطون احوالا قال في لطائف المنن وربما
فهم من اللفظ ما لم يقصده واضعه كما أن الشيخ الامام مفتي الانام تقي الدين محمد بن علي
القشيري رحمه الله تعالى قال كان [illegible]
فخرج يوما من المدرسة فسمع منشدا يقول اذا العشرون من شعبان ولت

فواصل شرب ليلك بالنهار ولا تشرب بأقداح صغار فقد فات الزمان على الصغار
نخرج هايما على وجهه حتى أتى مكة ولم يزل بها مجاورا حتى مات وقرئ على الشيخ مكين الدين
الاسمر قول القايل لو كان لي مسعد بالروح يسعدني لما انتظرت لشرب الراح امطارا
الراح شي شريف انت شاربه فاشرب ولو حملتك الراح اوزارا يا من يلوم على صهباء صافية
خذ الجنان ودعني اسكن النارا فقال انسان هناك يجوز ان تقرأ هذه الابيات فقال
الشيخ مكين الدين الاسمر للقاري اقرا هذا رجل محجوب والشيخ مكين الدين هذا الذي
شهد له الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنهما بانه من السبعة الابدال
ويكفيك في هذا ان ثلاثة سمعوا مناديا ينادي يا سعتر بري ففهم كل منهم مخاطبة عن الله
خوطب بها في سره سمع الواحد اسمع تر بري وسمع الاخر الساعة ترى بري وسمع
الاخر ما اوسع بري فالمسموع واحد واختلف افهام السامعين كما قال الله سبحانه تسقى
بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقال سبحانه قد علم كل اناس مشربهم فاما الذي سمع
اسمع ترى بري فمن شانه ان يحمله على النهوض الى الله بالاعمال فيستقبل الطريق بالجد وقيل له اسع
اليه تجد المعامله ترى برنا بوجود المواصله واما الثاني فكان سالكا الى الله طاولته الاوقات
تخاف ان يفوته الوصله فقيل له ترويحا على قلبه لما احرقته نار الشوق الساعة ترى بري
واما الاخر فعارف كشف له عن وسع الكرم فخوطب حيث شهد فسمع ما اوسع
بري قال وقال الشيخ محيي الدين ابن العربي رحمه الله تعالى دعانا بعض الفقرا الى دعوة بزقاق
القناديل بمصر فاجتمع بها جماعة من المشايخ فقدم الطعام وعمروا الاوعيه وبها كوز زجاج
قد عمر ليبولوا فيه ولم يستعمل فغرف فيه رب المنزل الطعام فالجماعة ياكلون واذا الوعا يقول منذ
اكرمني الله باكل هولاء الساده منه لا ارضى لنفسي ان تكون بعد ذلك محلا للاذى ثم انكسر نصفين
قال الشيخ محيي الدين فقلت للجمع سمعتم ما قال الوعا فالوا نعم قلت ما سمعتم قالوا اعادوا القول
الذي تقدم قال فقلت تعالوا قولا غير ذلك فقالوا وما هو قلت قال كذلك قلوبكم قد اكرمها الله بالايمان
لا ترضوا بعد ذلك ان تكون محلا للنجاسة المعصيه وحب الدنيا جعلنا الله واياكم ممن
يلقى عنه والتلقي منه قلت وهذه المنازعة كلها مما يستملح ويستظرف ويتاثر
به القلوب السليمه وينقاد لها النفوس الكريمه وقد جرت عادة ايمة هذا الطريق باستعمالها
وايرادها في محالها فلا حرج علينا اذا ذكرنا بعض ذلك اذ كانت له مناسبة تامة وجدت

فيها فايدة خاصة او عامة وبالله التوفيق او يعبر به عما عبر عن المقام من استشرف
عليه وربما عبر عنه من وصل اليه وذلك ملتبس الا على صاحب بصيرة كما ان الواصل
الى مقام من مقامات اليقين يعبر عنه كذلك يعبر عنه من استشرف عليه
ولم يتحقق فيه بالمنازلة والوصول والتباس ذلك على من ليس له بصيرة ظاهرة
ولما دون البصيرة فلا يخفى عليه ذلك لانه يرى في الكلام صورة المتصل الباطنة
وما هو عليه من الكمال او النقص وقد قيل تكلموا تعرفوا ولا ينبغي لسالك ان يعبر
عن واردات قلبه فان ذلك يقلل عملها في قلبه ويمنعه وجود الصدق مع ربه
الالهيه لا ينبغي للسالك ان يعبر عنها اختيارا منه بل يخفيها ويصونها الواردات
عليه اخذا الا ان يستحي من شدة الاثر نفسه تجد في ذلك لذة وانشراحا لا يطلع
به صفاتها فيقل بسبب ذلك عمل الواردات في قلبه من التاثير المحمود ولاجل غلبة
احكام نفسه وابتغاء حظه يمنعه ذلك من وجود صدقه مع ربه وقد تقدم هذا
المعنى في قوله استشرافك ان يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك
في عبوديتك لا تمدن يدك الى الاخذ من الخلايق الا ان ترى ان المعطي فيهم مولاك
فاذا كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم هذه قاعدة عظيمة يحتاج اليها السالكون المتجردون
ليبنوا عليها احوالهم فيما يصل اليهم من الرزق على ايدي الخلق وقد ذكرها المولف
بعبارات بديعة موجزة جمع فيها جملة المعاني التي يحتاج اليها من ذكرنا
ولنبسط كلامه في ذلك على حسب ما ذكرنا مع على الوجه الذي ذكرناه في مقدمة هذا
التنبيه وهذا اخص لنا في جميع ما تكلمنا عليه من مسايل كتابه ونقول على
حسب ذلك ارزاق العباد المعتاد لهم تنقسم الى قسمين احدهما رزق يصلون اليه
باسباب واعمال وتصرفات كالتجارات والصناعات ونحو غيرها وهذا حال اهل
الاسباب والثاني رزق يصل اليهم على ايدي الخلق من غير عمل ولا سعي وهذا
حال اهل التجريد وكل واحد من القسمين له اداب واحكام فاحكام القسم
الاول واداب لم يتعرض له المولف رحمه الله تعالى وهي المذكوره في فن الفقه
وغيره فواجب على كل من دخل في شي من الاسباب تحصيل علمه وطلبه من
حيث هو واحكام القسم الثاني واداب وهي التي تعرض لها المولف واجمل رحمه
الله جميع ذلك في سياقات شرطين وجعلهما من شروط صحة الاخذ الشرط
الاول ان لا يرى العطايا الا من مولاه عز وجل وهذا هو الاصل وانما اشترطه
على الاخذ لانه مقتضى حاله من تحقيق التوحيد وتخليص التجريد وبه يصلح له

مقام القناعة والتوكل ويستغني عن تلبه هو الرزق ويتوا عنه علامات الخلق وان
لم يكن على هذا الوصف كان عبدا للناس متوليا بقلبه اليهم يكثر طمعه فيهم ورغبته
فيما بايديهم واستشرافه اليهم فيقع بسبب ذلك في كبائر الذنوب من معاصي القلب
والجوارح مثل المداهنة والنفاق والريا والتصنع والتلبيس والغشة وعدم النصيحة
وقلة الشفقة وغير ذلك من الصفات المذمومة المنافية للعبودية لله عز وجل وقال
يحيى بن معاذ رضي الله عنه من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الاقدار وكل الى المخلوقين
ولا يكفي في تلك الرؤية المذكورة ان تكون علما او ايمانا فقط بل لا بد ان يكون حالا
وذوقا دعا بعض الناس شقيقا البلخي رضي الله عنه وكان في طبقة من اصحابه نحو
خمسين رجلا فوضع الرجل طعاما واسعا وانفق نفقة كبيرة فلما قعدوا قال لهم شقيق
ان هذا الرجل يقول من لم يرني صنعت هذا الطعام وانا اقدمه اليه فطعامي عليه حرام قال
فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا كان فيهم فقصدت مشاهدته عنهم فقال صاحب المنزل
لشقيق رحمه الله ما اردت بهذا قال اردت ان اختبر توحيد اصحابي ايكلهم لا يرونه
فيما صنع ولا ينظرون اليه فيما قدم الا ذلك الرجل وحده وانما اشترطنا في رؤية العطا من الله
تعالى ان يكون حالا وذوقا لان ذلك هو اللايق بحال المتجرد كما ذكرنا لان التجريد حال شريف
لا يدخل فيه بالاختيار والتعمل لان ذلك من اتباع هوى النفس وطلب الحظ والراحة وانما يقيم
الحق تعالى فيه من اراد به من اهل التقوى والمراقبة بعد كمال اشتغاله بالله تعالى وحده
في الهروب من كل ما يقطعه عن الله فحينئذ يسلبه الحق سبحانه وتعالى من تدبيره
واختياره ويكاشفه بوجدانيته في ايراده واصداره ويكون له تركه الاسباب
وعلم الوقت واشارة الحال كما روي ان ابا حفص النيسابوري كان حدادا فكان
غلامه ينفخ عليه الكير فادخل يده في النار واخرج الحديد من النار فغشي على غلامه
وترك ابو حفص الحانوت واقبل على امره وكان يقول رضي الله عنه تركت العمل ثم رجعت
اليه فتركني العمل ثم لم ارجع اليه وقال ابراهيم الخواص لا ينبغي للصوفي ان يتعرض للقعود
عن الكسب الا ان يكون رجلا مخلوبا قد اغنته الحال عن المكاسب واما من كانت
الحاجات به قايمة ثم يقع له عزوف بينه وبين التكليف فقال الشيخ ابو عبد الله
القرشي ما دامت الاسباب قايمة في النفس فالاكتساب اولى وقال بعض المنقطعين

كنت ذا منعة جليلة فاريد مني تركها فجال في صدري من ابن المعاش فهتف بي هاتف
لا اراه ينقطع الي ويتهمني في رزقي علي ان اخدمك ولياما من اوليايي او منافقا من اعدايي
وقد اشترط رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحة قبول العطا عدم الاستشراف الى الناس
ولا يكاد يحصل هذا الشرط لمن ذكرناه عن من اهل التجريد الا بهذه الرؤية المذكورة روى
زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءه معروف من اخيه
من غير مسالة ولا استشراف نفس فليقبله فانما هو رزق ساقه الله اليه وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من وجه اليه شي من هذا الرزق من غير مسالة
ولا اشراف فليأخذه وليوسع في رزقه فان كان عنه غنيا فليدفعه الى من هو احوج
منه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطا
فاقول اعطه يا رسول الله افقر اليه مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذه
فتموله او تصدق به وما جاءك من هذا المال وانت غير مشرف ولا سايل فخذه وما لا
فلا تتبعه نفسك قال سالم فمن اجل ذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما لا يسال احدا شيا
ولا يرد شيا اعطيه فالاستشراف الى الناس مذموم قادح في التوحيد فلا ينبغي ان
ياخذ المريد عطا على هذا الوجه روى احمد بن حنبل رضي الله عنه خرج بنيان يوم
الى شارع باب الشام لا يشتري دقيقا ولم يكن في الموضع من يحمله فوافى ابو الجمال
فحمله ودفع اليه احمد اجرته فلما دخل الدار بعد اذنه له اتفق ان اهل الدار قد خبزوا
ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف فراه ابو الجمال
فقال احمد لابنه صالح ادفع الى ابو الجمال من الخبز فدفع اليه رغيفين فردهما
فقال احمد ضعهما ثم صبر قليلا ثم قال خذهما والحقه بهما فلحقه فاخذهما فرجع
صالح متعجبا فقال له احمد عجبت من رده واخذه قال نعم قال رجل صالح لما راى
الخبز استشرفت نفسه اليه فلما اعطيناه مع الاستشراف رده
اليه بعد الاياس قبله واما الاستشراف الى الرزق مع قطع نظره عن الخلق وشهوده
بصره ذلك لانه خلق ضعيفا ذا فاقة ورزقه معلوم لا بد منه فاستشرافه الى الرزق
في الحقيقة استشراف الى الرازق ولا ينافي ذلك حقيقة العبودية ولكن ان تنزه عنها
الاستشراف الى الرزق يشغل صاحبها عن دوام المحاضرة والمناجات مع الحق
فليصرفها عن ذلك صبرا جميلا وليبعد لها من التعلق والتوثق بالله تعالى
سبيلا قال الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه كنت في بدايتي
واقفا بين العشائين اصلي وانا فارغ بلا سبب حتى جاتني النفس فقال لي السلام عليك

قلت لها وعليك السلام قال لي انعشا قادهني بداهيه فتوقفت فالهمني الله تعالى
ان قلت لها الذي له موضع قال الله فقلت لها ايش هو او متى هو قالت لا فقلت لها الرب
او عبد قالت نعبد فقلت فالعبد يقدر على شي ما هذا الصغر والشركا الذي تلتني به اهرب
الى خالقك فاطلبي منه العشا لانه خالقك وخالقنا قادر على كل شي فيعطيك ويجيب لك
ما طلبتني فيطعمني وناكل انا وانت ولكوا باي وما هذه الحيلوة قال فهربت الى خالقها فجا لعشتنا
متمكن كثيرا فاكلنا قال وكذا يجى عليها ومن هنا تثبت الاقدام وذكروا ايضا ما تشبيله عظيمه
مفيده بتضمن كيف يكون حال الفقير والاراده فرايتنا ذكرها في هذا الموضع من الواجب
المتعين ليتحقق في تحصيلها كل من يقف عليها من مريد مسترشد قال رضي الله عنه اعلم
ان الفقير لا يخلوا اما ان يكون جالسا او ماشيا اما قاعدة الجالس فان جلسته
يكون مع اليقينه وهو مكانه وزمانه طرف سجادته لا يتعداها ولا يكون التفاته لوقت
ولا الى سبب يتعلق لانه لا يدري الاوقات ما هي ولا يحدها ولا يدري متى هي لاوقتها ويعلم
ان جميع الاشيا تطلبه وتحتاج اليه لانها خلقت من اجله وهو خليفة فيها وتدق ع
من جميعها فالالتفات والاصل فيما دايل يكون هدا فالاقتدار يحري تقلبه ولا كسله
ولا سبب في التحصيل ثم قالوا واما الماشي من الفقرا الذي يكون في سفر او غيره فلا تجاوز همته
خطوته مثاله ان يكون ماشيا فيخطر له الغير والالتفات انيه من بلد او شخص
او مطعم او مشرب فيهلك ويظفر به العدو ويترك لعزمه فان تمادى في التعلق بشي من
هذه الطوامح والشواغل ومشى الى شي منها وفقده ومات مات قاتل نفسه وذلك انه
يكون في يوم صايف مثلا وقد اصابه العطش الشديد فيعرض خاطره فيجى العدو فيروج
عليه ان اسرع لتلحق بذلك الما فتشرب منه فيزول عطشك فان مشى الى ذلك لهذا
الخاطر فيجى الموضع فيجده سرابا فهناك يظفر به ويقول له الان تموت فيقتله من ساعته
فيموت قاتل نفسه اذا كان جاهلا بربه وباياته ولم يعرف داه من دايه ولا يعلم العلم
ولا يسال العلما النهايه مع نفسه فالحكمه اذا جاله هذا الخاطر بالروح من العدو في
سفره من السرعه الى الما والركون الى الاخبار من منازل او اشخاص او غير ذلك ان
يعرض على العدو وان الله تعالى يمكن ان يتوفاني قبل لحوقه فيا الضروره بطيعه
في ذلك وبيتا ويقول له ايضا قال النبي صلى الله عليه وسلم من مشى الى طمع فليمش رويدا
وقال من اناة اصاب او كاد ومن عجل اخطا او كاد والعجله من الشيطان ومن هذا التيرولا
يشك انه كان يحتج للنفس والشيطان بهذه القواعد من العلم انهم ينقطعون
ولا حجة عندهم بعد الاستعانه بالله والتعلق به ثم يقول له ايضا انشكو ان الله
تعالى

تعالى قادر على ان يطعمني ويسقيني ان شا بنبع في عينا الساعة فيلون مولى لذلك الما
فيقول له الشيطان بالضرورة نعم فاذا كان هذا كذلك والله تعالى اعلم بمصالحي ومنافع
مخلوق فاذا احصل هذا العلم رجع يمشي متانيا همته في خطوته ناظرا الما يرد
ربه فان وصل الى ما خطر له او راه من بعيد لم يجد شيا ولم يجد ما يتعلق به خاطر
صاحبا لمقام بقي على حاله لا يتغير عنده ولا تردد ويظفر بالعدو وقتله
ايضا الشيطان بخيره الشي وضده التشفي ما اورد ناذكره من كلام هذا الامام
من تقبيس الكلام المفرق غاية المراد لما تضمنه من المعاني البديعه والا
ولما فيه من حر بلا التوحيد والادب المرضيه من الجيد فهو جدير بان
يرسم ويكمل به الغرض الذي تقدم والله تعالى اعلم وحكم الشرط الثاني ان لا يا
يوافق العلم وهذا شرط لازم للمتجرد ايضا قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه
لمن لا معلوم عنده من الاسباب ان يتورع في اخذها ويتحرى المعطين لها كما يتحرى
اهل المكاسب في الاكتساب لان الله تعالى في كل شي حكما والقعود عن المكاسب
لا تسقط احكامها والقاعد عن الطلب لا يسقط احكام الطالبين ولا يترك
العمل عمل يحتاج الى علم ولم تكن سيرته الفقرا الصادقين ان ياخذوا من كل احد
لا في كل وقت ولا ياخذ كل ما يعطون مما يريد على كفايتهم الا ان يكونوا ممن يخرجونه
الى غيرهم انتهى وموافقة العلم التي ذكرها المولف رحمه الله على قسمين موافقة العلم
الظاهر وموافقة العلم الباطن اما موافقة العلم الظاهر فان لا ياخذ الا من يد بالغ
عاقل تقي وقد جا في الحديث لا ياكل طعامك الا تقي ولا ياكل طعام الا تقي فلا ياخذ من يد ظالم
ولا عامل بالربا ولا جاهل بما يحل ويحرم من وجوه المكاسب ولا ياخذ من يد صبي
ولا عبد غير ماذون لهما ولا معتوه واما موافقة العلم الباطن فان لا ياخذ الا ما كان
على وجه الرفق والمعونه ولا ياخذ الا ما هو مفتقر اليه في الحال ولا غنا له عنه من
ضروراته وحاجاته من غير اسراف ولا اقتار ولا يا نف ان ياخذ لتحقيق على ذلك
انا في خلقه سخا وبذل ايثار وتخلق بمحاسن الاخلاق لا يتوصل به الى حظ
عاجل من جاه او رياسه او قبول عند الناس ولا ياخذ ما يعطاه على وجه الابتلا
والاختبار اما الابتلا فان يا تيه قبل وقته او زايدا على حاجته فان اخذه فليخرجه
في السر فيبرا من بذلك من افة الاظهار واما الاختبار فان لا ياخذ شيا كان قد نوى تركه
لله تعالى من شهوة كان مبتلى بها فملكته واسرته ومنعته القيام بحقوق
ربه فليوف بعهد الله تعالى وليدفع ذلك عن نفسه ان خاف الهلاك عزمه

ادنيته وان لم يأخذ ذلك فليأخذه وليخرجه لغيره وهذا الشي اشد على النفس
من اعظم درجات الزهد ولا ياخذ من منان ولا فخور ولا متظاهر بعطيته ولا ياخذ
ما يثقل على قلبه قبول عطيته فقد قيل لا تأكل الطعام من يرى لك الفضل عليه في اكله
وكل الاطعام من ترى انه وديعه عنده ولا تأكل الاطعام زاهدا لانه يعتد بما كلك
كل الاطعام من يرى ان صاحبه افضل من الطعام وقد روي انه اهدي الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم سمن واقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش وكان يقبل من
بعض الناس ويرد على بعض وقال لقد هممت الا اقبل الا من قرشي او انصاري او ثقفي او دوسي
قال ابو طالب المكي وفعل هذا جماعة من التابعين جاء الى فتح الموصلي رضي الله عنه صرة
فيها خمسون درهما فقال حدثني عطا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتاه الله رزقا
من غير مسألة فرده فانما يرده على الله عز وجل ثم فتح الصرة واخذ منها درهما ورد
سايرها وكان الحسن يروي هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثنا عنه
ان رجلا اهدى اليه كيسا فيه الوف ورزمة فيها من رقيق خراسان فرد ذلك
فقال له بعض اصحابه في ذلك فقال من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس شيا لقي
هذا لقي الله تعالى يوم القيامه وماله عند الله من خلاق وكان الحسن يقبل من اصحابه وكان
ابراهيم التيمي يسأل اصحابه الدرهم والدرهمين ويعرض عليه غيرهم المائتين فلا ياخذ
وكان بعض العباد اذا ارفع اليه بعض اهل الدنيا الشي قال ضعه عندك واعرض علي
احوالك كيف انا عندك بعد الاخذ افضل او دون ذلك فان قال افضل قال انت عندي
الان افضل منك قبل ذلك قبل منه وان اخبره بنقصانه في قلبه لم يقبله منه وكان
بعضهم يرد على اكثر الناس صلاتهم فعوتب في ذلك فقال لم ارد عليهم الا اشفاقا
عليهم ونصحا لهم يذكرون ذلك ويحبون ان يعلم به فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم
ويروى عن الاعمش انه قال جا شاب من العرب الى ابراهيم النخعي بالكوفة بدراهم
فقال يا ابا عمران خذ هذه الدراهم والله ما هي من ذي سلطان ولا من كذا وكذا فقال له
ابراهيم بارك الله لك وجزاك خيرا انها وليتلتها يا ابا عمران ما منعك ان لا تأخذها والله
ما الامر انكرتيه فقال صدقت يا ابا سليمان ولكن هذا شاب من العرب لم تحكمه
السن ولم تحنكه الاداب فكرهت ان يجلس في حيه فيقول اعطيت ابراهيم
الف درهم فيحبط الله اجره ويذهب دراهمه وممن ذهب الى هذا سفيان الثوري
كان يشترط على بعض من كان ياخذ منه ان لا يذكره لا اشفاقه عليه لا من اجله

بل من ذهاب اجره

بل من ذهاب اجره لانه قيل في معنى قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قال
المن ان يذكره والاذى ان يظهره وقال الجنيد للرجل الخراساني الذي جاء بالمال ليسأله ان
ياكله فقال الجنيد بل افرقه على الفقرا فقال الرجل انا اعطي الفقرا من كلها اختر هذا فقال له
الجنيد لو ان عيشت اومل ان اعيش حتى اكل هذا فقال الرجل لم اقل لك انفقه في الخل
والبقل انما قلت لك انفقه في الطيبات والوان الحلاوات فكلما فقد اسرع كان احب
الي فقال الجنيد وما ببغداد اخر ينبغي ان يقبل منه شي الا من كان مثلك وكان
السري السقطي رضي الله عنه يوصل الى احمد ابن حنبل رضي الله عنه الشي فيرده
فقال له سري يا احمد احذر افة الرد فانها اشد من افة الاخذ فقال احمد اعد
علي ما قلت فاعاده فقال احمد ما رددت عليك الا وعندي قوت شهر فاحبسه
لي عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي وعلى الجملة فلا ينبغي ان ياخذ المريد الا من يد
زاهد عارف فذلك يسلم من الافات ويصح جميع المعاملات قال ابو نصر الزقاق منذ
اربعين سنه اطعمه هولا فما رايت فيها لاصحابنا الا من بعضهم لبعض او من
جعلهم من لم يصحبه التوفيق والورع في هذا الامر اكل الحرام المحض وان اراد ان
يسبل امثال هولا فليفعل قال ابو طالب رضي الله عنه كان بشر ابن الحارث لا يقبل
من الناس شيا وكان بعضهم يقول احب ان اعلم من اين يأكل فقال له من يخبره
انا ادري من اين ياكل كان له صديق عاقل نظيره في العقل والدين لان بعضهم كان
لا يقبل الا من النظرا ولا يقبل من الاتباع وهذا الصديق العاقل الذي كان يقوم بكفايته
ولم يكن يظهر امره ولا يلتقي معه هو السري بن مغلس السقطي رضي الله عنه
قال بشر ما سالت احدا قط شيا من الدنيا الا السري السقطي لانه قد صح عندي
زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشي من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون قد
اعنته على ما يحب وكان سري يوجه الى احمد ابن حنبل في حاجته فيقبل منه
وكان اذا ذكر عند احمد ابن حنبل يقول ذلك الفتى المعروف بطيب المطعم
ليعجبني امره وان بلغت به الحاجات كل مبلغ واشرف على الضيق تحققت
الضرورة وبدا سؤاله فلم يقدر له بشي وقته يضيق عن الكسب لشغله بحاله
فعند ذلك يقرع باب النسيب ويسأل من دون هولا ممن جهل حاله جاء في الاثر
من جاع فلم يسال فمات دخل النار وقد سال الناس عند الحاجة والفاقة نبي الله
موسى والخضر عليهما السلام لقوله تعالى استطعما اهلها وكان ابو جعفر
الحداد وهو شيخ الجنيد يسأل من باب او بابين بين العشائين ويكون ذلك معلومه

الى بعد حاجاته من يوم او يومين وكان له مقام في الزهد والتوكل قال ابو طالب فلعل يعطيه
عموم ولا خصوص ونقل عن ابي سعيد الخراز رضي الله عنه انه كان يمد يده عند الفاقة
ويقول شي لله ونقل عن ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه انه كان معتكفا بجامع البصرة
مدة وكان يفطر في كل ثلاثة ايام ليلة وليلة افطاره يطلب من الابواب وكان الثوري
يسافر في البوادي من الحجاز الى صنعاء اليمن قال وكنا نسافر معه فكنا نخرج بثيابنا في الضيافة
فيخرجون الى طعاما فاتناول حاجتي واترك ما بقي وليجتنب المريد الاكل بالدين وقبول ارفاق
النسوان فان قيل كيف يرتضا بعطاه في الوجوه التي حكمتم عليه بعدم الاخذ فيها
ولهو انما ياخذ من يد ربه كما تقدم وهو الرد الذي الا اذا علم الله تعالى فكيف يستقيم ذلك
فالجواب ان القيام بحق الشريعة والطريقة لا يمنعه والتوحيد لا ينافي ذلك وقد قيل الكامل
من لا يطفي نور معرفته نور ورعه وكل باطن من العلم يخالف ظاهرا من الحكم فهو مردود وجه
صحة الرد للعطا عند مشاهدة التوحيد ظاهرا اذ لا فرق في ذلك بين يد المعطي ويد
الاخذ فكما يشهد الاخذ يد الله تعالى في العطا عند يد المعطي فيا خذ ما يعطاه
عند موافقته العلم اتباعا لاذن الله وامره ويشهد يد الله تعالى في المنع عند يد نفسه
بالرد عند مخالفة العلم فلا ياخذه ولا يقبله اتباعا لنهي الله تعالى عن ذلك وعدم اذنه
كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش الذي اهدي له مع السمن والاقط وكما
فعله فتح الموصلي والحسن البصري رضي الله عنهما مع روايتهما للحديث الذي ذكر فيه ابن
ردا الهبة رد على الله تعالى وقد تقدم ذكره بلفظه فبهذا يندفع ذلك الخيال والله تعالى
الموفق لصالح الاعمال وانما اطلنا الكلام في هذه المسئلة لان الحاجة ماسة اليها وليعلم
من ذلك ان جميع ما ذكرنا بعضها ومسايلها داخلة في كلام المولف رحمه الله تعالى على حال الايجازه
واختصاره فكلامه فيها من بديع الكلام ومستحسنه ولشيخه ابي العباس المرسي رضي
الله عنه في معنى ما ذكره كلام بديع مختصر منتزع من كتاب الله تعالى نقله عنه في لطايف
المنن قال رضي الله عنه للناس اسباب وسببنا نحن الايمان والتقوى قال الله سبحانه ولو
ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما والارض فتحقق جود المولف
رحمه الله تعالى صياغته واحسن سياقته في مقصد الارشاد والهداية انما استحيى العارف
ان يرفع حاجته الى مولاه اكتفا بمشيته فكيف لا يستحيي ان يرفعها الى خليقته
تقدم ان من الادب ترك الطلب والسوال من الله تعالى اكتفا بمشيته
ورضا بسابق قسمته وان العارفين المحققين يستحيون من الله تعالى في ذلك

نكيف لا يستحيون

نكيف لا يستحيون من مولاهم عز وجل عند سوالهم للمخلوقين واهل الافتقار الى الغنا فان دخلوا
من ربهم الا واجب فلا يسالون منهم شيا ولا يرفعون اليهم حاجة لانهم فقرا محتاجون وسوى
وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا تتعدينه همته الى غيره فالكريم لا يتخطاه الامال فان اسبابك
الله مالك ما من قلب ولا نفس الا والله مطلع عليه في ساعات الليل والنهار فايما نفس من
رايت فيه حاجة الى سواه سلط عليه البليس قال الاستاذ ابو علي الدقاق من علامات المعرفة
الا تسال حوائجك قلت او كثرت الا من الله سبحانه مثل موسى عليه السلام اشتاق الى الروية
فقال رب ارني انظر اليك واحتاج مرة الى رغيف فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير هذا كلام
القشيري وحكي ان بعض الفقرا كان ياتي كل يوم ويقف على الكعبة بعد ما يطوف فما الذي تعالى ويخرج
من جيبه رقعة ينظر فيها فلما كان بعد ايام فعل مثل ذلك ثم تباعد ومات فجا بعض من يرقبه ونظر
في الرقعة واذا فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا قال فكان الرجل اذا اصابته الفاقة فصبر ولا يظهر
حاله لمخلوق حتى انشد قال ابو بكر الجوهري رحمه الله كنت بعسقلان على برج احرس فرايت
رجل عليه جبة صوف متحرفة فقمت اليه مسلما وعانقته واجلسته وجارية معه في ثوب
من ابعام وكان قدماه حافيتين فقلت له لم لا تسال اهل البلاد ان تعمل يقيك الحفا فقال يا اخي لم احس
بالحبال وحبس عني الشمس والعقال والنقل بالبحر بالغربة اهون من سوقنا اسوال
بالله فيه هي الموت بي النواثم اخرجني من باب المدينة فانتهى بي الى الصخرة منقورة فاذا عليها مكتوب
كل من كنت بكل وعرف حبيبك ولا ضعف يقينك فسل المولى يعينك فالحية التنوير واعلم رحمك
الله ان رفع الهمة للسالكي طريق الاخرة عن الخلق وعدم التعرض لهم ازين له من الحلي اي
العروس وهو احوج اليه من الما لحياة النفوس ومن خلعت عليه خلعت الملك فحفظها
وما انها تحريك بان يراها له ولا تسلبه عنه والملك خلع المواهب فجرب ان لا يسال الا له ولا انت تنسى
ايها الاخ ايما ذلك تطمعك في المخلوقين لا تجعل اعتمادك الا على رب العالمين وكن ابدا للاخ
ابراهيميا فقال ابوك ابراهيم عليه السلام لا احب الافلين وما سوى الله افل
او ما امكانا ونلقنا السبحانه ملة ابيكم ابراهيم ابدا اتبعوا ملته فواجب على المومن ان
يتبع ملة ابراهيم ومن ملته رفع الهمة عن الخلق فانه يوم رج به في المنجنيق تعرض له
جبريل عليه السلام فقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا واما الى الله فبلى قال فسله قال
حسبي من سوالي علمه بحالي فانظر كيف رفع همته عن الخلق ووجهها الى الملك
الحق فلم يستغث بجبريل ولا احال على السوال من الله بل راى ربه اقرب اليه من جبريل
عليه السلام ومن سواله فلذلك سلمه من نمروذ ونكاله وانعم عليه بنواله وافضاله
وخصه بوجود اقباله ومن ملة ابراهيم معاداة كل شاغل عن الله وصرف الهمة بالود الى الله

الي بعد حاجتهم عدو لي الا رب العالمين والغنا ان اردت الدلالة عليه فهو لي الياس من الناس
عموي ابو الحسن ايست من نفع نفسي لنفسي فكيف لا ايس من نفع غيري لنفسي
لله لغيري فكيف لا ارجوه لنفسي وهذا هو الكيميا والاكسير الذي من حصله
بالافاقة فيه وعز لا ذل معه وانفاق لا نفاذ له وهو كيميا اهل الفهم عن الله قال
الشيخ ابو الحسن صحبني انسان وكان ثقيلا علي فانبسطت له فقلت يا ولدي ما حاجتك
ولم صحبتني قال يا سيدي قيل لي انك تعلم الكيميا فصحبتك لاتعلم منك ذلك فقلت له صدقت
وصدق من حدثك ولكن اخاك لا تقبل فقلت له نظرت الي الخلق فوجدتهم علي قسمين اعدا واحبا
نظرت الي الاعدا فعلمت انهم لا يستطيعون ان يشوكوني بشوكة لم يردها الله بها فقطعت
نظري عنهم ثم تعلقت بالاحبا فوجدتهم لا يستطيعون ان ينفعوني بشي لم يرده الله به
فقطعت ياسي منهم وتعلقت بالله تعالي فقيل لي انك لا تصل الي حقيقة هذا الامر حتي تقطع
اياسك منا كما قطعته من غيرنا ان نعطيك غير ما قسمناه لك في الازل وقال مرة اخري لما
سيل عن الكيميا فقال اخرج الخلق من قلبك واقطع اياسك من ربك ان يعطيك غير ما قسم لك
قال وليس يدل علي فهم العبد كثرة عمله ولا مداومته علي ورده انما يدل علي نوره وفهمه عن
ربه والحياته اليه بقلبه وتحرزه عن رق الطمع وتحليه بحلية الورع وبذلك تحسن
الاعمال وتزكو الاحوال قال الله سبحانه وتعالي انا جعلنا ما علي الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن
عملا فحسن الاعمال انما هو بالفهم عن الله والفهم هو ما ذكرناه من الاغتنا بالله والاكتفا به
والاعتماد عليه ورفع الحوايج اليه والدوام بين يديه وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله تعالي
انتهي ما يتعلق بغرضنا من كلام صاحب التنوير وهو كلام نفيس خطير فتامله رحمك الله
اذا تاملته بعين بصيرتك فاصحا لوبك في علانيتك وسريرتك علمت منه ان ما تضمنه
عظيم الموقع وانه مستخرج منا ابراده في هذا الموضع اذ هو منوط بالايمان والتوحيد
محتاج اليه كل سالك ومريد في رعاه حق رعايته وصرف اليه العمل بمقتضاه عنان عنايته
فقد تحقق بمحاسن الايمان وكان من ولاية الله تعالي بمكان ومن اهمله وضيعه وجهل
قدره وموضعه خيف عليه من الوقوع في الشرك الخفي والجلي واستحق ان يطرد عن باب
مولاه العلي فيبقي بطمعه في الخلق ويضيق عليه متسعا من ابواب الرزق كما قال بعض
العارفين الماشي قيل له بين القوم ما لي نفطة او يقظة كالنوم لا ابد من فاقة الي غيرك فا
فاعفها عليك مكانا تسود بك وخدوجك عن حركي عبوديتك انما
ابتليتك بالفاقة لتفزع اليّ منها وتتضرع بها لدي وتتوكل فيها علي سبكتك بالفاقه

لتجيز دهاخانها

لتجيز دهاخالصا فلا تزينن بعدا البسك وسمتك بالفاقه وحكمت لنفسي بالغنا فان وصلتها
بهم ملتك بالهاوات وصلتها بغيري قطعت عنك سوابغ معونتي وحسمت اسبابك
من اسبابي طردا لك عن بابي فمن وكلته الي ملك ومن وكلته اليه هلك ومنهم من ينف من
فعل الوقوف علي باب ايدي الخلق وترفع همته عن ذلك وان لم يكن سواه لا طلب علي
عن حماد ابن سلمة رحمه الله انه قال كان في جواري امراة ارملة لها ايتام وكانت ليلة
ذات مطر فسمعتها تقول يا رفيق ارفق بي فما خطر ببالي انها اصابتها فاقه فصبرت
حتي حبس المطر فحملت معي عشرة دنانير واتيت عليها الباب فقالت حماد ابن سلمة
فقلت نعم فقلت كيف الحال فقالت بخير وعافيه احبس المطر ودفي الصبيان فقلت خذي
هذه الدنانير واملي بها بعض شانك قالت فصاحت بنية لها صغيرة اتريد يا حماد ان
تكون بيننا وبين معبودنا ثم قالت لامها لما رفعنا شكوتك باظهار الرفق جاء علي يد مخلوق
وذكر الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي عن عباس ابن دهقان قال كنت عند بشر بن الحارث
وهو يتكلم في الرضا والتسليم اذ اتاه رجل من المتصوفة فقال له يا ابا نصر انقبضت
عن اخذ البر من ايدي الخلق لاقامة الجاه فان كنت متحققا بالزهد منصرفا
عن الدنيا فخذ من ايديهم لتمحي جاهك عندهم واخرج ما بعطونك الي الفقرا وكن
بعقد التوكل تاخذ قوتك من الغيب فاشتد ذلك علي اصحاب بشر فقال بشر اسمع
ايها الرجل الجواب الفقرا ثلاثه فقير لا يسال وان اعطي لا ياخذ فذلك من
الروحانيين اذا سال الله تعالي اعطاه وان اقسم علي الله ابر قسمه وفقير لا يسال
وان اعطي قبل فذلك من اوسط القوم عقده التوكل والسكون الي الله تعالي وهو ممن
يوضع له الموايد في حضرة القدس وفقير اعتقد الصبر ومدافعة الوقت فاذا طرقته
الحاجة خرج الي عبيد الله وقلبه الي الله تعالي بالسوال فكفارة سواله صدقه
فقال الرجل رضيت رضي الله عنك وقال رضي الله عنه اكد النفس عليك اسر ان انظ
انتقدها علي النفس فاشبعه فانه لا يشتغل عليها الا ما كان حقا هذا ميزان شيطاني
غالب الانفس لانها مجبوله علي الجهل والشره فشانها ابدا انما هو طلب الحظوظ
والفرار من الحقوق كما تقدم عند قوله حظ النفس في المعصيه ظاهر جلي وحظها
في الطاعه باطن خفي فاذا وجد المريد من نفسه ميلا وخفة عند بعض الاعمال
دون البعض اتهمها وترك ما مالت اليه وخف عليها وعمل بما استثقلته
قال بعض العارفين منذ عشرين سنه ما سكن قلبي الي نفسي ساعة وسكون
القلب الي النفس هو اتباعها لا اخف عليها دون الاثقل وهو سعد وبعدم

من نفاق القلب ومن بقي عليه شي من دواعي الهوي وان قل لا يومن عليه من
مثل هذا اذ محبة العمل علي الانفس انما تكون لاجل موافقة هواها وهواها لا يميل
الا للباطل فاذا التبس عليك امران واجبان او مندوبان ولم تعلم ايهما احب وافضل
لتقدمه علي الاخر فانظر اثقلهما علي نفسك فاعمل به وانما قلنا باعتبار غالب
الانفس لا النفس المطمئنة لا توصف بالجهل ولا بالشرة فقد يخف عليها العمل ولا
يدل ذلك علي انه باطل فليكن نظر العبد حينيذ الي ما هو اكثر فايده واعظم مزية
فليقدمه علي غيره وقد ذكر الشيخ ابو طالب المكي حكاية عجيبة من شر النفس
وكونها لا تميل الا الي الباطل قال حدثني بعض اخواني من اهل هذه الطريقة قال
قدم علينا بعض الفقرا فاشترينا من جارنا حملا مشويا ودعوناه اليه في جماعة
من اصحابنا فلما مد يده اخذ لقمة وجعلها في فيه ثم لفظها ثم اعتزل وقال كلوا
انتم فانه قد عرض لي عارض منعني من الاكل فقلنا لا ناكل ان لم تاكل فقال انتم اعلم اما
انا فقير الكلم انصرف فقال كرهنا ان ناكل دونه فقلنا لو دعونا الشوا فسالناه
عن امر هذا الحمل ولعل له سببا ما نكروها فدعوناه فلم نزل به نسله حتي اقر انه
كان ميتة وان نفسه شرهه الي بيعه حرصا علي ثمنه فشواه ووافق ان
اشتريتموه فاطعمناه للكلاب فقال ثم اني لقيت الرجل بعد وقت فسالته لاي
معني تركته كله وبماي عارض فقال اخبركما شرهت نفسي الي طعام منذ
عشرين سنة للرياضة التي اخذتها به فلما قدمت هذا اشرهت نفسي
اليه شرها ما عهدته قبل ذلك فعلمت ان في الطعام علة فتركته كله لاجل شرة
النفس اليه قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه فانظر رحمك الله كيف اتفقا في
شرة النفس عن قصة واحدة ثم اختلفا في التوفيق والخذلان فعصم العالم بالورع
والمعرفة ونكل الجاهل مع شرة النفس بالحرص ونركل للموافقة اعني البايع الذي
باع الاخوان للتوفيق بحسن الادب وهو مع شرة النفس عن الاكل
لاجلهم ثم تدورك البايع بعد وقوعه بصدق المشتري بحسن نيته التقي
اخو فلح واكبر تحقيقا من الاول فهوان يقدر نزول الموت به فاي
شي يسره ان يكون مشغولا به اذ ذاك فهو حق وما عداه باطل في لطايف
المنن والموت ميزان علي الافعال والاحوال كما هو ميزان في دايرة الرتب اما الرتب
فكما تقدم ان الله علامة صحة مرتبة الولاية واما الافعال والاحوال فاذا التبس عليك
امرا لا تدري هل يرضي الله تركه او فعله او حالة التبست بها هل قمت فيها بحق

او قمت فيها بهوي فاورد الموت عليها اي تلك الافعال والاحوال فكل حالة وعمل ثبت
مع تقدير ورود الموت عليها ولم تنهزم فهي حق وكل حالة وعمل هزمها الموت
فهي باطل اذ الموت حق والحق يهزم الباطل ويدمغه الله تعالي بل نقذف بالحق علي
الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب وقل جا الحق
وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وما انتفيه تايما بحق لم يهزمه الموت
اذ هو حق والموت حق والحق لا يهزم الحق قال وقد جاريت الكلام انا وبعض
من يشتغل بالعلم في انه ينبغي اخلاص النية فيه وان لا يشتغل به الا لله
فقلت الذي تقرر انما لله هو الذي اذا قيل له غدا تموت لا يرفع الكتاب
من يده انتهي وهذا افضل الخطاب ونهاية الصواب فان العمل في هذه
الحالة لا يظهر منه الا العمل الصالح الخالص من شوايب الريا ومما زحة
حظ النفوس واتباع الهوي وهذا هو المطلوب من العبد ولا يستتم له ذلك الا
ان يتحقق ما يقدره من حلول الموت وحصول الفوت وهذا هو معني قصر
الامل الذي هو اصل حسن العمل وهو ان لا يقدر لنفسه وقتا ثابتا يكون فيه
حيا وعند ذلك تتخلص عمله من الافات وينطهر من انواع الرعونات لان وقع
الموت في كل نفس ولحظة يهدم عليه جميع ذلك كما ذكره المولف رحمه الله
وكل عمل استرسل فيه صاحبه غافلا عن تقدير وقوع ذلك لان لم يكن متحققا
به لا يسلم مما ذكرناه بعيد من الاخلاص من ياخذ في علم غير متعين عليه الاخذ
فيه لا يجتني ثمرته الا في ثاني حال ويكون في الرهانه متمكنا من انواع طاعة
تزيد مصلحتها علي مصلحة ما اخذ فيه من العلم فيفوت ثوابها ولا يتنجز له
حصول التقرب بها لان في ذلك فوت نفسه وفارة حظه وافة ذلك انه
قد يعرض له في حال اخذه فيه غرض دنياوي يكون احظا لنفسه به اكثر
فيقدمه علي ما كان اخذ فيه ويتشاغل به من غير مبالاة بما يفوته
من ذلك وانما عبرنا ~~الخذ~~ بلفظ الاخذ ليدخل فيه تعلم العلم وتعليم
العلم فان الامر فيهما واحد وكل عمل لا اخلاص فيه ليس لله ولا لله مردود علي
صاحبه مضروب به وجهه وهذا ينبني غرور اكثر الخلق في علومهم واعمالهم
الا من رحم الله تعالي ولهذا نشاهد اكثر الناس عند نزول الموت بهم يندمون
علي ما اسلفوه من عمل ويودون ان لو انسي لهم الاجل وهيهات هيهات فنعوذ
بالله من الغفلة في زمان المهلة فانها سبيل كل عالم ناسي ومنشا وجود الغره

والجهالة لكل عالم وعابد ومما ذكرناه تبين معرفة اختلاف درجات المصالح لتقدم الفاضل
منها على المفضول لا يطلع الا من ايده الله بنور اليقين وحيله على النصيحة له في الدين
وكان له حظ وافر من الخوف والحذر فاستعمله في كل ورد وصدر ولا اشكال ان هذه
المرتبة عزيزة المنال بعيد زاد راكبها الا عن الافراد من الرجال وسبيل من
يصل اليها بما ذكرناه اذا كان متصفا ان يستعين بنظر من هو احسن منه حالا
وامر بحققا لا وفعلا ويفوض جميع اموره اليه ويعتمد اشارته في كل ما يشير به
عليه وعلامة الصادقة وجود اتهامه لنفسه وعدم اعتماده على عقله وحده ومن
لم يكن متصفا فالكلام معه هذيان فاسلو ضرب في حديد بارد وسياتي مزيد تنبيه على
غرور الاخذين في العلم في موضع اليق من هذا والله تعالى ولي التوفيق ومن علامة
اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات وهذا من
الصور التي يتبين فيها خفة الباطل وثقل الحق على النفس وما ذكره هو حال اكثر الناس
فترى الواحد منهم اذا اعتقد التوبة لا همة له الا في نوافل الصيام والقيام وتكرار المشي
الى بيت الله الحرام وما اشبه هذا من النوافل وهو مع ذلك غير متدارك لما فرط فيه
من الواجبات ولا متحلل لما لزم ذمته من المظالم وانما اتبعوا نفوسهم في ذلك الا انهم لم
يشتغلوا برياضة نفوسهم التي خدعتهم ولم يعقلوا بمجاهدة اهوائهم التي استرقتهم
وملكتهم ولو اخذوا في ذلك لكان لهم فيه اعظم شغلا ولم يجدوا فسحة لشيء من
التطوعات والنفل قال بعض العلماء من كانت الفضائل اهم اليه من اداء الفرائض
فهو مخدوع وقال محمد ابن ابي الورد هلاك الناس في حرفين اشتغال بنافلة و
تضييع فريضة وعمل بالجوارح بلا مواطات القلب عليه وانما حرموا الوصول
لتضييعهم الاصول وقال الخواص انقطع الخلق عن الله بخصلتين احدهما انهم
طلبوا النوافل وضيعوا الفرائض والثانيه انهم عملوا اعمالا بالظاهر ولم ياخذوا انفسهم
بالصدق فيها والنصح لها وابا الله ان يقبل من عامل عملا الا بالصدق واصابة الحق
قال الشيخ ابو طالب المكي فافضل شيء للعبد معرفته بنفسه ووقوفه على حده واحكامه
لحاله التي اقيم فيها وابتداؤه بالعمل فيما افترض عليه بعد اجتنابه ما نهي عنه بعلم يرشده
في جميع ذلك وورع يحجزه عن الهوى فبعد ذلك ولا يشتغل بطلب فضل حتى يفرغ من فرض
لان الفضل لا يصح الا بعد حصول السلامة كما لا يخلص الربح للتاجر الا بعد حصول راس
المال فمن تعذرت عليه السلامة كان من الفضل ابعد ومن الاغترار اقرب انتهى قيل

الطاعات

الطاعات باعيان الاوقات كي لا يمنعه عنها وجود التسويف ووسع عليك
الوقت كي يبقى لك حصة الاختيار انعم الله عليك فيما امرك به من الطاعات الموقتة
بالاوقات بنعمتين عظيمتين احدهما تقييدها لك باعيان الاوقات لتوقعها
فيها فتفوز بثوابها ولو لم يفعل هذا لسوفت بها ولم تعملها حتى تفوت
فيفوتك ثوابها والنعمة الثانيه توسيع اوقاتك عليك ليبقى لك نصيب الاختيار
حتى تاتي بالطاعات في حال السكون وتمهل من غير حرج ولا ضيق فلله الحمد على نعمه
علم قلة نهوض العباد الى معاملته فاوجب عليهم وجود طاعته فساقهم اليه
بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل لما علم الله
قلة نهوض العباد الى معاملته الواجبة عليهم من اقامة العبوديه لمشاهدة الربوبية
في حال طواعية منهم اذ لم يكن ذلك قرة اعينهم وغاية نعيمهم اوجب عليهم وجود
طاعته على حال كراهية منهم لاجل ما خوفهم به ان لم يفعلوا فساقهم بسلاسل
ايجابه وتحذيره اليه واستدرجهم بذلك الى ما فيه نعيمهم مما لا علم لهم به وفعل
بهم ما يفعل بالصبي الاحوال كيف يوجد بضرب على استرساله على مقتضى طبعه
وجبلته ويلزم امورا شاقة عليه فيفعلها وهو كاره لذلك والغرض انما هو
حصوله على منافعه التي هو جاهل بها واذا كبر وعقل عرف ذلك عيانا وقد عجب
ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل كما فعل باسارى الكفار حين
يراد بهم الدخول في الاسلام فيقادون الى الجنة بالسلاسل في رقابهم وهذا حديث
يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا عجب الله من اقوام يقادون الى
الجنة بالسلاسل قلت وتعبير المولف بالسلاسل والسوق بها واستعماله
ذلك في التكليف الواجب التي تلزم العباد القيام بها من بديع الاستعارات
كما قال الشاعر وهو ابو خراش الهذلي وليس كعهد الدار يا ام مالك
ولكن احاطت بالرقاب السلاسل وكذلك تمثيله بالحديث المذكور فيه ذلك
والاشارة به الى مقصوده في غاية الحسن قال بعض العلماء يجوز ان يكون معنى
التعجب المنسوب الى الله تعالى فيه اظهار عجيب هذا الامر لخلقه لانه بديع الشان
وهو ان الجنة التي اخبر الله تعالى بما فيها من النعيم المقيم والعيش الدائم فيه
والخلود فيه الذي من حكم من سمع به من ذوي العقول ان يسارع اليها
ويبذل المجهود في الوصول اليها ويتحمل المكاره والمشقات لينالها وهو لا يقعون
عن ذلك ويرغبون عنها ويزهدون فيها حتى يقادون اليها بالسلاسل كما يقاد

الى المكروه العظيم الذي ينفر منه الطباع وتألم منه الابدان وتكرهه النفوس ويلذ بها جماعة من الفقرا
بل عجبت ويسخرون بضم التاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من فلان وفلانه
في قصة الانصاري الذي قال لامراته اكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث صحيح مشهور
فالعجب منسوبا الى الله تعالى نقل ورد في الكتاب والسنة فهو اذا من الصفات السمعية اوجب
عليك وجود خوف منه وما اوجب عليك الا دخول جنته هذه عبارة حسنة موافقة لمعنى ما
تقدم والمقصود من هذا كله الاعلام بان الله تعالى غني عن خلقه لا تنفعه طاعتهم ولا تضره
معصيتهم وان التكاليف كلها انما اوجبها عليهم لما يرجع اليهم من مصالحهم لا غير فان
وما ذكره المولف رحمه الله هو حال عامة الناس الذين من شانهم التواني وعدم الانقياد للاوامر
والنواهي ولذلك احتاجوا الى التخويف والتهديد والموالاة للخطر والمبالغة في التنكير واما الخاصة
منهم فلم يحتاجوا الى شي من ذلك لان الله تعالى شرح صدورهم ونور بصايرهم وكتب في قلوبهم الايمان
وحبب اليهم الطاعة وبغض اليهم العصيان فلم يقتصروا على ما اقتصر عليه المذكورون من
فعل الواجبات واجتناب المحظورات فقط بل اضافوا الى ذلك المبادرة الى اعمال الطاعات والمسارعة
الى نوافل الخيرات وبالجملة صارت اعمالهم قربات تعذ لكل تمام حزنهم وصحة عبوديتهم نعم العبد
صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فالي التنوير وانما جعل سبحانه الايجاب على العباد علما منه بما
هم عليه من وجود الضعف بما نفوسهم متصفة به من وجود الكسل فما اوجب عليهم ما اوجب
لانه لو خيرهم فيما اوجب عليهم لم يكونوا اتابهم الا القليل وقليل ما هم فما اوجب عليهم وجود طاعته
وفي التحقيق ما اوجب عليهم الا دخول جنته فتسابقوا الى الجنة بسلاسل الايجاب عجب ربك
من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل قال واعلم رحمك الله انا تاملنا الواجبات فراينا الحق سبحانه
جعل في كل ما اوجبه تطوعا من جنسه في ايد الانواع كان ليكون ذلك التطوع من ذلك الجنس
جابرا لما عساه ان يقع من الخلل في قيام العبد بالواجبات وكذلك جا في الحديث انه ينظر في مفروض
صلاة العبد فان نقص منها شي كمل من النوافل فانظر رحمك الله هذا ولا تكن مقتصرا على
ما فرض الله عليك بل لتكن فيك ناهضة حسن توجب احبابك على معاملة الله فيما لم يوجبه
عليك ولو كان العباد لا يجدون في موازينهم الا فعل الواجبات وترك المحرمات لقل الضعفا
لما اقتصروا على القيام بما اوجبوا اليهم ولبس في قلوبهم من سلطان الحب وجود الشغف
ما يحملهم على المعاملة من غير ايجاب فمثلهم كمثل العبد يعلم السيد منه انه ان لم يحاجه لم يهدي اليه
شيا فلذلك وقت سبحانه الاوراد ووظف وظايف العبودية وعرف ذلك بالطالع والمغارب وبزوال العقيدة
ظل كل شي مثله في الصلاة وبالحول في الاموال النامية العين والماشية وبوقت حصول المنفعة في الزرع
والنوافل كاتحفه بيوم عرفة وعاشوراء وبعشر ذي الحجة وبعشر رمضان في الصلاة فوظفها لوظايفهم ووقتها وجعل

للنفوس

للنفوس فيها قسمة الحظوظ والسعي في الاسباب واهل الله اهل الفهم عنه جعلوا الاوقات كلها وقتا واحدا
والعمر كله لهما الى الله قاصدا فعلموا ان الوقت كله له فلم يجعلوا شيا منه لغيره وكذلك قال الشيخ ابو الحسن
عليك بورد واحد وهو اسقاط الهوى ومحبة المولى ابت المحبة ان تستعمل محبا لا نبيا يوافق محبوبه
وعلموا ان الانفاس امانة الحق عندهم ووداعه لديهم فعلموا انهم مطالبون برعايتها فتوجهوا بهم لذلك
وكما ان له الربوبية الدايمة كذلك حقوق ربوبيته عليك ينبغي ان تكون اوقاتك كلها قال الشيخ ابو
الحسن ان تكون ساهيا بمقتضيه الحق منك بحكم الربوبية انتهى من استغرقت
ينقذه الله من شهوته وان يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز قدرة الالهية وكان الله
على كل شي مقتدرا من استرقته الشهوة واستولت عليه الغفلة فلا ينبغي له ان يستغرب
ان ينقذه الله من اسر شهوته وان يخرجه من وجود غفلته لما يشاهد وامر استحكام
ذلك فيه فان في ذلك نسبة العجز الى القدرة الالهية والله متصف بالقدرة على كل شي وهذا من الاشيا
وليعلم العبد ان قلوب العباد ونواصيهم بيده فلا يقنط ولا ييئس وليقصد باب مولاه بالذلة والافتقار
فعساه يسهل عليه ما استصعبه ويظهر له ما استغربه وما ذلك على الله بعزيز ويعتبر
هذا المعنى بالحكايات التي تروى عن الصالحين الذين تقدمت لهم في بداياتهم الزلات ووقعت منهم
قبل توبتهم الهفوات فتداركهم الله بلطفه واستنقذهم بجوده وعطفه فاصلح اعمالهم
وصفا احوالهم وابدل سيئاتهم حسنات ورفعهم من اسفل سافلين الى اعلا الدرجات
كل ذلك في اقرب زمان واقصر مدة واوان والحكايات في هذا المعنى عن الفضيل ابن عياض
وعبد الله ابن المبارك وابي عثمان بن علوان وغيرهم رضي الله عنهم معروفة مشهورة
ومن اغرب ما رايت في هذا المنزع ما رواه عبد الصمد بن معقل عن عمه وهب ابن
منبه رضي الله عنه ان رجلا قتل نفسا فجا الى سايح من سياحي بني اسرايل فساله
عن ذلك فقال فرفع له السايح من الارض عرجونا ابيض قد يبس حاملا ثم قال له
ان اخضر هذا العرجون قبلت توبتك واراد السايح ان يويسه من التوبة
لعظم ذنبه فاخذ الرجل العرجون وهو يطمع في التوبة ويعزم ان يفعل يعبد الله
تعالى زمانا ويدعوا حتى اخضر ذلك العرجون باذن الله تعالى وقدرته واغرب
من هذا واصح ما خرجه مسلم في صحيحه من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسع وتسعين
نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل مائة نفس فهل له
من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا
يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق

حتى تصف الطريق فاتاه ملك الموت فاختصمت فيه ملايكة الرحمة وملايكة العذاب
انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين
فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوه فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملايكة
الرحمة قال الحسن ذكر لنا انه لما اتاه ملك الموت ناء بصدره وقال عيسى ابن دينار كان
يقال ما وفق الله عبدا للعمل الا وهو يريد ان يقبله منه ولا وفق الله عبدا للورع
عن ذنب الا وهو يريد ان يغفر له وذكر القاضي يونس ابن عبد الله المعروف بابن
الصفار رحمه الله في كتاب التنبيه والتنبيه لصالح العمل انه اخبره ثقة من
اهل العلم قال كان رجل من اهل الادب له اصحاب يجمعه بهم في مجالس يكررونه
فدعوه ذات يوم فلم يجبهم فقالوا له ما يمنعك من اجابتنا فقال دخلت البارحة في
الاربعين وانا استحيي من شيبتي ثم لزم الخير والعبادة قال وروي عن عمر ابن عبد العزيز رضي
الله عنه انه قال وجبت حجة الله على ابن الاربعين وذكر فيه ايضا عن مغيث ابن
سمي قال كان رجل من بني اسرائيل يعمل بالخطايا فبينما هو ذات يوم يسير ذكر ما
سلف من عمله فقال اللهم غفرانك فاتته تلك الحال فغفر له وذكر فيه ايضا عن
رجل من العلما انه راى في منامه شيخا وجماعة من الشعرا قد احدقوا به يسالونه
فقال له ايها الشيخ اخبرني باحكم بيت قالته العرب فانشدني بيتا ما فيا حتى علا النبي اسه
فلما علاه قال للباطل ابعد فانا الله لقد نفعني الله عز وجل بهذا البيت ما ذكرته بعد ذلك
عند شهوة او خطيئة الا ارتدعت عنها وارجو ان الايفار زفني الانتفاع به ما بقيت ان
شا الله تعالى انتهى الكتاب المذكور حكايات مستحسنات في هذا المعنى فطالع ذلك
فيه والله الموفق لا رب غيره ومما ورد فالظلم عليك ليعرفك قدر ما من به عليك النور فما من
نور الا وفي مقابلته ظلمة وكل ظلمة على قدر نورها والشي يعرف بضده كما
قيل وبضدها تتبين الاشيا فما اورده عليك من ظلمات الجهل والغيبة في ليال الهجر
والفرقة فانما ذلك ليعرفك قدر ما من به عليك من انوار التجلي والحضور في نهار
القرب والوصلة فجميع ذلك نعم سابغة عليك من غير علم منك بذلك من لم يعرف قدر النعم
بوجدانها عرف بفقدانها اكثر الناس لا يعرفون قدر النعم الا اذا فقدوها
وذلك لاجل غلبة الغفلة عليهم حتى وجدوها عندهم قال السري السقطي رضي الله عنه
من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم قال الفضيل عليكم بمداومة الشكر على النعم
فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض البلغاء اذا كانت النعمة وسيمة
فاجعل الشكر لها تميمة وقال اخر شكر النعمة عصمة من حلول النقمة وفي معنى هذا

قيل انما

قيل انما يعرف قدر الما من بلي بعطش البادية لا من كان على شاطي الاودية الجارية وقيل ايضا
الولد العاق المضار كيف لا بيه انما يعرف قدر الاب يوم وفاة ابيه وقيل نعم الله تعالى مجهولة
وتعرف اذا فقدت ومن دعا بعض الصالحين اللهم عرفنا نعمتك بدوامها ولا تعرفها لنا بزوالها
قلت ولاجل غلبة الجهل بالنعم الا بعد الفقد وتضييع الشكر عليها من اجل امرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالنظر الى من هو اسفل منا لئلا نزدري نعمة الله علينا والسعيد من
وعظ بغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه ابو هريرة رضي الله عنه انظروا الى من
هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم
وروي عنه ايضا صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر
الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه قال ابو حامد رضي الله عنه وكان بعض الصوفية
يطوف على نفسه كل يوم ان يحضر دار المرضى فيشاهدهم ويشاهد عللهم ومحنتهم ويحضر
حبس السلطان ويشاهد ارباب الجنايات ومحنتهم في التعرض لاقامة العقوبات
ويحضر المقابر فيشاهد اصحاب العزا وتاسفهم على ما لا ينفع مع اشتغال الموتى
بما هم فيه وكان يعود الى بيته ويشتغل بالشكر طول النهار على نعم الله عليه
في تخليصه من تلك البلايا انتهى وكان الربيع ابن خثيم حفر في داره قبرا وكان
يضع في عنقه غلا وينام في لحده ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا ثم يقوم
ويقول يا ربيع قد اعطيت ما سالت فاعمل قبل ان تسال الرجوع فلا ترد وهذا كله
موافق لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديثين المذكورين ولا طريق للعبد
الغافل الى تعرف النعم الموجودة لديه ابلغ منه فاذا عرف نعم الله تعالى
اشتغل بالشكر عليها من قبل ان تزول عنه ولا يكون له سبيل اليها وقد
تقدم كلام المولف رحمه الله من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها
فقد قيدها بعقالها لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك
فان ذلك مما يحط وجود قدرك اذا رايت دفق نعم الله تعالى عليك فلا ينبغي ان
تدهشك عن القيام بشكرها من حيث ترى عجز نفسك عن توفية
ذلك وان لا تقر لديه بشكرك لان الله تعالى رفع قدرك واعلا امرك يجعل القليل
منك كثيرا او اشهدك من حسن توليه لك ونسبة افعاله اليك ما يوذن
بعظم شانك ورفعة قدرك فلم تبخس نفسك حقها وتحطها عن قدرها فتراها عاجزة
عن الشكر والقيام فمقتضى الامر على وجه الادب الاتيان من الشكر بما وجب
كان الامر في ذلك ايضا قال سهل ابن عبد الله ما من نعمة الا والحمد افضل منها والنعمة

التي الهو بها الحمد افضل من الاولي لان بالشكر يستوجب المزيد وفي اخبار داود عليه السلام الهي ابن
ادم ليس فيه شعرة الا وتحتها نعمة وفوقها نعمة فمن اين يكافيها فاوحي الله تعالى اليه يا داود اني
اعطي الكثير وارضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان ما بك من نعمة فمني وكتب بعض عمال عمر ابن
عبد العزيز رضي الله عنه اليه اني بارض قد كثرت فيها النعم حتى لقد اشفقت على من قبلي ضعف
الشكر فكتب اليه عمر اني قد كنت اراك اعلم بالله مما انت ان الله تعالى لم ينعم على عبد نعمة فحمد
الله عليها الا كان حمده افضل من نعمته لو كنت لا تعرف ذلك الا في كتاب الله المنزل قال الله تعالى
ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين وقال تعالى وسيق
الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين وقالوا الحمد لله واي نعمة افضل من دخول الجنة تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء
العضال القلب محل الايمان والمعرفة واليقين وهذه هي الادوية لامراضه التي اوجبها وجود الهوى والشهوة
فان امكن الداء من القلب لم يبق للدوا محل فلذلك اعضل امره وتعذر برؤه لا تخرج الشهوة من
القلب الا خوف مزعج او شوق مقلق الشهوة المكنة من القلب لا يخرجها الا وارد خوف
قاهر غالب يزعجه ويقلقه وذلك اما خوف مزعج او شوق مقلق وما عدا هذين الامرين لا استقلال له
بذلك كما لا يحب العمل المشترك كذلك لا يحب القلب المشترك لا يقبله والقلب المشترك لا يقبل عليه العمل
المشترك هو المشوب بالريا والتصنع والقلب المشترك الذي فيه محبة غير الله تعالى والسكون اليه
والاعتماد عليه فالعمل المشترك يحتمل ينظر صاحبه الى المخلص بنفسه فالعمل المشترك لا يحبه ولا يقبله
ولا يثيب عليه ولا يرضى عنه لعدم وجود الصدق فيه فمن صح اعماله بالاخلاص واحواله بالصدق
كان محبوبا لله تعالى مثابا مرضيا عنه والا فلا وقال رضي الله عنه انوار اذن لها في الوصول وانوار
اذن لها في الدخول الانوار الواردة على القلوب من خزائن الغيوب تنقسم الى قسمين انوار اذن
لها في الوصول الى ظاهر القلب فقط وانوار اذن لها في الدخول الى صميم القلب وسويدائه فالانوار الواصلة
تارة مع نفسه وتارة مع ربه وطورا يسعى في العمل لاخرته وطورا للعمل في امور دنياه والانوار الداخلة
الى صميم القلب وسويدائه لا يظهر فيها الا وجود الله عز وجل فلذلك لا يحب سواه ولا يعبد الا اياه قال بعض
العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب كان العبد محبا للاخرة والدنيا وكان مرة مع الله تعالى ومرة
مع نفسه فاذا دخل الايمان باطن القلب ابغض العبد دنياه وهجر هواه وفي لفظ اخر اذا كان الايمان
في ظاهر القلب يعني على العواد كان المومن يحب الله حبا متوسطا فاذا دخل الايمان باطن القلب
وكان في سويدائه احبه الحب البالغ قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه ومحبة ذلك لمن تنظر فان كان
يوثر الله تعالى على جميع هواه وتغلب محبته على هواه حتى تصير محبة الله على محبة العبد من كل شيء فهو محب
لله تعالى حقا كما انه مومن به حقا وان رايت قلبك دون ذلك من المحبة فقد قال بعض العلما
ظاهر القلب محل الاسلام وباطنه محل الايمان فمن ها هنا تفاوت المحبون في المحبة لتفضيل الايمان على الاسلام فضل

الظاهر بما ورد تتعلق الانوار فوجدت القلب محشوا بصور الاثار فارتحلت من حيث
نزلت فرغ قلبك من الاغيار يملاه بالمعارف والاسرار الانوار الالهية قد ترد على قلبك فلا تجد موضعا
لاستقرارها لما غلب عليه من رعونات البشرية واستحكم فيه من صور الاثار الكونية فلا تحل
من حيث نزلت لانها مقدسة مطهرة فان اردت حلول الانوار فيه وتجلي المعارف والاسرار له
ففرغه من الاغيار وامح عنه صور الاثار قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وان الله لمع المحسنين وقد تقدم من كلام المولف رحمه الله كيف يشرق قلب صور الاكوان
منطبعة في مراته لا تستبطئ منه النوال ولكن استبطئ من نفسك وجود الاقبال تقدم
التنبيه على هذا المعنى منه قوله لا تطالب ربك بتاخير مطلبك ولكن طالب نفسك بتاخير
ادبك والعبارتان متفقتان معنى وان اختلفتا لفظا حقوق في الاوقات وحقوق
للاوقات حقوق في الاوقات يمكن قضاوها وحقوق الاوقات لا يمكن قضاوها اذ ما من
وقت يرد الا ولله عليك فيه حق جديد وامر اكيد فكيف تقضي فيه حق غيره وانت لم
تقض حق الله فيه الحقوق الكاينة في الاوقات هي وظايف العباد للتاقل الظاهرة من
صلاة او صيام وغيرها فمن فاته شيء منها في وقته المعين له امكنه قضاوه في وقت اخر
اذ قد جعل له في ذلك مجال الواجب فيستدرك فيه ما يفوته من تلك الحقوق والحقوق
المضافة الى الاوقات هي المعاملات الباطنة التي يقتضيها احوال العبد وواردات تغلبه
المتلونة عليه ودوقته كل عبد ما هو عليه من ذلك فالعبد مطالب بحقوق جميع ذلك عند
وروده عليه ان لله تعالى على كل عبد عند كل حال يحل به او وارد يرد عليه حق جديد وامر
اكيد ولا يسعه الا ان يوفيه اذ ذاك فانه لم يجد مجالا لقضايه ولا يمكنه ذلك فعلى العبد
ان يكون مراقبا لقلبه حتى يقوم بمراعات تلك الحقوق التي لا يمكنه قضاوها ان فاتت
قال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه اوقات العبد اربعة لا خامس لها النعمة
والبلية والطاعة والمعصية ولله عليك في كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه
الحق منك بحكم الربوبية فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله
عليه ان هداه لها ووفقه للقيام بها ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو
فرح القلب بالله ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا بالقضاء والصبر والرضا رضى النفس
عن الله والصبر مشتق من الاصبار وهو الغرض للسهام وكذلك الصابر ينصب نفسه
غرضا لسهام القضاء فان تبتلها فهو صابر والصبر ثبات القلب بين يدي الرب وفي الخبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعطي فشكر وابتلي فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر ثم سكت
صلى الله عليه وسلم فقالوا له ماذا يا رسول الله فقال اولئك لهم الامن وهم مهتدون اي لهم الامن في الاخرة

وهم مغترون في الدنيا ماذا تكسب من عمرك لا عوض له وما حصل لك منه لا قيمة له عمر
العبد ميزان لا يكافيه الصالحة المقربة له من الله تعالى والموجبة له جزيل الثواب في الدار
الاخرة وهذه هي السعادة التي لها يكدح العبد ويسعى من اجلها وليس له منها الا
ما سعى كما قال وان ليس للانسان الا ما سعى فكل جزء يفوته من العمر خاليا من عمل
صالح يفوته من السعادة بقدره ولا عوض له منه قال الجنيد رضي الله عنه الوقت
اذا فات لا يستدرك وليس شي اعز من الوقت وكل جزء يحصل له من العمر خال من ذكر
يتوصل به الى ملك كبير لا يفني ولا قيمة لما يوصل الى ذلك لانه في غاية النفاسة ولاجل هذا
عظمت مراعاة السلف الصالح رضي الله عنهم لانفاسهم ولحظاتهم وبادروا الى اغتنام ساعاتهم
واوقاتهم ولم يضيعوا اعمارهم في البطالة والتقصير ولم يقنعوا من انفسهم لمولاهم الا بالجد
والتشمير وقد قال امير المومنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه بقية عمر المومن ما لها
ثمن يدرك فيها ما فات ويحيي بها ما مات وقد نظمه بعض الشعرا فقال بقية العمر عندي ما لها ثمن
وان غدا غير محسوب من الثمن يستدرك المرء فيها ما فات ويمحو السوء بالحسن
وقال رجل لعامر ابن عبد الله ابن قيس رضي الله عنه وهو يريد الجمعة قف حتى اكلمك فقال لولا
اني ابادر لوقفت عليك قال له وما تبادر قال ابادر خروج روحي وقال الحسن البصري رضي الله
عنه ادركت اقواما كانوا على ساعاتهم اشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم يقولون كما لا يخرج احدكم
دينارا ولا درهما الا فيما يعود عليه نفعه وكذلك لا يحبون ان يخرج ساعة من اعمارهم الا
فيما يعود عليهم نفعه وقال السري السقطي رضي الله عنه خرجت من بغداد اريد الرباط
لاتعبد ان اصوم فيها رجب وشعبان فاتفق في طريقي علي الجرجاني وكان من الزهاد
العباد فدنى وقت افطاره كان معي ملح مدقوق واقراص فقال لي كل مدقوق دع الالوان
من الطعام لن تفلح ولن تدخل سنن المحبين فنظرت الى مزود كان معه فيه سويق الشعير يستف
منه فقلت ما دعاك الى هذا قال حسبت بين السف والمضغ سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز
منذ اربعين سنة وفي الخبر ما من ساعة تاتي على العبد لا يذكر الله فيها الا كانت عليه حسرة
ويقال ان العبد يعرض عليه ساعاته في اليوم والليلة فيراها خزاين مصفوفة اربعا وعشرين
خزانة فيرى في كل خزانة نعيما ولذة وعطا وجزا لما كان اودع خزاينه من ساعاته في الدنيا من
الحسنات فيسره ذلك ويغتبط به فاذا مرت به في الدنيا ساعة فيسوؤه ذلك ويتحسر كيف فاته
حين لم يدخر فيها شيا فيرى خزانا مدخورا ثم يلقي في نفسه الرضا والسكون وجا في الخبر
ان اهل الجنة بينما هم في نعيم اوسطع لهم نور من فوقهم اضات منه منازلهم كما تضي الشمس
لاهل الدنيا فنظروا الى رجال من فوقهم اهل عليين يرونهم كما يرى الكوكب الدري في افق السما
وقد فضلوا عليهم في الانوار والجمال والنعيم كما فضل القمر على ساير النجوم فينظرون اليهم يطيرون

على جنب تستريح بهم في الهوى يزورون ذا الجلال والاكرام فينادون هولا يا اخواننا ما انصفتمونا
كنا نصلي كما تصلون ونصوم كما تصومون فما هذا الذي فضلتم به علينا فاذا النداء من قبل الله
تعالى انهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويعطشون حين تروون ويعرون حين
تلبسون ويذكرون حين تكسلون ويبكون حين تضحكون ويقومون حين تنامون
ويخافون حين تامنون فلذلك فضلوا عليكم اليوم وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما
اخفي لهم من قرة اعين جزا بما كانوا يعملون وقال ابو علي الدقاق رضي الله عنه راي بعضهم
مجتهدا فقيل له في ذلك فقال ومن اولى مني بالجهد وانا اطمع ان الحق بالابرار الاكابر من
السلف قال الله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وفي معناه انشدوا
السباق السباق قولا وفعلا حذر النفس حسرة المسبوق ما احببت شيا الا كنت له
عبدا وهو لا يحب ان يكون لغيره عبدا المحبة للشي تقتضي الانقياد له وشدة التعلق
به وان لا يبغي به بدلا كما قيل حبك للشي يعمي ويصم وذلك معنى استعباده للمحب له
فمن احب غير الله عز وجل فقد استعبده ذلك الغير كاين ما كان والله تعالى لا يحب ان يكون
لغيره عبدا ولا يرضى بذلك تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم والخميصة والقطيفة
والزوجة قال محمد ابن الضحاك رحمه الله تعالى كتب الي اخ ان استطعت ان لا يكون
لغير الله عبدا اما وجدت مس العبودية بدا فافعل وقال الجنيد رضي الله عنه انك لن
تكون به على الحقيقة عبدا وشي مما دونه لك مسترق وانك لن تصل الى صريح الحرية
وعليك من حقيقة عبوديته بقية وسيل عمن لم يبق عليه من الدنيا الا مقدار
مص نواة فقال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم ومن الحكايات في هذا المعنى
ما ذكر ان عبد الله الرازي تربي بنيسابور قال كسا في ابن الانباري صوفا ورايت
على راس الشبلي قلنسوة تليق بذلك الصوف فتمنيت في نفسي ان يكونا جميعا لي فلما قام الشبلي
من مجلسه التفت الي فتبعته وكان عادته اذا اراد ان اتبعه ان يلتفت
الي فلما دخل داره دخلت فقال انزع الصوف فنزعته وطرح القلنسوة عليه ودعا بنار
فاحرقها ومثل هذا مما كان ينكره من لم يعرف مقصدهم في ذلك شي كثير وورد عنه
لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك فانما امرك بهذا ونهاك عن هذه لما يعود عليك
الحق تعالى غني عن اعمال العاملين لانه منزه عن الاعواض والاغراض فلا تنفعه
طاعتك ولا تضره معصيتك وانما امرك ونهاك لما يعود عليك من المصالح
والمنافع في الدارين لا غير وذلك على سبيل التفضل منه من غير ايجاب عليه وقد
تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة

بالمسلسل قال في لطايف المنن اعلم رحمك الله ان الله تعالى لم يامر العباد بشي وجوبا
او يقتضيه منهم ندبا الا والمصلحة لهم في فعل ذلك الامر ولم يقتض منهم ترك شي تحريما او كراهة
الا والمصلحة لهم في ترك ما امرهم بتركه وجوبا او ندبا ولسنا نقول كما قال من عدل به عن
طريق الهدى انه يجب على الله رعاية مصالح عباده بل انما نقول ذلك عادة الحق
وشرعته المستمرة فعلها مع عباده على سبيل التفضل فليت شعري اذا قالوا يجب
على الله رعاية مصالح عباده فمن هو الموجب عليه ثم انا نظرنا فراينا كل ما هو مامور
به او مندوب اليه يستلزم الجمع على الله وكل منهي عنه او مكروه يتضمن التفرقة عنه
فاذا اسطلوبا لله من عباده وجود الجمع عليه لكن الطاعات هن اسباب الجمع ووسايله
فلذلك امر بها وللمعصيه هن اسباب التفرقة ووسايلها فلذلك نهى عنها انتهى
لا يزيد في عزه اقبال من اقبل عليه ولا ينقص من عزه ادبار من ادبر عنه عزة الله تعالى
صفة من صفات ذاته وصفاته في غاية الكمال والتمام فهي منزهه عن الزيادة والنقصان ونسبة
العلا وقال رضي الله عنه اعلم وفقك الله وصولك الى الله وصولك الى العلم به والا فجل ربنا ان
يتصل به شي او يتصل بشي الوصول الى الله تعالى الذي ينتهي اليه اهل هذه الطريقه هو
الوصول الى العلم الحقيقي بالله تعالى وهذا هو غاية السالكين ومنتهى سير السايرين واما
الوصول المفهوم بين الذوات فهو متعال عنه قال الجنيد رضي الله عنه متى يتصل من لا
شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير هيهات هذا الظن عجيب الا بما لطف اللطيف
من حيث لا درك ولا وهم ولا احاطه الا اشارة اليقين وتحقيق الايمان قال الشيخ ابو حفص
عمر ابن محمد عبد الله السهروردي صاحب كتاب عوارف المعارف واعلم ان الاخبار
والمواصله اشار اليهما الشيوخ وكل من وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان
فهو رتبة في الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الافعال وهو رتبة التجلي في
يفني فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله تعالى ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار
وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يقف في مقام الهيبة والانس بما يكاشف قلبه من مطالعة
الجلال والجمال وهذا تجلي بطريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من يرقى الى مقام الفنا مشتملا
على باطنه انوار اليقين والمشاهده مغيبا في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي
الذات لخواص اليقين وهذا رتبة في الوصول وفوق هذا رتبة حق اليقين ويكون من ذلك
في الدنيا لمح وهو سريان نور المشاهده في كلية العبد حتى يحظى بها روحه وقلبه ونفسه
حتى قالبه وهذا من اعلا رتب الوصول فاذا تحققت الحقايق يعلم العبد مع هذه الاحوال
الشريفه انه في اول المنازل فاين الوصول هيهات منازل طريق الوصول لا ينقطع ابدا

الاباد

الاباد في عمر الاخره الابدي فكيف في عمر القصير الدنيا ويقرب منه ان تكون شاهدا القربه ولا
فمن اين تشعر وجود قربه القرب الحقيقي قرب الله منك فان الله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني
قريب وقال تعالى ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون وقال تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
وحظك من ذلك انما هو منشاهدتك لقربه فقط فتستفيد بهذه المشاهده نتيجة المراقبه
وغلبة الهيبه والتادب بادب الحضره واما انت فلا يليق بك الا وصف العبد وشهوده
من نفسك كما يقوله المولف بعد هذا الهي ما اقربك مني وما ابعدني عنك الحقايق ترد
في حال التجلي مجمله وبعد الوعي يكون البيان فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه
حقايق العلوم اللدنية التي يقذفها الحق تعالى في اسرار العارفين عند براتهم من العيوب
وتحررهم من رق الاشيا وتعرضهم بالالتجا والافتقار لما ينفح عليهم المولى بكرمه الحق تعالى
بها تحقيقا لوعده لهم من غير تعلم ولا دراسه وعند ورودها عليهم وتجليها لهم تكون
مجمله لا تتبين لهم معانيها ولا يدركون جهة حقيقتها فاذا وعوها وتمرنت
فيها اذهانهم بالاعتبار والتامل تبين لهم معناها وظهر لهم موافقتها لما بايديهم من العلوم
العقليه والنقليه من غير مخالفة حتى ان بعضهم ربما يجري على لسانه وبنانه كلاما
كثيرا من غير ان يلقي له بالا فاذا فرغ من ذكره او رسمه يتصفحه ويتامله فيجده صحيحا
مستقيما وقد اخبرني بنحو ذلك من له قدم صدق في هذه الطريقه عن نفسه
قال الامام ابي القاسم القشيري اصحاب الحقايق يجري عليهم النص بوعليهم شي لا علم لهم
به على التفصيل وبعد ذلك يكشف لهم وجهه فربما يجري على لسانهم شي لا
يدرون وجهه ثم بعد فراغهم عن النطق به يظهر لقلوبهم برهان ما قالوه
من شواهد العلم اذا تحقق ذلك يجريان الحال في تاني الوقت انتهى كلام الامام ابي
القاسم وهو موافق لما ذكره المولف رحمه الله تعالى علم وكانهما اشارا بذلك الى
المساله المتعارفه بينهم من موافقة الحقيقه الشريعه وقد عبروا عن ذلك
بعبارات فقد سيل عبد الله ابن طاهر الابهري عن الحقيقه فقال الحقيقه كلها
علم فسيل عن العلم فقال العلم كله حقيقه وقال الشبلي الالسنه ثلاثة لسان علم
ولسان حقيقه ولسان حق فلسان العلم ما يودي الينا بالوسايط ولسان
الحقيقه ما اوصله الله الى الاسرار بلا واسطه ولسان الحق ليس اليه طريق وقال
رويم اصلح الحقايق ما قارن العلم وقال ابو بكر الزقاق كنت في تيه بني اسرايل فوقع
في قلبي ان علم الحقيقه يخالف الشريعه فاذا شخص تحت شجره ام غيلان
صاح بي وقال يا ابا بكر كل حقيقه تخالف الشريعه فهي كفر واشارة المولف رحمه الله

تعالى بالاية الكريمه في ذكرها الى هذا المعنى بعينه متى وردت الواردات الالاهيه اليك هدمت
العوايد عليك ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها الواردات الالاهيه على العبد تمحو عنه
جميع رعوناته وتهدم عليه مستمر عاداته ولها سلطنة عظيمه على ذلك فاذا وردت على قلب
مسجون بانواع الحجاب شوا الدليل ازالت ذلك ثمرة وانبتت عوضا من ذلك احوالا
عليه واوما فارضيه انشد سيدي ابو العباس المرسي في هذا المعنى لو عاينت عيناك حين تزلزلت
ارض النفوس ودكت الاجبال لرايت شمس الحق يسطع نورها حين التزلزل والجبال رجال
الارض ارض النفس والجبال العقل والشمس شمس المعرفه والاشارة بالاية الى هذا المعنى بعينه
الوارد ياتي من حضرة قهار لاجل ذلك لا يصادمه شي الا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فاذا هو زاهق الوارد موسوم بسمة القهر والغلبة لوروده من حضرة القهار
الغالب على امره لاجل ذلك لا يصادمه شي من رعونات البشريه الا دمغه وازاله وهو
ايضا حق ورد على الباطل والباطل لا يثبت له مع الحق والاشاره بالايه الى هذا المعنى
بعينه كيف يكون تحجب الحق بشي والذي تحجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر
قد اشبع المولف رحمه الله الكلام على هذا المعنى في اول الكتاب بما ياتي فيه بالعجب العجاب
وقد نبهنا عليه هناك لا تيئس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور فربما قبل من العمل
ما لم تدرك ثمرته عاجلا العمل الا يجد صاحبه حضورا فيه ينبغي له ان لا ييأس من قبوله
فان ذلك الى الله تعالى فقد يقبل من العمل ما لم يدرك ثمرته عاجلا من وجود حضور او حلاوة
او غير ذلك ولو لم يكن الا فقده التقرب به وسقوطه عن نظره وقد تقدم التنبيه
على هذا المعنى عند قوله لا عمل ارجى للقلوب [illegible] لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته فليس المراد من
السحابة الامطار وانما المراد منها وجود الاثمار الوارد مراد الثمرة لا لوجدان حظ نفسه
فيه كما ان السحابه مراده لوجدان الاثمار الذي قتضاه وجود امطارها لا لمجرد وجود امطارها
وثمرة الوارد انما هو تاثير التقلبه وتبدل صفاته المذمومه بصفات محموده كما تقدم فان
لم يعلم وجود هذا منك فلا تزكي الوارد ولا تفرح به فان في ذلك نوعا من الاغترار والخداع بلبسه
الاظهار ولكن على حذر منه لا تطلبن بقا الواردات بعد ان بسطت انوارها واودعت
اسرارها فلك في الله غنى عن كل شي وليس يغنيك عنه شي انوار الواردات المبسطه
على العبد هي تكيف ظاهره وباطنه بكيفيات العبوديه واسرارها المودعه فيه ما لاح له
من عظمة الربوبيه فاذا ادرك الوارد هذه الفوايد فلا تطلبن بقاه في حال كونه ولا تاسى على فقده
ان افتقدته فان لك في الله غنا عنه وعن غيره وليس لك غنى عن الله تعالى في شي من الاشيا
قال الشاعر لكل شي اذا فارقته عوض وليس لله ان فارقته من عوض

قال ابو العباس

قال ابو العباس ابن عطا الله اياك ان تلاحظ مخلوقا وانت تجد الى ملاحظة الحق سبيلا ويدخل في
هذا المعنى الذي ذكره ابن عطا الله جميع الاغيار والانوار والمقامات والاحوال الدنيا والاخرة
والنعم الظاهره والباطنه فلا يلاحظ شيا من ذلك فلا تركن اليه ولا تعتمد عليه نفيا او ذهب
فان ذلك قادح في اخلاص التوحيد قال في التنوير واعلم ان البارى سبحانه انما يدخلك في
الحال لتاخذ منها لا لتاخذ منك وانما جاءت تجلي هوية التعريف من الله اليك
فيها متوجه اليها باسمه المبدي فابداها وانباها حتى اذا وصلت اليك ما كان لك
فيها فلما ادت الامانة توجه اليها المعيد فارجعها وتوفاها فلا تطلبن بقا رسول
بعد ان بلغ رسالته ولا امين بعد ان بلغ امانته وانما يقتضي المدعون بزوال الاحوال
وتعززهم عن مراتبها الا ترى انها كلتبدو العوارض وتنهتك الاستار فكم من مدعي العز
بالله وانما اعتزازه بمنزلته ووصوله على الخلق معتمدا على ما تبدلت عنده من معرفته
فكن عبدا لله لا عبدا للعلل كما كان الله ربا ولا علة فكن عبدا له ولا علة لتكون
كما كان لك انتهى قال سيدي ابو العباس رضي الله عنه عبد هو في الحال بالحال وعبد
هو في الحال بالمحول فالذي هو في الحال بالحال عبد الحال والذي هو عبد في الحال بالمحول عبد
المحول وامارة من هو في الحال بالحال ان ياسى عليها اذا فقدها ويفرح بها اذا وجدها
والذي هو في الحال بالمحول لا يفرح بها اذا وجدها ولا يحزن عليها اذا افتقدها [illegible] الاشارات
عن الله سبحانه وتعالى لا تركن الى شي دونه [illegible] الكفان ركنت الى
العلم تتبعناه عليك وان اويت الى العمل رددناه عليك وان وثقت بالحال وقفناك
معه وان انست بالوجد استدرجناك فيه وان لحظت الى الخلق وكلناك اليهم وان
اغتررت بالمعرفه نكرناها عليك فاي حيلة لك واي قوة معك فارضنا لك ربا حتى
نرضاك لنا عبدا تطلعك الى بقا غيره دليل على عدم وجدانك له استيحاشك لفقدان
ما سواه دليل على عدم وصلتك به وجود العبد لربه ووصوله اليه هو غاية مطالبه
ومنتهى اماله وما ربه به يفوز بالنعيم ويحظى بالملك العظيم وعند ذلك ينسى كل محبوب
ويلهى عن كل مفروح به ومرغوب وهذه هي صفة اهل التفريد الذين استهتروا في
ذكر الله المجيد كما روي عن ابي عبيدة البسري رضي الله عنه قال سالت رجلا بالشام
ما الذي اجلسك في هذا الموضع فقال الجما سوالك عن شي ان طلبته لم تدركه
وان لحقته لم تقع عليه قلت تخبرني ما هو قال علمي بان محبة الله تستغرق نعيم
الجنان ثم قال والاه قد كنت اظن ان نفسي ظفرت بشي من الخلق [illegible] اذا انا كذاب
في مقالتي لو كتمته سيجاله ما ذنبا ما اطلع على احد فقلنا ما علمنا ان المحب خلقا الله

في ارضه مستأنسون بخلقه يبعثونهم على طاعته نصاح صيحة ونادى يا مخدوع لو شممت
رائحة الجنة عاين تلك ما وراء ذلك من الغيوب ما احتجت الى ترك نوم ما رايتهم قال اما سمعت
وبالارض اشهد انه ما خطر على قلبي ذكر الجنة والنار وانما كنت اتعاهد
له كلاما بعدها وخفت ان يسبق الى الظن من الناس من قلة شيء فقال انتم قال نحن لله ما
ومضيت فبينما انا على ذلك اذا انا بجماعة فقالوا ما فعل هذا الفتى فكنت تركته
فقالوا ارجع فان الله قد قبضه فصليت معهم عليه فقلت لهم من هذا الرجل ومن
انتم قالوا اوتحك هذا رجل له كان يخطر المطر قلبه على قلب ابراهيم الخليل عليه اما رايته نحا
عن نفسه ان ذكر الجنة والنار ما خطرا على قلبه فهل كان احد هكذا الا ابراهيم الخليل
عليه السلام فقلت من انتم قالوا نحن السبعة المخصوصون من الابدال فقلت علموني
شيئا قالوا لا تحب ان تعرف ولا تحب ان يعرف انكم من لا تحب ان تعرف في مثل
هذا الحال انشدوا كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت مذ راتك النفس اهوائي

فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

وقد سئل ابو سليمان الداراني عن اقرب ما يتقرب به العبد الى الله تعالى فقال
اقرب ما يتقرب به العبد اليه ان يطلع الله على قلبه وهو لا يريد من الدنيا والاخرة
غيره فهذه هي العلامة الصادقة والدلالة القاطعة على التحقيق بهذا المقام الحقيقي فان
كان له شعور بشيء من الاغيار المحبوبة تتطلع الى بغائها او استوحش لفقدانها
فذلك دليل على عدم تحققه بذلك فليعرف منزلته وحده وليجعل في تصحيح هذا المقام
جهده وبالله تعالى عنه النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو لشهوده واقترابه
والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو لوجود حجابه فسبب العذاب وجود الحجاب
وتمام النعيم بالنظر الى وجهه الله الكريم مظاهر النعيم المتنوعة هي ما ورد من
انواع الثواب في الدار الاخرة من الحور والقصور والولدان والغلمان والماكل والمشارب
والملابس الى غير ذلك من انواع المسرات واللذات ومظاهر العذاب المتنوعة هي ما
ورد من انواع العقاب والسلاسل والاغلال والانكال الى غير ذلك من انواع الالام والعقوبات
وليس وجود النعيم والعذاب بسبب وجود ذوات هذه الاشيا ومباشرتها للمنعم
والمعذب وانما ذلك لما تضمنته وظهر بها من وجود قرب الله تعالى وشهوده للمنعم
ووجود حجابه واعراضه عن المعذب فهذان الامران بهما يقع النعيم والعذاب
على التحقيق فتجد القلوب من الهموم والاحزان لاجل ما تعتبر من وجود العيان

وجدان

وجدان الهموم والاحزان الدنياوية والاخراوية من تتابع روية النفس واعتبارها وبقا حظها
وهو الذي منع العيص وجود العيان فلو تذنى من روية نفسه وذهب عن مراعات حظه
لظفر بوجود العيان ولم يكن له هم ولا حزن البتة بل لا يكون منه الا حبور دايم الفرح والسرور
كما قال تعالى لا تحزن ان الله معنا فالمعية المذكورة لا يجتمع معها حزن وهي ما قلناه من
وجود العيان والعيان والله اعلى درجة فوق درجة اليقين كما قال الشاعر كبير العيان على حتى انه
صار اليقين من العيان توهما قال الشبلي رضي الله عنه من عرف الله تعالى لا يكون له غم ابدا
وقيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ان محبتي في خلقي ان يكونوا روحانيين
والروحانية على هوان لا يغتموا واذا اصبح قلوبهم يا داود ولا تمزج الهم بقلبك فينقص ميراث
حلاوة الروحانيين وسياتي من كلام المولف رحمه الله اوحى الله الى داود عليه السلام في الفرح
وبذكري فتنعم فبا ستنارة القلب بنور المعرفة واحتظابه بوجود العيان والروية
يخرج منه الهم ويحل محل الروحانية على ان في وجود الهموم والاحزان لمن لم يبلغ هذا
المقام اذا لم يقدر على دفعها عن نفسه فوايد جزيلة فلا ينبغي ان يستحقر من قبل
انها موجبة لخمود النفس وصفا القلب وزوال الاشر والبطر والفرح بالاشياء هي كفارة
ان كانت في الامور الاخراوية والهم متعلق بما يكون في المستقبل والحزن بما كان متعلق
في الماضي من تمام النعمة عليك ان يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك وجدان الكفاية
من الرزق وعدم الزيادة عليها والنقصان منها من نعم الله تعالى التامة الكاملة
على العبد لما له في ذلك من حصول جميع المصالح الدينية والدنياوية اما مصالح الدين في عدم
الزيادة على الكفاية فظاهر اذ لو وجدها ربما اوجبه ذلك طغيانا كما قال تعالى كلا ان الانسان
ليطغى ان راه استغنى والاستغنا هو وجود الزيادة على الكفاية وهو سبب الطغيان
والطغيان اصل كل معصية لله عز وجل وقصة ثعلبة ابن حاطب حين طلب الدعا من
النبي صلى الله عليه وسلم ان يرزقه مالا وما الت اليه امره امر مشهور وقال سعد ابن
ابي وقاص رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير الرزق ما يكفي وخير
الذكر الخفي وفي حديث ابي الدردا رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ما طلعت شمس ولا غربت الا بجنبيها ملكان يناديان يسمعان
الخلايق غير الثقلين ايها الناس هلموا الى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر والهى
اوكما قال صلى الله عليه وسلم واما مصالح الدنيا في ذلك فسياتي التنبيه عليه
في قول المولف رحمه الله ليقل ما يفرح به يقل ما يحزن عليه واما مصالح الدين
عند وجود الكفاية وعدم النقصان منها فمن اجل توصله بذلك الى الاستعانة

بها على الطاعة لله تعالى ولاجل ذلك عظمت النعمة بها على العبد الا الله تعالى وابتغ فيما
اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس نصيبك من الاخرة ان
يتوصل اليه بما اتاك الله من الدنيا واما مصالح الدنيا في ذلك فظاهر لا يحتاج الى تنبيه
عليه اذ بذلك يحصل له طيب العيش وراحة القلب والبدن وصيانة الوجه عن ذل
المسألة عند وجود الحاجة والفاقة فعلى العبد ان يشكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة
ويقنع بما اباح له من هذه المنة الجسيمة فيستعجل بذلك راحة نفسه والاستغناء عن
بني جنسه ويحصل له بذلك حلاوة الزهد في الامور العاجلة وتجافي القلب عن زهراتها
فان طلب الزيادة من الدنيا ولم يقنع بما قسم له منها خيف عليه من اقتحام المهالك
اذ يجره الحرص والطمع الى ذلك قال بعض العارفين كل من لا يعرف قدر ما زوي عنه من
الدنيا ابتلي باحد وجهين اما بحرص مع فقر ينقطع به حسرات او رغبة في غنى ينسيه
شكر ما انعم عليه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الغنى عن كثرة
العرض انما الغنى غنى النفس وغنى النفس عن الدنيا شرف الاولياء المخلصين وعن اهل
التقوى من المومنين المحسنين ولقد صدق الشاعر غنى النفس ما يكفيك من سد خلة
فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا يحكى عن بنان الحمال انه قال كنت قاعدا بالمسطر وجا على
باب بني شيبة سبعة ايام لم اذق شيئا فنوديت في سري يا بنان من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه
اعمى الله عين قلبه وقال عبد الواحد ابن زيد كنت في خراب الايلة جارية مجنونة تنطق بالحكمة
فلم ازل اطلبها حتى وجدتها في خربة جالسة على حجر وعليها جبة صوف وهي محلوقة الراس فلما
نظرت الي قالت من غير ان اكلمها مرحبا بك يا عبد الواحد فقلت لها رحمك الله بكم عرفتني
من معرفتها بي ولم تري قبل ذلك فقالت الذي جاء بك ها هنا قلت جئت لتعظيني فقالت
واعجبا لواعظ ثم قالت يا عبد الواحد اعلم ان العبد اذا كان في كفاية ثم مال الى الدنيا سلبه
الله حلاوة الزهد فيظل حيران والها فان كان له عند الله تعالى نصيب عاتبه وحيا في سره
فقال عبدي اردت ان ارفع قدرك عند ملائكتي وحملة عرشي واجعلك دليلا لاوليائي واهل
طاعتي في ارضي فاشتغلت بعرض من اعراض الدنيا وتركتني فاورثتك بذلك الوحشة بعد الانس
والذل بعد العز والفقر بعد الغنا ارجع الى ما كنت عليه ارجع لك الى ما كنت تعرفه
من نفسك قال ثم تركتني ومضت وتركت في قلبي حسرة منها وفي بعض الكتب ان اهون
ما اصنع بالعالم اذا مال الى الدنيا ان اسلبه حلاوة مناجاتي وذكر ابو ابراهيم اسحاق ابن
ابراهيم التجيبي القرطبي المالكي في كتاب النصائح له عن ابي عبد ربه الشامي ثم الدمشقي انه
كان من اكبر اهل دمشق مالا فخرج مسافرا فامسى الى جانب نهر ومرعى فنزل به قال فسمعت

صوتا

صوتا يكثر حمد الله تعالى في ناحية المرج فاتبعته فوافيت رجلا ملفوفا في حصير فسلمت
عليه فقلت له من انت يا عبد الله فقال رجل من المسلمين فقلت ما حالك هذه فقال حال نعمة
يجب علي حمد الله عليها فقلت وكيف وانما انت في حصير فقال وما لي لا احمد الله وقد
خلقني فاحسن خلقي وجعل منشاي ومولدي في الاسلام والبسني العافية في اركاني
وستر علي ما اكره ذكره ونشره فمن اعظم نعمة ممن امسى في مثل ما انا فيه فقلت له
ان رايت رحمك الله ان تقوم معي الى المنزل فانا نزول على النهر ها هنا فقال ولم قلت
ليصيب من الطعام ونعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير قال ما لي فيه حاجة فراودته
على ان يتبعني فابى فانصرفت وقد تقاصرت الي نفسي ومقتها اذ لم اخلف رجلا
بدمشق يكاثرني في غنى وانا التمس الزيادة فقلت اللهم اني اتوب اليك من سوء ما انا
فيه فبت ولم يعلم اعواني بما اجمعت عليه فلما كان السحر رحلوا كنحو رحلتهم
فيما مضى وقدموا الدواب فصرفتها الى دمشق فقلت ما انا بصادق في التوبة
ان مضيت الى متجري فسالني القوم فاخبرتهم فعاتبوني على المضي فابيت
فلما قدم دمشق وضع يده يتصدق بماله فما زال ينفقه في سبل الخير حتى
افتقر فما وجدوا عنده الا قدر ثمن الكفن زاد غير ابي ابراهيم وكان يقول ابو عبد
ربه المذكور والله لو ان نهركم يعني نهر دمشق سال ذهبا ما خرجت اليه
ولا اخذت شيئا منه ولو قيل لي من مس نهر العمود مات لمشيت اليه رغبة
شوقا الى الله ورسوله لثقل ما تفرح به بثقل ما تحزن عليه ذو المواساة هم
عند العقلاء من جلب المصالح فمن زوى الله تعالى عنه فضول الدنيا
ورضي بذلك وقنع منها باليسير ولم يطلع الى زيادة من مال او جاه فهو
كامل العقل حسن النظر لنفسه لانه دفع عن نفسه مفسدة وجود
الحزن بتركه لما يفيد حصول مصلحة الفرح الذي يزول عن قرب واعتاض
من ذلك الراحة الدائمة كما قيل ومن سره ان لا يرى ما يسوؤه
فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا فان صلاح المرء يرجع كله
فسادا اذا الانسان جاز به الحد وقيل لبعضهم لم لا تغتم فقال لاني لم
اقتن ما يغمني فقده فالمفروح به هو المحزون عليه ان قليلا فقليل وان
كثيرا فكثير كما قيل على قدر ما تولع بالشيء حزنه ويصعب نزعه
يحكى انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجوهر لم ير له نظير ففرح
الملك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال اراه مصيبة

ومفقودًا اما وكيف ذلك فقال ان انكسر كان مصيبة لاجبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة والفقر فانفق انه انكسر انفدح يوما فعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وامثال هذه المصيبة او اعظم منها نازل بكل من له علاقة بشي من اسباب الدنيا فانها ان لم يوخذ منها بغصب او سرقة او جايحة نازلة فلابد ان يوخذ هو عنها بالموت الهادم للذات المنغص للشهوات فان كان له الف محبوب مثلا نزلت به عند الموت الف مصيبة في وقت واحد لانه كان يحبها كلها وقد سلبت منه في كرة واحدة ولذلك كان الزهد في الدنيا من ثمرات العقل قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه للعقل الف اسم ولكل اسم منه الف اسم واول كل اسم منه ترك الدنيا وقال الحسن رضي الله عنه كيف يسمى عاقلا وهو يمسي ويصبح في الدنيا وهمه اهلها في المطاعم والمشارب والملابس والمراكب اولئك هم الخاسرون فاولئك هم الغافلون واولئك هم الجاهلون وانشدوا ايها الراتع في دنيا التعب طائح موجه فلا تامن لها وسبيل التي تذهب فيها مصيبي وان من حسرتها اذا ادبرت والعاقل لا يركن الى شي اذا اقبل كان شغلا واذا ادبر كان حسرة وقد قيل في معناه ومن يحمد الدنيا لشي يسره فسوف لعمري عن قليل يلومها اذا ادبرت كانت على المرء حسرة وان اقبلت كانت كثيرا همومها وقيل لابي القاسم الجنيد رضي الله عنه متى يكون الرجل موصوفا بالعقل قال اذا كان للامور مميزا لها متصفحا وعما يوجبه عليه العقل باحثا يلتمس بذلك طلب الذي هو اولى ليعمل به ويوثره على ما سواه فاذا كان كذلك فمن صفته ركون الفضل في كل احواله بعد احكام العمل بما فرض عليه وليس من صفة العقلا اغفال النظر لما هو احق واولى ومن صفته الرضى بالقصور والتقصير لمن كانت هذه صفته بعد احكامه لما يجب عليه ترك التشاغل بما يزول وترك العمل بما يغنيه وينقضي وذلك صفة كل ما حوت عليه هذه الدنيا وكذلك لا يرضى ان يشغل نفسه بقليل زائل ويسير حائل بهذه التشاغل به والعمل له عن امور الاخرة التي يدوم نعيمها ونفعها ويتابد سرورها ويتصل بقاوها وذلك ان الذي يدوم نفعه ويبقى على العامل له حظه وما سوى ذلك ذاهل منه وكمفارق سورونه كان فمع تركه تشو فيه ومحاسبة الله تعالى عليه وكذلك صفة العاقل لتصفحه الامور بعقله والاخذ منها العاقبة الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله باوفره قال الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب نذكر وصفهم الله تعالى بانهم ذوو الالباب ذووا العقول لانهم وقع الينا عليهم بما وصفهم الله به للاخذ باحسن الامور عند استماعها واحسن الامور هو افضلها وابقاها على اهلها نفعا في العاجل والاجل والى ذلك ندب الله عز وجل من عقل في كتابه انتهى كلام

الجنيل

الجنيد رضي الله عنه وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق وفيه مناسبة لما كنا بصدده من التنبيه على ما علم المولف فرأيت ذكرها هاهنا لابنا والله تعالى الموفق للعمل به بمنه اذا اردت ان لا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك هذه من امثلة ما تقدم لان الولاية ما لها الى الحزن بسبب نوع العزل عنها ومقتضى نظر العقل ترك الولاية المفروح بها بفتح في العزل المحزون به اختار عمل البدايات زهد كل النهايات ان دعاك اليها ظاهر نجاك عنها باطن بدايات الامور وظواهرها ترغب الجاهل فيها وتدعوه اليها لانها رايقة الحسن مليحة الظاهر فيغتر الجاهل بذلك فتقوده الى ما فيه ضرره وهلاكه ونهاية الامور وبواطنها تزهد العاقل وتنهاه عنها بما اشهدته من سماجتها وقبح باطنها فيعتبر العاقل بذلك فيهرب منها ويسلم من شرها وقد تقدم هذا المعنى عند قوله الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة قال وهب بن منبه صحب رجل بعض الرهبان سبعة ايام ليستفيد منه شيا فوجده مشغولا عنه بذكر الله تعالى والفكر لا يفتر ثم التفت اليه في اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ما تريد حب الدنيا راس كل خطيه والزهد في الدنيا راس كل خير والتوفيق نجاح كل بر فاحذر راس كل خطيه وارغب في راس كل خير وتضرع الى ربك ان يهب لك نجاح كل بر فقال او لتعرف ذلك فقال الان جديد جلا من الحكما قد شبه الدنيا بسبعة اشيا شبهها بالما المالح يغر ولا يروي ويضر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ويخذل وبالبرق الخلب يغر ولا ينفع وبسحاب الصيف يغر ولا ينفع وبزهر الربيع يغر بنضرته ثم يصفر فتراه هشيما وباحلام النايم يرى السرور في منامه فاذا استيقظ لم يجد في يده شيا الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الذعاف يغر ويقتل فتدبرت هذه الاحرف السبعة سبعين سنة ثم زدت فيها حرفا واحدا فشبهتها بالغول التي تهلك من اجابها وتترك من اعرض عنها فرايت جدي في النوم فقال لي يا بني انت مني وانا منك فقلت فباي شي يكون الزهد في الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالفكر والفكر بالفطنة ثم تفكر الراهب وقال خذها ولا اراك تلقى الا متجردا بفعل دون قول فكان ذلك اخر العهد به وقال محمد بن علي الترمذي لم تزل الدنيا مذمومة في الامم السالفة عند العقلا منهم وطالبوها ممتهنين عند الحكما الماضين وما قام داع في امة الا وقد حذر متابعة الدنيا وجمعها والحب لها الا ترى مومن ال فرعون كيف قال اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد ثم قال انما هذه الحياة الدنيا متاع اي لن تصل الى سبيل الرشاد وفي قلبك محبة الدنيا وطلب لها والحكايا

والاثار في احوال الدنيا وغرورها وشرورها اكثر من ان تحصى ولا شي ابين من ذلك من
قول الله تعالى في صفتها اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم
وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون
حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا
متاع الغرور انما جعلها محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار تزهيدا لك فيها الدنيا وهي
على العبد نعم من الله تعالى عليه لان ذلك بحاله يدعوه الى الزهادة في الدنيا والتجافي عنها
وتصرف عنه وجود الجفاوة والجهالة لاجل تمسكه بالحبال وما يتصوره في الحال
والمالات الموجبة لرغبته فيها وحرصه على نيلها انما هو ما يتوهمه فيها من الحصول
على منيته وبغيته وقضاء غرضه من شهوته ونهمته من غير تكدر ولا تنقص
ولو تصور له حصوله على هذه الاشياء على ما يحبه ويهواه كان ينبغي له ان يرغب عنها
عوضا عن الرغبة فيها ان كان عاقلا لان مآل امرها الى الفناء والزوال والانقضاء
والارتحال وقد قالوا خير لا يدوم خير منه شر لا يدوم وقال الشاعر اشد الغم عندي في سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا ارى الدنيا على من كان فيها تدور ولا تديم عليه حالا
ثم هي تابعة له من سعادة الاخرة والقرب من الله عز وجل الذي هو غاية طلب
الطالبين ونهاية رغبة الراغبين فكيف وهو معرض فيها لانواع المصايب والفجايع
ووقوع الاغيار والاكدار فما من احد فيها الا وهو في كل حال وقت معرض لاسهم
ثلاثة سهم بلية وسهم رزية وسهم منية فاذا نزلت به ذلك عادت النعمة نقمة وانقلبت
الحبرة عبرة وصارت الفرحة ترحة وهكذا شان الدنيا ابدا فلا يفي مرجوها بمخوفها
ولا يقوم خيرها بشرها ولقد صدق الشاعر في قوله ان الليالي لم تحسن الى احد
الا اساءت اليه بعد احسان وصدق ابن الفاسي قال ايا نام خير كيا مان بشره
اولى بنا ما قل منك وما كفى ومن اذا اعطى استرد عطاءه واذا انتقام بداله فتحولا
وقد كتب علي ابن ابي طالب رضي الله عنه الى سلمان رضي الله عنهما انما مثل الدنيا كمثل
الحية لين مسها قاتل سمها فاعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها
ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن اشر ما تكون فيها احذر ما يكون منها
فان صاحبها كلما اطمان فيها الى سرور اشخص منها الى مكروه وقال بعض البلغاء
الدنيا كاحلام المنام وسرورها كظل الغمام واحداثها كصوايب السهام وشهواتها
كشرب السمام وفتنها كالامواج الطوام وقال ابو العتاهية هي الدار دار الاذى والقذى
ودار الفناء ودار الغير ولو نلتها بحذافيرها لمت ولم تقض منها الوطر

ايامن

ايا من يومل طول البقا ... وطول البقا للخلود عليه ضرر
اذا ما كبر وبان الشباب ... فلا خير في العيش بعد الكبر

وانشد ابو منصور الثعالبي رحمة الله عليه في ذم الدنيا

تنح عن الدنيا فلا تخطبنها ... ولا تخطبن قتالة من تناكحا
فليس يفي مرجوها بمخوفها ... ومكروهها اذا تاملت راجح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا ... وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراها زعاف ومركب ... شهي اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يونق الناس حسنه ... ولكن له اسرار سوء قبايح

فاذا علم العبد هذا كله على يقين وتمكن من قلبه غاية التمكن لم يتصور منه مع ذلك
وجود رغبة فيه لانه اذ ذاك يجمع بين خيبتين وخسارتين ويانه المرتنع هو
صفر اليدين من منافع الدارين وذلك هو الخسران المبين قال ابو هاشم الزاهد ان الله
وسم الدنيا بالوحشة ليكون انس المريدين به دونها وليقبل المطيعون اليه بالاعراض
عنها واهل المعرفة بالله من الدنيا مستوحشون والى الاخرة مشتاقون
وقيل اوحى الله تعالى الى الدنيا تضيقي وتشددي على اوليائي وترفهي وتوسعي على اعدائي
تضيقي على اوليائي حتى لا يشتغلوا بك عني وتوسعي على اعدائي حتى يشتغلوا بك عني
ولا يتفرغوا لذكري اعلم انك لا تقبل النصح المجرد ذوقك من ذاقها ما ينسفك
عليك وجود فراقها النصح المجرد لا يقبله الا من لم يستحكم فيه حب العاجلة والانس
بلذاتها الفانية وكان ممن لم يلطخ ظاهره بالفيا واما من رسخت فيه تلك الخبائث
وتمكنت من باطنه وكان لئيم السجية صعب القياده فلا يكفي في هدايته وارشاده من
زيادة على النصح والوعظ وهو وجود ما يقهره ويجبره وليس ذلك الا ما ذكرناه فاعرف قدر
النعمة عليك بذلك واعمل بمقتضاها وسلم لربك في حكمته وقدرته وحسن نظره
وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه
بسلاسل الامتحان العلم النافع الذي ينبسط في الصدر شعاعه ويكشف عن القلب
قناعه العلم النافع هو العلم بالله تعالى وصفاته واسمائه والعلم بكيفية التعبد له والتادب
بين يديه فهذا هو العلم الذي ينبسط في الصدر شعاعه فينشرح وينفسح للاسلام
ويكشف عن القلب قناعه فيزول عنه الشكوك والاوهام وفي حكمة داود عليه السلام
العلم في الصدر كالمصباح في البيت قال محمد ابن علي الترمذي العلم النافع هو الذي تمكن
في الصدر ونوره وذلك ان النور اذا اشرق في الصدر تصورت الامور حسنها وسيئها

ووضع بذلك ظلال في الصدر فهو صورة الامور فياتي حسنها ويجتنب سيئها كذلك
العلم النافع من نور القلب خرجت تلك العلايم الى الصدر وهي علامة الفكر والعلم الذي
قد تعلمه فذلك علم اللسان انما هو شي قد استودع الحفظ والشهوة غاية عليه
قد احاطت به واذ كهنت بظلمتها نوره وقال ابو محمد ابن عبد العزيز المهدوي العلم النافع
هو علم الوقت وصفا القلب والزهد في الدنيا وما يقرب من الجنة وما يبعد على النار
والخوف من الله والرجا فيه واقات النفوس وشروطها وقتها وهو النور المشار اليه انه
نور يقذفه الله في قلب من يشا دون علم اللسان والمنقول والمعقول وقال مالك
ابن انس رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يقذفه الله تعالى في القلوب
وانما منفعة العلم ان يقرب العبد من ربه ويبعده عن روية نفسه وذلك غاية
سعاداته ومنتهى طلبه وارادته قال الجنيد رضي الله عنه العلم ان تعرف ربك
ولا تعد قدرك وهذه عبارة مختصره وجيز جمع فيها رحمه الله مقصود علوم
الصوفية وهو معرفة الله تعالى وحسن الادب بين يديه وهذه هي العلوم التي
ينبغي للانسان ان يستغرق فيها عمره الطويل ولا ينفع فيها الكثير ولا القليل وقد
قال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه من لم يتغلغل في هذه العلوم يعني علوم
الصوفية مات مصرا على الكباير وهو لا يعلم وما سوى هذه العلوم قد لا يحتاج اليها وربما
احتاج لحاجة مدا ومنه عليها وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبر المشهور
عنه من علم لا ينفع ثم ذكر المولف رحمه الله عبارة اخرى في بيان العلم وتعريفه بملازمة
الخشية معه العلوم ما يلزم وجود الخشية لله تعالى لان الله
فقال خير علم ما كانت
عز وجل اثنى على العلما بذلك فقال عز من قايل انما يخشى الله من عباده العلما فكل علم
لا خشية معه فلا خير فيه بل لا يسمى صاحبه عالما على الحقيقة قال الربيع ابن انس
رحمه الله في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما قال من لم يخش الله فليس
بعالم الا ترى ان داود عليه الصلاة والسلام قال ذلكما بك جعلتنا العلم خشيتك
والحكمة الايمان بك فما علم من لم يخشك وما حكمة من لم يومن بكما الى لطايف المنن
مشاهد العلم الذي هو مطلوب الله الخشية لله ومشاهد الخشية موافقة الامر
اما علم يكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لاربابها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع
والادخار والمباهاة والاستكثار وطول الامل ونسيان الاخرة فما ابعد من هذا العلم
علمه من ان يكون من ورثة الانبيا وهل ينتقل الشي الموروث الى الوارث الا بالصفة
التي كان بها عند الموروث عنه ومثل هذه الاوصاف اوصافه من العلما كمثل الشمعة تضي

علي غيرها

علي غيرها وهي تحرق نفسها جعل الله العلم الذي علمه من هذا وصفه حجة عليه وسببا
في تكثير العقوبة لديه وكان سهل ابن عبد الله يقول لا تقطعوا امرا من الدنيا دون الدنيا
الا بمشورة العلما لتحمدوا العاقبة عند الله قيل يا ابا محمد من العلما قال الذين يوثرون الاخرة
على الدنيا ويوثرون الله على انفسهم وقد قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في وصيته وشاور
في امرك الذين يخشون الله تعالى وقال الواسطي رضي الله عنه ارحم الناس العلما لخشيتهم
من الله تعالى واشفاقهم مما علمهم الله عز وجل وقال في التنوير في قوله صلى الله عليه وسلم
طالب العلم تكفل له برزقه اعلم ان العلم حيثما تكرر في الكتاب العزيز او في السنة
انما المراد به العلم النافع الذي يقارنه الخشية ويكتنفه المخافة قال الله تعالى انما
يخشى الله من عباده العلما فبين ان الخشية تلازم العلم وفهم من هذا ان العلما
انما هم اهل الخشية وكذلك قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم والراسخون في العلم وقل رب
زدني علما وقوله صلى الله عليه وسلم ان الملايكة لتضع اجنحتها لطالب العلم
وقوله العلما ورثة الانبيا وقوله هاهنا طالب العلم تكفل الله برزقه انما المراد
بالعلم في هذه المواطن العلم النافع القاهر للهوى القامع للشهوة وذلك تعين
بالضرورة لان كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم اجل من ان يحمل
على غير هذا وقد بينا ذلك في غير هذا الكتاب والعلم النافع هو الذي يستعان
به على طاعة الله ويلزمك المخافة من الله تعالى والوقوف على حدود الله وهو علم
المعرفة بالله ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بما امر الله اذا كان يعلمه لله
انتهى وقد تقدم المعيار الصادق على صحة دعوى العلم والتحلي به عند قوله
اذا التبس عليك امران قال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي كل علم لا يورث صاحبه
الخشية والتواضع والنصيحة للخلق والشفقة عليهم ولا يحمله على حسن
معاملة الله ودوام مراقبته وطلب الحلال وحفظ الجوارح واداء الامانة ومخالفة
النفس ومباينة الشهوات فذلك العلم الذي لا ينفع وهو الذي استعاذ منه
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعوذ بك من علم لا ينفع ووصفه الله تعالى
العلما بالخشية فقال انما يخشى الله من عباده العلما وقال رجل للشعبي ايها
العالم فقال انما العالم من يخشى الله تعالى وقال بعض السلف من ازداد علما
فليزدد وجعا وقال رجل للجنيد رضي الله عنه اي العلم انفع قال ما دلك على الله
وبعدك عن نفسك قال والعلم النافع ما يدل صاحبه على التواضع ودوام المجاهدة
ورعاية السر ومراقبة الظاهر والخوف من الله والاعراض عن الدنيا وعن طالبيها

الله تعالى

والتقلل منها ومجانبة ابواب ابوابها وتركها فيها على من فيها من اهلها
والنصيحة للخلق وحسن الخلق معهم ومجالسة الفقرا وتعظيم اوليا الله
تعالى والاقبال على ما يعنيه فان العالم اذا احب الدنيا واهلها وجمع منها فوق الكفاية
يغفل عن الاخره وعن طاعة الله بقدر ذلك قال الله عز وجل يعلمون ظاهرا من
الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقال النبي صلى الله عليه وسلم من احب دنياه
اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه الا فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقال
فضيل ابن عياض العالم طبيب الدين وحب الدنيا دا الدين فاذا كان الطبيب
يجر الدا الى نفسه فمتى يبرا غيره فاذا وفق الله تعالى من العلما الاقبال
على الله وعلى اوامره والاعراض عن الدنيا ومافيها ومن فيها فاول ما يلزمه
ان يعرف نعم الله عليه في ذلك ويقوم بواجب الشكر ويزيد تواضعا واجتهادا
ويعلم انه مجبول على ذلك وان ذلك بتوفيق من الله تعالى لا بما هو منه فان
ما هدته ايضا ومعرفته بنعم الله عليه زيادة توفيق فاذا كان العالم بهذا
المحل من الدين كان اماما مقتدى به في احكام الظاهر واحوال الباطن يهتدي
بنوره كل من صحبه ويستضي بعلمه كل من اتبعه ويكون حجة الله على
عباده وبركة في بلاده ومن زاد علمه على العالم المفتون ولا حسرة اعظم من
ان يهلك العالم بما يرجوا به نجاته ونحن نعوذ بالله من الخذلان انتهى
كلام المولف رحمه الله بعبارة اخرى من معنى ما تقدم فمال العلم ان قارنته
الخشية فلك اجره الا معطيك وعليك العلم الذي تلازمه الخشية لك لانك
تنتفع في دنياك واخرتك وليس في ذلك الا ما ذكرناه والعلم الذي لا خشية فيه عليك
لانك تتضرر به فيهما وهذا هو الفرق بين علما الاخره وعلما الدنيا من حيث
ان علما الاخره موصوفون بالخشية والرهبة وعلما الدنيا موسومون
بالامن والغره وقد بين علماونا رضي الله عنهم حال الفريقين واوضحوا اظهرهم بالنعوت
والعلامات وطالوا في ذلك النفس لما شاهدوا من انتشار الفتنة في الارض بسبب جهل
الناس بالعلم النافع اي شي هو في اراد الشفا في ذلك واستيفا الكلام عليه وما في
ذلك من الاخبار والاثار فعليه بالنظر في كتاب العلم من كتاب احيا علوم الدين لابي
حامد الغزالي رضي الله عنه كان العلما ربيع الناس اذا نظر اليهم المريض لم يسره

ان يكون صحيحا

ان يكون صحيحا وان نظر اليهم الفقير لم يود ان يكون غنيا وقد صاروا اليوم فتنة
على الناس قال هذا في زمانه الصالح فكيف لو ادرك ما نحن فيه فانا لله وانا اليه راجعون
واعلم ان قد ورد في الكتاب والسنة من فضل العلم والعلما ما لا يحصى كثرة ولا
يرجى حصول ذلك الا لمن صحت فيه نيته وصحة نيته في ذلك ان يكون غرضه
فيه طلب مرضاة الله تعالى وابتغا ما فيما ينفع عنده وابتغاره الخروج من
ظلمة الجهل الى نور العلم فهذه هي النية الصحيحة التي تحمد عاقبتها اجلا
وتجتنى ثمرتها في طاعة الله عاجلا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كل يوم لا ازداد فيه علما يقربني من الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع الشمس
ذلك اليوم وقال الحسن كان الرجل اذا طلب العلم لم يلبث ان يرى ذلك في خشوعه
ولباسه وبصره ولسانه وصلاته وهديه وزهده وان كان الرجل ليصيب الباب
من ابواب العلم فيعمل به فيكون خيرا له من الدنيا بما فيها لو كانت له فيضعها
في الاخرة وليتبين على الناس فيما تشتبه به الحق والباطل فاذا كان كذلك
لم ينفع فيه الا دعاكم دعا الغريق وقال سفيان الثوري رضي الله عنه انما يتعلم
العلم ليتقي الله به وانما فضل العلم على غيره لانه يتقى الله به فان اخذ هذا المقصد
وقصد بغيه طالبه بان يستشعر به التوصل الى منال دنياوي من مال او جاه
فقد بطل اجره وحبط عمله وخسر خسرانا مبينا قال الله عز وجل من كان
يريد حرث الاخره نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها
وما له في الاخرة من نصيب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه ابو
هريرة رضي الله عنه من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به
عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها وكان الحسن يقول
والله ما طلب هذا العلم احدا الا كان حظه منه بما اراد به وقال عقوبة
العالم موت القلب قيل له وما موت القلب قال طلب الدنيا بعمل الاخرة فان اتفاق
هذا الغرض ان يتصل به الى تولي الاعمال السلطانية كالنيابة وما كان سلطانيا او يتوصل
به الى اكتساب مال من حرام او شبهة فقد تعرض لغضب الله تعالى وسخطه
وبا باثمه واثام المقتدين به وكان الجهل اذ ذاك خيرا له من العلم واحمد عاقبة
قال ابو عمر ابن عبد البر روينا عن الاوزاعي رضي الله عنه قال شكت النواويس
الى الله عز وجل ما تجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون علما السو
انتن مما انتم فيه قال وروينا عن الفضيل ابن عياض واسد ابن الفرات قال العلما

ان الفسقة من العلما ومن حملة القران يبدوا بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان قال
الفضيل ابن عياض لان من علم ليس كمن لم يعلم فلشوا الغالب علي طلبة العلم في هذه الاعصار
هذا الوصف المذموم لان حب الدنيا قد استولى عليهم واستهواهم والحرص علي التقدم
والترؤس قد ملكهم فاصمهم واعماهم ولذلك امارات وعلامات لا تخطي ولا تخفي وفي الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج في اخر الزمان رجال يختلون الدنيا
بالدين يلبسون للناس جلود الضان من اللين السنتهم احلى من العسل وقلوبهم
قلوب الذياب يقول الله تبارك وتعالى ابي تغترون ام علي تجترون فبي حلفت لابعثن
علي اولئك فتنة تدع الحليم منهم حيران رواه عنه ابو هريرة وروى ابو الدردا عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال انزل الله تعالى في بعض الكتب اوحي الله تعالى الي بعض الانبيا عليهم
الصلاة والسلام قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا
بعمل الاخرة ويلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذياب والسنتهم
احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزون لاتيحن لهم فتنة
تدع الحليم فيهم حيران وفي بعض الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي على
الناس زمان لا يبقى من القران الا رسمه ولا من الاسلام الا اسمه قلوبهم خربة من الهدى
ومساجدهم عامرة من ابدانهم شر من تحت اديم السما يومئذ علماوهم منهم تخرج الفتنة
واليهم تعود واعلم ان العلم النافع المتفق عليه فيما سلف وخلف انما هو العلم الذي
يودي صاحبه الي الخوف والخشية وملازمة التواضع والذلة والتخلق باخلاق الايمان
وتوافق الاسرار والاعلان الي ما يتبع ذلك من بغض الدنيا والزهادة فيها وايثار الاخرة
عليها والموالاة في الله والمعاداة فيه والحرص علي التفطن للاسباب الباعثة له علي الاستقامة
ولزوم الادب بين يدي الله تعالى فتراعيها حفظا وطلبا ومعرفة الاسباب
المنافية له علي ذلك فيرفضها رفضا وهربا الي غير ذلك من الصفات العلية والمناحي
السنية فبهذا كله تحصل له فوايد العلم وثمراته الدنياوية والاخراوية فان خلا طالب
العلم عنها او عن بعضها فان كان ما يطلبه حقيقيا كان حجة عليه وان كان رسميا
كان وبالا ووبالا اليه والعياذ بالله من ذلك فان في لطايف المنن وربما عرف العاقل من طلبة
العلم من قال طلبنا العلم لغير الله فابي ان يكون الا لله وليس يقول هذا القايل ما
يشترح اليه من طلب العلم للرياسة والمنافسة وانما اخبر هذا القايل عن امر من الله
به عليه وفتنة سلطه الله منها لا يلزم ان يقاس عليه فيها غيره وذلك بمنزلة من ابتليه

مرض من

مرض من في المعا اعيا علاجه وضاق عليه خلقه فاخذ خنجرا وضرب به مراق بطنه
ليقتل نفسه فصادف ذلك المعا فقطعه فخرج الدم منه فهذا لا يستصوب العقلا
فعله وان نجحت عاقبته وليست سلامة العواقب دافعة للتشنيع عن الملقي
انفسهم الي التهلكة ليس الغرق محمودا وان سلما وقال شيوخ اخر ولا يغرنك انه يكون
به الانتفاع للبادي والحاضر فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله يويد هذا الدين بالرجل
ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة
من الياقوت فما اشرف الوسيلة وما اخس المتوسل اليه ومثل من قطع الاوقات
في طلب العلم فمكث اربعين سنة او خمسين سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد
هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة ولم يصل صلاة واحدة اذ مقصود العلم العمل كما ان
المقصود بالطهارة وجود الصلاة ولقد سال رجل الحسن البصري عن مسالة فافتاه
فقال الرجل للحسن قد خالفك الفقها فزجره الحسن وقال ويحك هل رايت فقيها انما الفقيه
الذي فقهه الله امره ونهيه قال وسمعت شيخنا ابا العباس يقول الفقيه من انفقا الحجاب
عن عين قلبه انتهى والرجل الذي سال الحسن البصري هو فرقد السبخي والله اعلم وقد روي
عنه في صفة الفقها كلام اتم مما ذكره صاحب هذا الكتاب لطايف المنن قال فرقد
السبخي سالت الحسن البصري عن مسالة فاجابني عنها فقلت ان الفقها يخالفونك
فقال الحسن ثكلتك امك فرقد وهل رايت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب
في الاخرة البصير بذنبه المداوم علي عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن اعراض المسلمين
العاف عن اموالهم الناصح لجماعتهم المجتهد في العبادة المقيم علي سنة المصطفى صلى الله عليه
وسلم الذي لا يهمز من هو فوقه ولا يسخر ممن هو دونه ولا ياخذ علي علم علمه الله حطاما
فليس علي العلم ان يعتقد احوال من يتعلم منه فلا يبذل علمه الا لمن توسم فيه الخير
والصلاح اذ بذلك تستقيم له النيات والمقاصد التي ذكرناها ولا يبذل له سوى هذا
ممن علم حاله او جهله قال رجل لسفيان الثوري رضي الله عنه لو انك تسترو
فما معك من العلم رجونا ان ينفع الله به بعض عباده وتوجر علي ذلك فقال سفيان
الثوري والله لو علمت الذي يطلب هذا العلم لا يريد به الا ما عند الله لكنت انا الذي
اتيه في منزله فاخذته بما عندي مما ارجو ان ينفعه الله به وقد سيل بعض العلما
عن شي فلم يجب فقال له السايل اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما
فقد جا يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال له اترك اللجام واذهب فان جاني من يستحقه
وكتمته فليلجمني به وفي قوله عز من قايل ولا توتوا السفها اموالكم تنبيه علي ان

حفظ العلم ممن يفسده ويستضر به أولى كما قيل من منح الجهال علما أضاعه وقد حكي عن بعض الأمم السالفة أنهم كانوا يختبرون المتعلم مدة في أخلاقه فإن وجدوا فيه خلقا رديا منعوه العلم أشد المنع وقالوا إنه يستعين بالعلم على مقتضى الخلق الرديء فيصير العلم آلة شر في حقه وقد قالت الحكماء زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء في أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة وهذا كله صحيح مجرب فينبغي إذا للعالم أن يهمله بل يراعيه ويمتثله ولا اعتبار بما يتوهمه في تعليمهم من وجود المصالح على تقدير حصول التوفيق لله تعالى لهم لأن يعملوا ببعض ما يتعلمونه من العلم الصحيح إن كانت لهم ولاية حكم أو غير ذلك فإن المفاسد التي تقع بسببه لكم في خاصة أنفسهم والمفاسد التي تتعدى منهم إلى غيرهم أكثر ودرء المفاسد أهم عند العقلاء من جلب المصالح أما المفاسد التي تختص بهم فهي تقوية صفاتهم الذميمة وأخلاقهم اللئيمة بما يطلبونه من العلم لأنهم يستشعرون بذلك التوصل إلى جميع مطالبهم الدنياوية على غاية التمام والكمال فإذا استشعروا ذلك توجهوا بهممهم إليه وعكفوا بالجد والاجتهاد عليه ولولا هذا الاستشعار لم تنصرف هممهم لذلك فإذا حصلوا على شيء من ذلك وظهرت لهم مخايل وصولهم إلى أغراضهم المذكورة فرحوا بذلك واغتبطوا به كلما ازدادوا علما ازدادوا فرحا واغتباطا لما هم فيه وهذا الفرح والاغتباط في غاية الذم منهم لأن ذلك متعلق بأسباب الدنيا وهو بمنزلة السم القاتل الذي يوجب عمى قلوبهم وقسوتها وبعدها عن التأثر بالمواعظ والحكم كما قيل إذا قسى القلب لم تنفعه موعظة كالأرض إن سبخت لم ينفع المطر وعند ذلك تتمكن نفوسهم وتقوى صفاتها وتظهر آثار ذلك على ظواهرهم من التكالب على الدنيا والركون إلى ما هي عنده من أسبابها المتوهمة وليس لهم ما يتوسلون به إليهم سوى علمهم فيحتاجون على تحصيل إقبالهم عليهم وصرف وجوههم إليهم والتملق عندهم بأنواع من الحيل ولا يسلمون في ذلك من الرياء والتصنع والنفاق والدهان وتجرهم ذلك إلى أنواع من المحظورات وضروب من العصيان مع ما يحصل لهم في ذلك من الذل والهوان فإذا نالوا ذلك أو بعضه حصل لهم تعصب نفوسهم وتمكنوا من جميع حظوظهم نحو حواس الحرية إلى استعباد الأغنياء لو استبدلوا بالجهل ~~[illegible]~~ النافع العلم الضار وقد قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعا وعز الإسلام وأهله ولكنهم أذلوا أنفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم إذ سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا بذلك ما في أيدي الناس فذلوا وهانوا

على الناس انتهى

انتهى ويشهد لذا الشاعر حيث يقول يقولون لي فيك انقباض وإنما

رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما ... إذا قيل هذا مورد قلت قد أرى

ولكن نفس الحر تحتمل الظما ... وما كل برق لاح لي يستفزني

وما كل أهل الأرض أرضاه منعما ... ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي

لأخدم من لاقيت لكن لأخدما ... أأغرسه عزا وأجنيه ذلة

إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما ... ولو أن أهل العلم صانوه صانهم

ولو عظموه في النفوس لعظما وقال وهب بن منبه لعطاء الخراساني كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم وكانوا لا يلتفتون إلى دنيا غيرهم وكان أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة في علمهم فأصبح أهل العلم فينا اليوم يبذلون لأهل الدنيا علمهم رغبة في دنياهم وأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم وقال ذو النون المصري رضي الله عنه كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا لها فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا وكان الرجل ينفق ماله على علمه ويكتسب الرجل اليوم بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة في باطنه وظاهره فاليوم يرى على كثير من أهل العلم فسادا في الظاهر والباطن فانظر رحمك الله إلى ما ذكره هؤلاء الفضلاء تجده لازما لطلبة هذا الزمان وليس الخبر كالعيان ثم بعد وقوع هذه المفاسد بهم وتوغلهم بها في سوادهم يبعد عليهم سلوك طريق الحق لما استحكم في قلوبهم من علامات الخلق فقد قيل التعمق في الباطل قطع لآمال الرجوع عنه فكلما كان من المسافة من الحق ثم كان اليأس من الرجوع أوجب وأعظم الوبال عليهم واغترارهم بحالهم واستحسانهم لمساعي أعمالهم واعتقادهم أنهم سالكون سبيل النجاة في الدار الآخرة ونيل الثواب فيها وأنهم هم الذين حازوا الرتب الشريفة والمناقب المنيفة التي خص بها العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وليس عندهم من المعرفة وعلوم التحقيق ما يخرجون به من هذا الغرور لأنهم لم يسلكوا طريق ذلك ولم يهتدوا لما هنالك فهذا هو الفساد الذي يختص بهم ولا يشاركون غيرهم فيه وأما المفاسد التي تتعدى إلى غيرهم فظاهر من كل ظاهر وكل أهل ممن ملكته نفسه أشد ملكه واستعبدته أتم استعباد ما هو ينفع عليه شيء من الشر ونوع من أنواع الفساد إلا ويقع فيه إذا تمكن منه ومن يقع ما يسريه عليهم من الفساد من غير قصد منهم كذلك وقوع الاغترار للجهلة والعامة بما يشاهدون حالهم فإنهم يشاهدونهم قد حازوا من رتب الدنيا ما أرادوه ويتوهمون

انهم الوا اشرف الاخره لما افادوه واستفادوه فيحملهم ذلك على اقتدايهم في طلب العلم ان
كانوا ممن فيه قابليه ذلك فينفعوا انفسهم وينفعوا فيه من امثالهم ويوديهم ذلك الى محبتهم وموالاتهم
واتخاذهم اربابا يسمعون منهم ويطيعونهم في اوامرهم ونواهيهم ثم نحوج بهم استحسان حالهم الى الرضا
الدين وهو مسارقة طبايعهم الدنيه واخلاقهم الرديه فان نفوس العامه قابلة لذلك ومنهياه
له بمنزلة الصبي الذي يترسخ فيه اخلاف ابايه ومنازعهم ومذاهبهم وعند ذلك يبطل في حقهم
ما هو مقصود بعثة الرسل من التزهيد في الدنيا والترغيب في الاخره وحب الفقر والمسكنه
وايثار التواضع والذله والتخلق باخلاق الايمان والاسلام وبشرة الحذر من ارتكاب
المناهي والاثام ثم يوول ذلك بهم الى الشرك الخفي والجلي ويحيق بهم المكر السيء والعياذ بالله
ويكون وبال الجميع ذلكوا جميعا الى العلم لتيسر اسباب ذلك على يديه ولقد صدق ابن المبارك
رضي الله عنه حيث يقول وهل افسد الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها
وباعوا النفوس ولم يربحوا ولم تغل في البيع اثمانها لقد رتع القوم في جيفة
يبين لذي العقل انتانها وروي عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه انه اخذ حصاة بيض
فوضعها في كفه ثم قال ان الدين قد اضاء اضاءة هذه الحصاة ثم اخذ كفا من تراب
فجعل يذره على الحصاة حتى وارها ثم قال والذي نفسي بيده ليجي اقوام يدفنون الدين هكذا
كما دفنت هذه الحصاة ولتسلكن سبيل الذين كانوا من قبلكم حذو القذة بالقذة
والنعل بالنعل قلت ومنشا وجود هذه المفاسد خراب بواطنهم وظلمة قلوبهم بسبب
فقد اليقين منها وانكشاف انوار الايمان فيها وافلاسهم من حقايق ذلك وعدم اخطانهم
بشي منه فصاروا بذلك ماسورين لاهوايهم منقادين لاغراضهم وارايهم مفسدين بذلك
نياتهم ومقاصدهم والاعمال بالنيات فاذا كانت النيات صالحه كانت الاعمال صالحه
وترتب عليها اثار صالحه وانعطف من ذلك على القلوب مزيد اشراق وجميل اخلاق يوذن
ذلك بوجود القرب من الله تعالى ونيل درجة المحبة واذا كانت النيات فاسده كانت
الاعمال ايضا فاسده وترتب عليها اثار فاسده وانعطف من ذلك على القلوب بزيادة ظلمة
وزيادة همه تقتضي البعد من الله وحصول المقت منه وطلب العلم على من اعمار مقتضى للصحة
والاعتلال ولليت شعري هولا الذين استغرقوا اعمارهم في طلب العلم والاثر وانعبوا
انفسهم بالدراسة والنظر وقطعوا ايامهم ولياليهم الجوع والسهر وسمت نفوسهم
بفراق ملاذ وذاتها وانقطعت عن جميع مالوفاتها هل يحتمل على ذلك باعث الدين او باعث
الهوى ولا اشكال ان باعث الدين غير متصور منهم بل هو محال في حقهم لما قدمناه من خراب
البواطن وظلمة القلوب وكيف يتصور ذلك منهم وهم لم يعملوا على تخليصهم من النكايف

الواجبة عليهم

الواجبة عليهم في ظواهرهم وبواطنهم بل لم يعرفوا ذلك ابتدأ فان ادعوا انهم يعرفون الاحوال الواجبة
عليهم في ظواهرهم وبواطنهم بل لم يعرفوا ذلك لابتنه فان ادعوا انهم على احوال الاتحب عليهم
فيها حكم يحتاجون الى تعرفه والقيام به فهم مخدوعون ومتى لهم ذلك والعلم به لا يحصل
ضرورة فلابد لهم من استعداد له ولا عناية لهم بهذا ايضا وانما كان يتصور منهم
باعث الدين لو توفرت اغراضهم كلها عليهم ووصلوا اليها بمكنتهم او وصلوا اليه من
شهواتهم ولذاتهم بسببها من اسباب الدنيا ثم يصرفون ما فضل من
اوقاتهم عن مجادلة هذه المطالب ونيلها الى طلب العلم فرقا عن البطالة
التي يتبرم بها صاحبها ويدعوه فراغه من اشتغال دنياه الى قطع ذلك الوقت
باللهو واللعب وارتكاب معصية وذنب لا البطالة التي تكون فيها استراحة
لنفسه واستجمام لعقله وحسه ففي هذا الحال قد يصح باعث الدين من امثال
هولا واما الحالة التي وصفناها فلا يتصور عليها باعث الدين الا الدنيا المحموده
المجاورة للحد في الذم والمقت بمنزلة من هو حريص على الانتساع في الدنيا والحصول
على غاية مرادها فانه يعمل فيما يوصله الى ذلك وان كان فيه هلاكه فتراه يرتكب
الاخطار ويخوض لجج البحار ويجوب البراري والقفار ويهون عليه في جنب ما يوملّه
كل مشقة تصيبه وبلية تنزل به ولو لم يفعل هذا لم يحصل الا على نيل الرمق
والاقتصار على البلغ والعلق فكذلك هولا الذين كلامنا فيهم لو لم يتصوروا في
خواطرهم الحصول على كليات اغراضهم من اتساع مالهم وجاههم في دنياهم ووصولهم
مع ذلك الى رفيع الدرجات في عقباهم لم يبلغوا ذلك المبلغ في الاجتهاد ولا اقتصروا
على بعضه وهذه كلها امور بينة لا اشكال فيها عند من له ادنى تمييز وفهم
وليس المانع لاكثر من ينتسب الى العلم من العمل بمقتضى ما ذكرنا خفاه عليهم
وهم يعتقدون صحته ويسلمون حاصله وحقيقته في الاحايين عند ما ينجلي
عن قلوبهم بعض ظلماتها وتتزحزح عن عظيم غمراتها اما بتذكير مذكر من
الخلق ووعظ واعظ في قلوبهم من قبل الحق يرجعون في بعض ايامهم الى ما
لو فاتهم ومعتاداتهم وانما المانع لهم من ذلك الفرار الله تعالى بالمشيئة والقدرة
واستيثاره بالخذلان والنصرة فاذا اراد الله تعالى ان يخذل عبدا من عباده لم
يغفل ولا ينفعه علم قال الله عز وجل ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله
شيا وفي مثل هذا الموطن تبطل احكام الاسباب وتتحقق ربابة الحقايق
العظمة والجلال والعزة والكمال لذوي الالباب فليعتبر بما ذكرناه اولو
الابصار وليسلموا الحكم للواحد القهار لعلهم بذلك يهتدون الى منزلة الى الحق

له في انتم الى رضوان

حين يفضل غيرهم عن سنن الطريق مما يستوم عند قوم فوابلا ويفضل العبد المومن
ان انظر اليهم واعتبر بما جرى من سوء القضا عليهم الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاهم
به وفضلني عليهم تفضيلا فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من راى مبتلى
ثم قال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به هذا وفضلني عليه وعلى كثير ممن خلق تفضيلا عافاه الله
من ذلك ابدا كاين ما كان فعلى المعلم الناصح لنفسه السالم في عقله وجسمه العامل على تصحيح
اعماله وهو المشفق على دينه الذي هو منوط بالجد ومه ان يتامل هذه المفاسد
ويقيس لها ما توهمه من المصالح الناشية عن تعليمه بزعمه ويدقق النظر في ذلك
كما يدققه في اكثر المسايل التي لا يحتاج اليها ولا يقدر على التعليم في هذه الازمنة ذوات
العلل المزمنة حتى يقطع بوجوب ذلك عليه من غير تردد ولا تجويز وقوع خطا في
نظره ولا سبيل الى هذا ولا يسعه خلاف ذلك اذا كان منصفا فان بعضهم رايت
سفيان الثوري حزينا فسالته عن ذلك فقال هو بركم ما صرنا الا متجرا لابناء
الدنيا قلت وكيف ذلك قال يلزمنا احدهم حتى اذا عرف بنا وحمل عنا جعل عاملا
او حاجبا او قهرمانا او جابيا فيقول حدثنا سفيان الثوري وعليه ايضا ان
يصر على مخالفة نفسه فيما تدعوه اليه من التعليم لان كل ما تستجلبه
النفس ويوافق غرضها مصحوب بالافات والعلل التي تقدح في الاخلاص
لا صل الاعمال شرط في وجود القبول وعند ذلك يذهب عمله باطلا ولا يبقى
سعيه طايلا وقد تقدم من كلام علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه كونوا لقبول
العمل اشد اهتماما منكم للعمل عنه قوله ما قل عمل يتقبل من قلبنا هذ
وقد تقدم ايضا الكلام على اهتمام النفس في رعايتها لما ظاهره خير عند قوله
اذا التبس عليك امران ويشغل الخوم في ذلك من بشر ابن الحارث الحافي كان
يقول انا اشتهي ان احدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث لحدثت وكان
سبب تركه طلب الحديث انه سمع ابا داود الطيالسي يحدث عن شعبة انه
كان يقول الاكثار من الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون
وسمعه منه قال انتهينا انتهينا ثم ترك الرحلة في طلب الحديث واقبل على العباده
وقد روي ايضا مثل هذا الكلام عن مسعر ابن كدام فاذا كان الاكثار من الحديث
مع المنابذة عند امام المحدثين في زمانهما مع ما فيه من الفوايد الاخراوية
فما بالك بغيره من محدثات العلوم ومبتدعاتها ولقد ذكر الشيخ الحافظ ابو عمر
ابن عبد البر باسناده الى عبد الله ابن مسلمة القعنبي رحمه الله تعالى قال دخلت

على مالك

على مالك رضي الله عنه فوجدته باكيا فسلمت عليه فرد علي السلام ثم سكت عني يبكي
فقلت له يا ابا عبد الله ما الذي يبكيك فقال لي يا ابن قعنب انا لله على ما فرط مني ليتني
جلدت بكل كلمة تكلمت بها في هذا الامر بسوط ولم يكن فرط مني ما فرط من هذا
الراي وهذه المسايل لقد كان لي سعة فيما سبقت اليه قال هذا فيما كان اخذه
من المسايل المحققة المبنية على اصول صحيحة عن سلفه في البطن بما الا اكثر
بعده من الهذيان الذي صار بحكم العادة واقتضت العصبية وتمالى التابعين
على الضلال وتقليد الروسا الجهال الدينا قويما وصراطا مستقيما
من العالم والمتعلم ان يشتغل بما هو اوجب عليه مما هو مامور به ومسوول عنه
مراقبة ربه واصلاح نفسه وقلبه فله يدع التشاغل بما يفارق
ويقسي قلبه ويلهيه ذكر ربه عز وجل قال ابن وهب ذكر طلب
مالك ابن انس رضي الله عنه قال ان طلبه لحسن اذا صحت فيه النية
انظر ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي ومن حين تمسي الى حين تصبح
عليه شيئا وكان الثوري يقول لا اهل العلم الا هو طلب هذا اليس من زاد لكون
وكان يقول ليس فيه شيئا ما ازدحم عليه يعني العلم فهذه نبذة قصد
في الموضع الايق بها من هذا التنبيه ليتنبه بها من سبق له من الله
زوال العمى عن بصره ومراجعة خوفه وحذره من المعلمين والمتعلمين
ليتبين بها كلام المولف كاينا التنبيه وبالله الذي لا اله سواه
متى الماك عدم اقبال الناس عليك او توجههم بالذم اليك فارجع الى علم
فيك فان كان لا يقنعك علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه اشد
مصيبتك بوجود الاذى منهم العبد لا ينبغي ان يكون بطمح نظر
ولا يفرح الا باقباله عليه ولا يحزن الا لاعراضه عنه ولا ينظر الى الخلق
اقبالا ولا اعراضا ولا مدحا ولا ذما فانهم لا يغنون عنه من الله شيئا
تقدم هذا المعنى في قوله غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغيب
عليك بشهود اقباله عليك فمتى المك عدم اقبالهم عليه او توجههم
فليرجع الى ما بينه وبين ربه فان كان قانعا بعلمه راضيا بقسمه كان
اعظم سلوان عما يفوته من جهة المخلوقين بل لا يجد فقدا في فقد
يكون منهم من اقبال او اعراض وان لم يكن راضيا ولا قانعا
بذلك اعظم من مصيبته باذى الناس له بل لا مصيبة له في الحق

[illegible] بسم الله الرحمن الرحيم [illegible]

ويستدل من عرف سر ذلك على ما يذكره المؤلف الآن قال ابراهيم التيمي لبعض اصحابه
ما يقول الناس فيّ فقال يقولون انك مرائي فقال الآن طاب العمل فقال بشر رضي الله
عنه اكتم والله ابغض الله فلم يحب ان يدخل مع علم الله علم غيره وقال بشر الحافي رضي الله
عنه سكون القلوب الى قبول المدح لها اشد عليها من المعاصي انما احب الذي [illegible]
[illegible] ان تنساك الناس اراد ان يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء [illegible]
ذاية الناس اليه [illegible] نعمة عظيمة عليه لا سيما ممن اعتاد منه الملاطفة والاكرام
والاحترام لان ذلك يفيده عدم السكون اليهم وترك الاعتماد عليهم وفقد
[illegible] بهم فيتحقق بذلك عبوديته لربه عز وجل قال سيدي ابو الحسن اذا اي
[illegible] وضعف [illegible] ذلك فيستغفر [illegible] من علامة الصديقية
الدنيا [illegible] لا يبالي بهم وقال بعض العارفين الصحبة من العدو سوط الله
[illegible] القلوب اذا سكنت غير [illegible] ولولا ذلك لرقد القلب في ظل العز والجاه وهو
[illegible] على الله عظيم وقال سيدي ابو محمد عبد السلام شيخ سيدي ابي الحسن رضي
[illegible] في دعائه اللهم ان قوما سالوك ان تسخر لهم خلقك فسخرت لهم
[illegible] رضوا منك بذلك اللهم واني اسالك اعوجاج الخلق علي حتى لا يكون
[illegible] اليك وقال ابو الحسن الوراق العلماء [illegible] الانس [illegible] الخلق [illegible]
اليهم حمق والسكون اليهم عجز والاعتماد عليهم وهن والثقة بهم ضياع
[illegible] الله بعبد خيرا جعل انسه به ويذكره وتوكله عليه وصان سره
[illegible] التبعية وظاهره عن الاعتماد عليهم وقد كان الزهاد يخرجون المال عن الكيس
يقولون [illegible] تعالى [illegible] اهل الهوى يخرجون الخلق والمعارف من القلب تحققا بالله
[illegible] اعلم ان اولياء الله تعالى حكمهم في بدايتهم ان يسلط
[illegible] ليطهروا من البقايا ويكمل فيهم المزايا وكي لا يسكنوا هذا
[illegible] او يميلوا اليهم باعتماد ومن اذا فقد اعتقك من رق
[illegible] حسن اليك فقد استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال النبي
[illegible] من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا الله
[illegible] القلب من رق احسان الخلق والتعلق بالملك الحق قال
[illegible] اهرب من خير الناس اكثر مما تهرب من شرهم
[illegible] في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك ولان تصاب في بدنك خير من

ان تصاب

ان تصاب في قلبك ولعدو تصل به الى الله خير لك من حبيب يقطعك عن الله وعندنا
[illegible] عليك بلاء واعراضهم عنك [illegible] اذا اقبلوا فتنوا قال وتسليط الخلق
على اولياء الله في ابتداء طريقهم سنة الله في احبابه واصفيائه قال الشيخ ابو الحسن [illegible]
ان القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقر حتى وجدوا
فكل عز يمنع دونك فنسالك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك وكل وجد يحجب
عنك فنسالك عوضه فقدا تصحبه انوار محبتك قال ومما يدلك ان هذه
سنة الله في احبابه واصفيائه قوله تعالى وزلزلوا الاية وقوله حتى اذا استياس
الرسل الاية وقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الاية وقوله
اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الى غير ذلك من الايات الدالة على هذا المعنى
انتهى وكذلك من استحل حالا او ساكن مقاما [illegible] سنة الله تعالى مع اوليائه
تشوش [illegible] ذلك عليهم وهو من غيرته على قلوبهم لئلا تتناله تغيره ولئلا تنتقل بسواه
قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن المقاطع [illegible] السكون
الى [illegible] ما [illegible] تقربك فكانه في خلال [illegible]
فانه بكل طبقة [illegible] خرج [illegible] ومن ادركته السعادة
كاشفه بشهود جلاله وجاله لا باثباته في [illegible] وما يخصه به من
[illegible] الطاعات على وجه [illegible] ومن [illegible] الخفيه
ومن هذا المعنى ما ذكر عن سيدي ابو الحسن الشاذلي لما دخل على شيخه
ابي محمد عبد السلام رضي الله عنهما في اول ملاقيه وساله عن حاله قال انا اشكو
الى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو انت من حر التدبير والاختيار
فقال [illegible] وانا الان فيه واما شكواك من برد الرضا والتسليم [illegible]
فقال الخاف [illegible] جلا [illegible] عن [illegible] وتعالى وقال سيدي ابو العباس [illegible]
رضي الله عنه اللطف حجاب عن اللطيف يعني السكون اليه والوقوف عنده وشدة
الفرح به ولذلك قال السري السقطي رضي الله عنه لولا ان رجلا دخل الى بستان فيه
من جميع ما خلق الله تعالى من الاشجار عليها من جميع ما خلق الله تعالى من
الاطيار فخاطبه كل طائر منها بلغته وقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه
الى ذلك كان في يديها اسيرا وقال بعضهم لا يكون الصوفي صوفيا حتى لا تقله
ارض ولا تظله سماء ولا يكون له قبول عند الخلق ويكون مرجعه في كل احواله الى الحق
وقيل الفقير من لا دنيا له ولا اخرة فان عرض على مالك قال ليس من رجالها وان [illegible] الى رضوان

قال الا اهتدي اليه وليس من رجالي فان قلت من هو وما الذي يدعي به قال ابليس من
يدعي بشي وقال احمد ابن حسان رضي الله عنه بينما انا ادور في جبل لبنان
اذ خرج شاب قد احرقته السموم والرياح فلما نظر الي ولى هاربا فتبعته
وقلت تعظني بكلمة فقال احذره فانه غيور لا يحب ان يرى في قلب عبده سواه
وكتب الجنيد الى بعض اخوانه من اشار الى الله وسكن الى غيره ابتلاه الله
وحجب ذكره عن قلبه واجراه على لسانه فان انتبه وانقطع عمن سكن اليه
ورجع الى ما اشار اليه كشف الله ما به من المحن والبلوى وان دام على سكونه نزع
الله من قلوب الخلق الرحمة عليه والبس لباس الطمع فيزداد رغبة منهم مع فقدان
الرحمة من قلوبهم فتصير حياته عجزا وموته كمدا ومعاده اسفا ونحن نعوذ بالله
من السكون لغيره الى غيره اذ اعلمنا ان الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل انت
عمن ناصيتك بيده فالشيطان عدو مسلط على الانسان ومقتضى ذلك انه لا يوجد
منه غفلة ولا فترة عن التربص والاغوا والاضلال قيل لبعضهم اينام ابليس
فقال لو نام لوجدنا راحة فاذا اعلمناك انه لا يغفل عنك فلا تغفل انت عمن ناصيتك
بيده وهو الله عز وجل وذلك لتحقيق عبوديتك وتوكلك عليه وافتقارك في كل
احوالك اليه واستعاذتك به من شر عدوك وعدوه فبذلك تخرج من سلطنته
وتنجو من غايلته قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا
وقال عز وجل انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون فمن تحقق هذه
الصفات العلية من الايمان بالله تعالى والعبودية له والتوكل عليه واللجا والافتقار
الى الله والاستعاذة والاستجارة به كيف يكون لعدو الله عليه سلطان والله حسبه
ووليه وحافظه وناصره ولولا ما امر الله تعالى بالاستعاذة منه ما استعاذوا منه ومن
هو حتى يستعاذ بالله منه قال سيدي ابو العباس في قوله تعالى ان الشيطان لكم
عدو فاتخذوه عدوا فهم قوم من هذا الخطاب انه امر بعداوة الشيطان فشغلهم ذلك
عن محبة الحبيب وقوم فهموا من ذلك ان الشيطان لكم عدو وانا لكم حبيب
فشغلوا بمحبته فكفاهم من دونه وقال ابو حازم رضي الله عنه ومن الشيطان
حتى يهاب والله لقد اطيع فما نفع ولقد عصي فما ضر وقال بعضهم الشيطان
منديل بهذه الدار يمسح فيه اقذار النفس وهي نسبة الشر فوا انواع
الفساد والمعاصي اليه اذ لا صانع الا الله عز وجل وهذا اشق اتخاذه كما قال وما انسانيه
الا الشيطان ان اذكره وقوله تعالى هذا من عمل الشيطان وما كان له حولا

اوقوة

اوقوة تضرها اوينفع فلا وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه ما خلق الله شيئا علي
اهون عليه من ابليس لولا ان الله عز وجل امرنا ان نتعوذ منه ما تعوذنا منه ابدا
لبعض العارفين كيف مجاهدتك للشيطان فقال وما الشيطان نحن قوم صرفنا همتنا
الى الله فكفانا من دونه وسئل بعضهم عن دفع ابليس فقال لا ادفع من الاعراف وانما
ان اهملته لكن غفلت عنه ولم تحاربه غلبك مع ماله ثبوت سلطنته عليك
ووصوله بالوسوسة اليك قال اهل العلم ان لكل احد من الناس وسواسا موكلا
به مستبطنا قلبه واضعا راسه او قال خرطومه عليه فاذا اغفل العبد وسوس
واذا ذكر الله خنس اي تاخر واستتر وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه ابن ادم انك
قد نمت وانت حريص والشيطان كبير وانت سليم الناجية والشيطان مدرك
وانت لا تزال تنساه وهو لا ينساك من نفسك عليك عون وقبل صدر ابن ادم مسكن له
ومجراه من ابن ادم مجرى الدم وانت لا تفارقه الا بعون الله تعالى وقال مالك ابن دينار
رضي الله عنه ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله تعالى وفيه يقول
القايل ولا اراه حيثما يراني وعندما انساه لا ينساني يا سيدي ان لم تغثني فالى
وقال ذو النون المصري رضي الله عنه ان كان هو يراك من حيث لا تراه فان الله يراه
من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال ابليس لربه عز وجل بعزتك
لا ابرح اغوي بني ادم ما دامت الارواح فيهم قال له ربه عز وجل بعزتي
اغفر لهم ما استغفروني جعله كالعدو فيهو شد به اليه وحركه
اقبالك عليه عداوة الشيطان لك نعمة عظيمة من الله عليك لانه
قلنا ان لا تغفل عنك وان يبذل جهده في محاربتك ومقاتلتك بنفسه
ورجله ولا طاقة لك على مقاتلته بنفسك لانك في غاية الضعف والعجز
الحالة الا ان يلجئك الى الاستعانة عليه بمولاك القوي المتين فيوجد منك حينئذ
اللجا اليه والانتصار به والتوكل عليه في دفعه عنك فعداوة الشيطان هي التي
الحق تعالى بها اليه وجمعك بها عليه وهذا هو غاية المقصود وكذلك حرك له
النفس عليك بالحمل على متابعة الهوى والشهوة بما جعل فيها من الطبع والجبلة
عظيمة ايضا وان كانت اعدا الاعدا اليك اذ بواسطتها يتوصلون اليك وبها
يعملون فيما يعود بالضرر عليك من قبل انك لا تقدر على مجاهدتها وقمع
الممتزج بلحمك ودمك اليمين هو اقوى منك وليس ذلك الا مولاك فقد دعاك

سببا لهم عليه وكان المولف رحمه الله تعالى قصد في هذه الكلمات التي ذكرها
وللاربعة المذكورين في قول الشاعر اني بليت باربع يرمينني
بالنبل عن قوس لها توتير ابليس والدنيا ونفسي والهوى يا رب انت على الخلاص قدير
وبين في كلامه وجود عداوتهم ووجود الاحتراز منها وتمم ذلك ببيان ان تلك
عداوات تكون عظيمة من اعظم الوسايل الى اسنى المطالب لمن اراد بذلك ووفق له
فجميع ذلك في الفاظ بديعة مختصرة وجيزة محررة فاعرف قدر هذا الفصل
لواضعه بكمال النبل والفضل وقال رضي الله عنه من اثبت لنفسه تواضعا
فهو المتكبر حقا اذ ليس التواضع الا عن رفعة فمتى اثبت لنفسك تواضعا فانت
المتكبر لان التواضع يقتضي وجود الرفعة لا محالة اذ لو كانت معدومة لكان ضدها
والرفعة ثابتا موجودا ولا ينتفي عن العبد التكبر الا بوجود الصفة ووجود
صفة لا يحتاج الى اثباتها من العبد لانه ثابت في نفسه فالتواضع الذي اثبته العبد
لنفسه لا ينتفي عنه وجود التكبر بالضرورة وايضا فان لفظة التواضع تؤذن بذلك
فان التواضع تفاعل من الضعة واكثر باب التفاعل موضوع لاظهار الصفة وليست كذلك
والتناوم والتساكن والتعارج والتمارض وغير ذلك فصيغة التواضع لا تقتضي حقيقة
وعدم الرفعة ولا يلزم منه وجودها اذ ذلك هو المطلوب من العبد انما هو ان يتصف
بحقيقة لا اظهارا فقط بل ينتفي عنه وجود الرتبة ليس المتواضع الذي اذا تواضع
فوق ما صنع ولكن المتواضع الذي اذا تواضع راى انه دون ما صنع هذا
هو ما ذكره من ان العبد المتواضع حقيقة لا يثبت التواضع لنفسه لانه
ما هو من صفة قدره وخمول ذكره وذلته ومهانته ما يمنعه من ذلك فهذا
التواضع الحقيقي هو شهوده لو لم يكن وجده به وظهور آثاره على ظاهره بل شهوده
ووجده به مما يقدح في حقيقة تواضعه كما قال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله
من وجد ذوق ذلة في ذلة فهو يتعزز وفيه بقية فهذا العبد المتصف بهذه
لو فعل من افعال المتواضعين ما شاء لم يثبت بذلك لنفسه تواضعا لانه يرى نفسه
صنع من ذلك لعلة ذلك الشهود والوجد عليه فان اثبته لنفسه وراى
فوق ما صنع مما يقتضي وجود صفة التواضع له بزعمه فهو متكبر حقيقة ولذلك
يوما في بعض كلامه ذي عطاء الى اليهود وقال من راى لنفسه قيمة فليس
بمتواضع وقال ابو سليمان لو اجتمع الخلق على ان يضعوني كاتضاعي عند
نفسي

ما قدروا عليه وقال سليمان لا يتواضع العبد لله حتى يكون ذلك ثناء عليها
النفس
ومن هو شر منه فهو متواضع حقا على
ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل احد على
ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل فمتى يكون
متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وقد انصرف من عرفات فلم اشك في طلب
نفسه وبربه وقال يونس ابن عبيد وقد انصرف من عرفات لم اشك في الرحمة لولا اني كنت فيهم وقيل لحمدون ابن مقاتل ادع الله لنا فبكى وقال ليتني لم اكن سببا لهلاككم
لولا اني كنت فيهم وقيل لحمدون ابن مقاتل ادع الله لنا فبكى وقال هذا الخلق ان لا يغضب احد فمانان
سببا لهلاككم ومن علامات التحقق بهذا الخلق ومن علامات تحققه بين الحق بذل
او تنقص ولا يكره ان يذم ويقذف بالكبائر ومن علامات الناس عليه
يستند حرصه على ان لا يكون له جاه ولا قدر عند الناس ولا بما يلزم
في حاله بان لا يرى لنفسه موضعا في قلوبهم وقد تقدم هذا المعنى في
ادفن وجودك في ارض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه بشوارده
الحسين الكوي نفسي استاذ الجنيد رضي الله عنهما ان رجلا دعاه الى دعوة فلما بلغ باب داره رده
طعامه ثم يرده فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله داره في المرة الرابعة في
عن ذلك فقال لقد صبت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة
الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيعود ويرمى له عظمة فيجيب ولو رددتني الف
مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبتك قال ابو طالب رضي الله عنه وجد بعض
الصوفية انه وقف على رجله وهو يأكل فمد يده وقال ان كان ثم شيء
فقال اجلس فكل فقال اعطني في كفي فاعطاه في كفه فقعد في مكانه
فساله عن امتناعه من الجلوس معه فقال ان حالي مع الله ان
ان افارق حالي قال وكان هذا ربما مد يده الى الهراس فيجعل فيه
واغرب ما رايت في التواضع ما ذكره صاحب عوارف المعارف قال
ضياء الدين ابا النجيب كنت معه في سفره الى الشام وقد بعث بعض
طعاما على رؤوس الاسارى من الافرنج وهم في قيودهم فلما امد
سارى ينتظرون الاواني حتى تفرغ قال للخادم احضر الاسارى
السفرة مع الفقراء اجابهم واقعدهم على الصفرة صفا واحدا
سجادته ومشى اليهم وقعد بينهم كالواحد منهم واكل واكلوا وظهر
ما نازل باطنه من التواضع لله تعالى والانكسار في نفسه والانخلاع من
التكبر عليهم بايمانه وعلمه وعمله واغرب من هذا ما ذكره صاحب
بغية الطالب ومنية الراغب ابو الحسن علي ابن عتيق ابن مسعود الحسن

الكلمات التي ذكرها

بالنـ...ـه راي الشيخ الفقيه ابا محمد عبد الله ابن عبد الرحمن ابن ...
فقها العلما يوما وهو يمشي في يوم شات كثير الطين فاستقبله
في الطريق التي كان عليها قال فرايته قد لصق بالحايط وعمل الكلب
او وقف ينتظره ليجوز وحينيذ يمشي هو فلما اقترب منه الكلب يمشي
وفلما جاوزه الكلب وصلت اليه ووجدته وعليه كابه فقلت يا سيدي
الان شيا استغربته كيف رميت بنفسك في الطين
يمشي في الموضع النقي فقال بعد ان عملت له طريقا تحتي فكون
على الكلب وجعلت نفسي ارفع منه بل هو والله ارفع مني واولى
عصيت الله تعالى وانا كثير الذنوب والكلب لا ذنب له فتركت
وتركته يمشي عليه وانا الان اخاف المقت من الله الا ان يعفوا
نفسي على ... هو خير مني التواضع الحقيقي هو ما كان ناشيا عن
منه وتجلي صفته شهود عظمة الله تعالى وتجلي صفته هو الذي
وجود التواضع الذي ذكرناه لان ذلك هو الذي يخمد النفس ويذهبها
فما تجلي الله تعالى لشي الا خضع له ولا ينقطع من القلب شجرة الرياسة
لا بما يتكلفه العبد ويتعاطاه بنفسه من اعمال واحوال التواضع
اهل التوحيد تكبر قال ابو حامد ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه
والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيا حتى يضعها او يرفعها وقال ذوا
... رضي الله عنه من اراد التواضع فليوجه نفسه الى عظمة الله تعالى
... وتصغر ومن نظر الى سلطان الله تعالى ذهب سلطان نفسه
... ومن اشرف التواضع ان لا ينظر الى
... كلها حقيره عند هيبته
... الله تعالى وفي كتاب عوارف المعارف اعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة
... لا عند لمعان المشاهده في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي
... ها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق وللخلق
وسكون وهجها وغبارها لا يخرج عن الوصف الا بشهود الوصف
... موافقه لمعنى ما تقدم الان والوصف المذكور اولا وصف
... المذكور ثانيا وصف الرب تبارك وتعالى المومن تشغله الثنا
يكون لنفسه شاكرا وتشغله حقوق الله عن ان يكون
تشغله حقوق الله عن ان يكون لحظوظه ذاكرا شاكرا

النفس دوية نسبة الافعال الجليه والاحوال الحميده اليها وذلك ثنا عليها
وهو مضاد للثنا على الله تعالى وذكر حظها من اعتقاد ان لها حقا على
ما تفعله من الطاعات وهو مضاد للقيام بحقوق الله تعالى فالمومن
الحقيقي لا يلتفت الا نفسه في نسبة لشي من المحاسن اليها وفي طلب
حقا عليه لها بل يشغله الثنا على الله والحرص على توفيه حقوقه عن جميع
ذلك ليس المحب الذين يرجوا عن محبوبه عوضا ولا يطلب منه عرضا فان
المحب من يبذل لك ليس المحب من يبذل له المحبة تقتضي من المحب بذل
كلياته وحرماته في مرضاة محبوبه من غير طلب حظ ينال له منه فهذا مما يلزم
وجود المحبة كما قيل ان المحب اذا احب حبيبه يلقاه يبذل فيه ما لا يبذل
بل يرى مما فعل من ذلك غاية الحظ وموافقة رضى محبوبه نهاية السعادة
والنعيم كما قال ابو حفص عمر ابن الفارض رضي الله عنه ما لي سوى روحي وباذل نفسه
في حب من يهواه ليس بمسرف فلئن رضيت بها لقد اسعفتني
يا خيبة المسعى اذا لم تسعف وكذلك قيل المحبة الايثار وهو ان لا يدع لمحبوبه
ميسورا الا بذله ولا ممكنا الا استعمله ولا يبقي لنفسه ولحظه نفسا ولا
بينه ولا يستثني من كل ما بذله شيا وانشدوا الي بغية في العين قطره
فاني اذا في العاشقين دخيل وقال ابو عبد الله القرشي حقيقة المحبة ان تهب كلك
لمن احببت حتى لا يبقى لك منك شي وقال ابو يعقوب السوسي حقيقة
المحبة ان ينسى العبد حظه من الله وينسى حوايجه اليه وقيل لبعض
المحبين المحبوبين وكان قد بلغ المجهود في بذل ماله ونفسه حتى لم يبق منه
بقية ما كان سبب حالك هذه في المحبة فقال كلمة سمعتها من خلق
عملت في هذا الاقبر وما هي قال سمعت محبا خلا بمحبوبه وهو يقول انا
والله احبك بقلبي كله وانت تعرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب
ان كنت تحبني فاي شي تنفقه علي فقال يا سيدي املكك ما املك
ثم انفق عليك روحي حتى اهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف
بخلق لخالق وعبد لمعبود فكان هذا سببه فهذا الذي ذكرناه من لوازم المحبة
الحقيقيه ولما رجا العوض وطلب العوض فهو حال من مقامه الرجا
وليس من مقام المحبة المخصوصه في شي قال الشاعر لم يكن بك فانيا عن حظه
وعن الهوى والانس والاحباب ولانه بعد المراتب واقف لمنال حظ او لحسن مآب

وقال الاخر وما انا بالباغي على الحب رشوة ضعيف هوى يرجى عليه ثواب

قال ابو محمد ويم من احب الغرض بعد العوض اليه محبوبه وقيل اوحى الله الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على قلب عبدي فلم اجد فيه حب الدنيا والاخرة ملاته

قلبه من حبي وقال بعض المحبوبين كوشفنا ربعين حورا رايتهن يتساعين في الهوى عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرة

اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوما قال ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حورا فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن وقلت اعوذ بك مما

سواك لا حاجة لي بهن فلم ازل اتضرع الى الله تعالى حتى صرفهن عني وذكر الشيخ الحافظ ابو نعيم قال قال ميسرة الخادم غزونا في بعض الغزوات فاذا فتى الى

جانبي واذا هو مقنع في الحديد فحمل على الميمنة حتى ثناها ثم على الميسرة حتى ثناها وحمل على القلب حتى ثناها ثم انشد يقول احسن بمولاك سعيد ظنا

هذا الذي كنت له اتمنى تنح يا حور الجنان عنا ما لك قاتلنا ولا قتلنا

لكن الى سيدكن اشتقنا قد علم السر وما اعلنا قال فحمل فقاتل فقتل

منهم عددا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو فاذا هو على الناس وانشد يقول قد جا

قد كنت ارجو ورجائي لم يخب الا يضيع اليوم كدي والطلب يا من ملا تلك القصور باللعب

لولاك ما طابت ولا طاب الطرب فحمل فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع الى مصافه فتكالب

عليه العدو فحمل الثالثة فانشد يقول يا لعبة الخلد قفي ثم اسمعي

ما لك قاتلنا فكفي وارجعي ثم ارجعي الى الجنان واسرعي

لا تطمعي لا تطمعي لا تطمعي فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه ولا جل ما ذكرناه من

انتفا مقام المحبة كلية البرزمن المحب لزم وقوع الابتلاات والمطالبات به

حتى يحصل الله تعالى فيه حقوق هذا المقام على التمام ولهذا قال بعضهم اول ما يقول الله

عز وجل للعبد اطلب العافية والجنة والاعمال او غير ذلك فان قال ما اريد الا انت

قال له من دخل معي في هذا [illegible] انما يدخل باسقاط الحظوظ ورفع الحجوب

ونعت التقديم وتكذيب بكل العدم وقال بعض العلما اذا رايتك تحبه

ورايته يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت

بشي من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فاثرت عليه اياه فقال لا

قال لا تطمع نفسك في المحبة فانها لا يعطاها احدا حتى تبلوه وقال بعض علمانا

رضي الله عنه وكل اهل المقامات يرجوا ان يعفوا عنهم ويسمح لهم الا من ادعى المعرفة

والمحبه

والمحبة فانهم يطالبون بكل شعرة مطالبة وفي كل حركة وسكون ونظرة لله ومع الله وقال ابراهيم ابن ادهم وكان له مقامات في المحبة رفيعة فلقد اتى يوم

يا رب ان كنت اعطيت احدا من المحبين لك ما يسكن به قلوبهم قبل لقايك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرايت في النوم انه اوقفني بين يديه

فقال يا ابراهيم اما استحييت مني ان تسالني ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقايي وهل يسكن المشتاق دون لقا حبيبه او هل يستريح المحب الى غير

مشتوقه قال فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني كيف اقول فقال قل اللهم رضني بقضايك وصبرني على بلايك واوزعني شكر نعمايك

وللمحبين دقايق خطرات ولطايف لحظات يظهر لهم بذلك التشوف في صفا حبهم والبعد في مواطن قربهم فهم يفرحون منها ويخرجون

عنها مخافة ان يسترق شيا من ذلك قلوبهم بادنى ميل او مساكنة فيوجد لذلك لهم السقوط من مقامهم الرفيع الذي اهلوا له

ولذلك قال ابو محمد سهل ابن عبد الله حنانه الى غير الله تعالى ليس من صفة الامة وهو ان يسكن الى غير الله تعالى او يستانس بسواه وقيل اوحى الله تعالى

الى داود عليه السلام يا داود اني حرمت على القلوب ان يدخلها حبي وحب غيري ويحكى ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام نعم العبد برخ هو لولا ان فيه

عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبني لم يسكن الى شي ويروى ان عابدا عبد الله تعالى في غيضة دهرا طويلا

فنظر الى طاير قد عشش في شجرة ياوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت انس بصوت ذلك الطاير قال ففعل فاوحى الله

الى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد استانست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشي من عملك ابدا والا ميادين النفوس ما حقق سير السايرين

لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ولا قطيعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك السير الى الله تعالى هو قطع عقبات النفس ومحو اثار دواعيها وغلبة

احكام طبيعتها وجبلتها حتى تطهر من ذلك ويحصل لها اهلية القرب من الله تعالى وتصل الى سعادة لقايه ولولا امتحانات هذه الاشيا لم يتحقق السير

والسلوك لان الحق تعالى اقرب الى العبد من نفسه فالبعد الحسي هي المسافة التي تطويها رحلته والبعد المعنوي هي القطيعة التي تمحوها وصلته

محالات في حقه تعالى التي عبر بها المؤلف رحمه الله تعالى من السير والمباعدة والرحله
والوصله وفي معناها السير والسلوك والذهاب والرجوع هي عبارات استعملها الصوفيه
في امور معنويه تجوزوا بها من امور حسيه ومرجع جميع ذلك الى علوم ومعارف
يتصف بها العبد لا غير وهذا الكلام الذي ذكره المؤلف ها هنا وما تقدم له هنا غير ما
مره من ان النفس هي الحجاب الاعظم للعبد عن الله تعالى وان بمجاهدتها
وقمعها وموتها تنال سعادة لقاء الله تعالى صحيح المعنى قال بعضهم ما الحياة الا في
الموت اي ما حياة القلب الا في اماتة النفس وقيل النعمة العظمى الخروج عن النفس
لان النفس اعظم حجاب بينك وبين الله وقال سيدي ابو مدين من لم يمت لم ير الحق
وقال سيدي ابو العباس لا يدخل على الله الا من بابين من باب الفنا الاكبر وهو الموت
الطبيعي ومن باب الفنا الذي تعنيه هذه الطايفه وعن حاتم الاصم انه قال من
دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه اربع خصال من الموت موتا احمر وموتا اسود
وموتا ابيض وموتا اخضر فالموت الابيض الجوع والموت الاسود احتمال اذى الناس
والموت الاحمر مخالفة النفس والموت الاخضر طرح الرقاع بعضها على بعض وقال سهل
ابن عبد الله النفس سر ما ظهر ذلك السر على احد من خلقه الا على فرعون فقال
انا ربكم الاعلى ولها سبع حجب سماويه وسبع حجب ارضيه فكلما يدفن العبد
نفسه ارضا ارضا سما قلبه سما سما فاذا دفنت النفس تحت
الثرى وصل بالقلب الى العرش يعني اذا خالفتها وفارقتها وسبيل المريد الى الوصول
الى موت النفس انما يكون بتقدم الافتقار والالتجا والرغبة الى مولاه في ان يعينه
ويقويه على امر نفسه ويسهل عليه طريق سلوكه ويستعمل هذا في كل حال
ووقته ليجعله عمدته فيما هو بسبيله وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى
ما توقف عليه مطلب الانتطا له بريكه وقال بعض العارفين لا يمكن الخروج من
النفس بالنفس وانما يمكن الخروج من النفس بالله ثم يشتغل بمراعاة حدود الشريعه
والطريقة في ظاهره وباطنه والتزام اداب الجهاد لكل عبد عمل مخصوص يقتضيه حاله
حكما مخصوصا يقوم بحقه وذلك يختلف باختلاف احوال الناس وحركات العبد
وسكناته هي اعماله الظاهره وقصوده وهمته وارادته هي اعماله الباطنه وكل واحد
من القسمين ينبغي ان ياخذ فيه بعزايم الامور ويجتنب الرخص التي هي من شان
العامة والجمهور حسبما تقدم عند قوله من جهل المريد ان يسي الادب فتوخر

العقوبه

العقوبة عنه فيجعل الظاهر ان لا نواجبا فليبادر الى فعله ولا يتوان عنه وليتفقد جميع
ادابه اللازمة له ويلتحق بذلك ما يكون مندوبا اليه اذ اعلى في بدايته هو وانما اشترطنا
هذا التاكيد لان المندوبات التي تعترضه يحتاج فيها الى تقديم الاولى فالاولى والاهم
فالاهم منها فان لم يعمل على هذا وقدم ما ليس باهم كان متبعا للهوى لا لموجب
العلم وليأخذ في ذلك بالقصد من غير افراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير وفي حديث
عايشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلفوا من العمل
ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وان افضل العمل ادومه وان قل وعن ابي
هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين يسر ولن يشاد الدين
احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا وان كان حراما فليبادر الى تركه واجتنابه
وليقطع عن نفسه جميع اسبابه ويلتحق به ما كان مكروها وان كان مباحا وهذا
هو محل نظر المريد فعليه ان ياخذ بالعزيمة فيه ويقتصر على حدود الضرورة منه
وليكن اجتنابه لما يشتد ميل النفس اليه ويعظم حرصها عليه اكثر من
اجتنابه لما تقدمه ذلك ويختلف بذلك اختلاف الاشخاص فرب شخص يميل نفسه
الى ما لا تميل اليه نفس شخص اخر وليشتغل المريد بقطع ذلك كله وازالة علاقته من
قلبه بالرياضة والمجاهدة وليستمر على ذلك حتى يكون وقوفه على ما لا بد له منه على وجه
الطاعة والقربة لا بسبيل الهوى والشهوة ومما يشتد ميل نفوس اكثر الناس
اليه ما يكون سبب تناوله واستعماله مراعاة نظر الخلق والجري على عوايدهم
السيئة ومراسمهم المذمومة ومجاهدة النفس في مثل هذا عسير جدا لا سيما
على من ابتلي بحب الجاه والرياسة وقبول الخلق في ولاية حكم او نشر علم او غير ذلك
فانها اشد الشهوات علاقة بالقلب واضرها بالمريد فينبغي عليه ان يعتني
بذلك ويبالغ في تطهير ظاهره وباطنه منه مما يتعاطاه من اعمال واحوال
وقد نبهنا على الخمول فانه ما لم يدفن لم يتم نتاجه ويتعين على المريد في
رياضته ومجاهدته ان يمنع حواسه ويكف جوارحه عن التطلع والجولان
في بطالات وجدان شهواته وسي عاداته وان لا يجامعها ولا يتفق معها فان
ذلك منشا كل شر ومنبع كل فساد وضر كما قيل ان السلامة من سلمى وجارتها
ان لا تمر على حال بواديها فليبرا ان بدنه وليحفظ جوارحه وقلبه فان الانسان قد
يتحرك مثلا في طلب الخير او العمل من اعمال البر فينبغي له ان يقع بصره على شي له

نيه هو بشهوة فتميل نفسه اليه بالشره والمحبة فيتكدر عليه وقته ويظلم
قلبه ويحل عليه في لحظة ما كابداه في سنة مثلا وكذلك سائر حواسه وقد شبه
العلما رضي الله عنهم النفس في مثل هذا ابداية استعارها رجل من ربها وما لكها
ليتصرف بها في حاجاته وكانت دابة جموحه صعبه المرام لجا زبها المستعير في
بعض تصرفاته على دار مولاها نزعت الى دار سيدها فانه لا محالة يحتاج الى صرف
عنانها فان تقاعست ضربها بالسوط والعصاه حتى يصرفها بذلك عما نزعت اليه
وقد يكون عليه ذلك تعب ومونة وسبب ذلك انما هو خطوره بها على دار مولاها
الذي الفته واعتادته ولو لم يمر بها عليه لسلم ولم تحتج الى معاناة ولا محايدة فان تغافل
عنها حتى ادخلت يديها في عتبة الباب واستمكنت منه ثم اراد منعها من
الدخول لم تعطه بوجه بل اقتحمت به باب الدار كرها وربما جرحت راسه بالعتبة
وسبب ذلك انما هو تمكينها من العمل بمقتضى طبيعتها وموافقة ميلها وكذلك
حال النفس فان النفس ان اعطيتها هواها فانت نحو هواها فانها وبذلك كانت الخلوه
والعزلة من اوجب الواجبات على المريد فان نفسه اذذاك تكون ساكنة هادية قد
نسيت عوايدها وقهرت دواعيها وبدوامها على ذلك يحصل لها من التزكية والتحلية
والاستقامه والطمانينه ما هو المقصود بالرياضة والمجاهده فان اعتراه شي مما ذكرناه
واختل عليه حاله واحتاج من رد قلبه المشاهده الشاقة والرياضه الصعبه
واتى له مع ذلك تلافي ما فاته وقد قالوا وقفة المريد شر من فترته قال الامام ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه والفرق بين الفترة والوقفة ان الفترة رجوع عن الارادة
وخروج منها والوقفة سكون عن السير باستحلاء حالات الكسل وكل
مريد وقف في ابتدا ارادته لا يجي منه شي انتهى كلامه رحمه الله تعالى فبدا بان الامور
هي التي يجب ان يراعيها المريد والله ولي التوفيق والتسديد ولا غنى للمريد في هذا
القسم من تحصيل ما يحتاج اليه من العلوم الشرعيه على ما ينبغي وعمل الباطن يرجع
حاصله الى امر واحد وهو اخلاص التوحيد لله عز وجل باعتقاد العبودية له وذلك بان
يحمل نفسه على الاستسلام لاحكام الله تعالى وترك المنازعة والتدبير والاختيار
بين يديه وهذا المعنى هو الذي ضمنه المولف رحمه الله تعالى كتابه التنوير في

اسقاط التدبير

اسقاط التدبير فليستعن المريد على ذلك اولا بقصد برياضته ومجاهدته التوصل
الى شي من الكرامات وخرق العوايد وانواع الاجابات فان ذلك فتنة وبلية قاطع
عليه طريق العبودية قال ابو عثمان المغربي من اختار الخلوة على الصحبه ينبغي
ان يكون خاليا من جميع الاذكار الا ذكر ربه وخاليا من جميع الارادات الا رضى ربه
وخاليا من مطالبة النفس من جميع الاسباب وان لم يكن بهذه الصفه
فان خلوته توقعه في فتنة او بليه وقال الشيخ ابو عبد الله القرشي من لم
يجد او من لم ينتج له بشي حتى يكون قصده تحقيق العبوديه والقيام بما يجب
عليه من حقوق الربوبيه قال صاحب كتاب عوارف المعارف من دخل
الخلوة معتلا في دخوله دخل عليه الشيطان وسول له انواع الطغيان
وامتلا من الغرور وظن انه حصل على حسن الحال وقد دخلت
الفتنة على قوم تخلوا الخلوه بغير شروطها واقبلوا على ذكر من الاذكار
واستجموا انفوسهم بالعزله عن الخلق وسعوا الشواغل من الحواس
كفعل الرهابين والبراهمه والفلاسفه الوحده في جميع الهم له تاثير في صفا الباطن
مطلقا فكلما كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم انتج بنور التقوى الزهد في الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة لله
باخلاص من الصلاة والتلاوة وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتج صفا في النفس يستعان به على اكتساب
علوم رياضيه مما يعتني به الفلاسفة والرهبون وكلما اكثر من ذلك ازداد بعدا
من الله ولا يزال المقبل على ذلك يستهويه الشيطان بما يكتسب من
العلوم الرياضيه او بما قد يترايا له من صدق الخاطر وغير ذلك حتى يركن
اليه كل الركون ويظن انه قد فاز بالمقصود من الخلوة ولا يعلم ان هذا الفن
من الفايده غير ممنوع من النصارى والبراهمه ويستشهد المقصود من الخلوه
يفوز بعضهم الحق بطلب منك الاستقامه وانت تطلب الكرامه وقد
ينتج على الصادق بشي من خرق العادات وصدق الفراسه وتبين
ما يستحدث في المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك ولا يقدح في حالهم عدم ذلك
وانما يقدح في حالهم الانخراق عن حد الاستقامه وما يفتح من ذلك
على الصادقين يصير سبب مزيد ارتفاعهم والداعي لهم الى صدق المجاهده
والمعامله والزهد في الدنيا والتخلق بالاخلاق الحميده وما يفتح من ذلك على من ليس

تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته
على الناس وازدرايه الخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام من عنقه ويتكر
الحدود والاحكام والحلال والحرام ويظن ان المقصود من العبادات ذكر الله تعالى
وترك متابعة الرسل ثم يتدرج من ذلك الى تلحد وتزندق ونعوذ بالله من الفلات
وقد يلوح لاقوام خيالات يظنونها وقايع ويسمونها بوقايع المشايخ من غير علم
بحقيقة ذلك انتهى كلامه رحمه الله تعالى وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق
فيداومه العبد على مثل هذه الاساليب التي ذكرنا ها متشا هدا لتوفيق ربه عز وجل
وتاييده له ويحصل له مزيد كبير وعند ذلك يتطهر باطنه من جميع الافات وخبايث
الصفات وتستنير سريرته بانواع المكاشفات والملاطفات وقد عبر الامام ابو
القاسم القشيري رضي الله عنه عن طريق موت النفس بعبارات صحيحة مليحة فقال
قتل النفس في الحقيقة التبري من حولها وقوتها او شهود شي منها ورد دواعيها
اليها وتشويش تدبيرها عليها والسلام وتسليم الامور الى الحق سبحانه وتعالى
بجملتها وانسلاخها من اراداتها واختيارها وامحا آثار بشريتها عنها فاما
بقا الرسوم والهيا كل فلا خطرلها ولا عبرة انتهى فهذه هي السبيل الى موت النفس
المفضي الى حضرة القدس لكونها جارية على مقتضا الشريعة والحقيقة التي
بانوارها يهتدي كل سالك ومريد ولا بد للمريد في هذه الطريقة من صحبة
شيخ محقق مرشد قد فرغ من تاديب نفسه وتخلص من هواه فليسلم نفسه
اليه وليلتزم طاعته والانقيا داليه في كل ما يشير به عليه من غير ارتياب ولا تاويل
ولا تردد فقد قالوا من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه وقال ابو علي الثقفي لو
ان رجلا جمع جميع العلوم كلها وصحب طوايف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا
بالرياضة من شيخ او امام او مؤدب ناصح ومن لم ياخذ ادبه من امر له ونهاه
يريه عيوب اعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتدا به في تصحيح المعاملة وقال
سيدي ابو مدين من لم ياخذ الادب من المتادبين افسد من يتبعه وقال المؤلف
رحمه الله في لطايف المنن انما يكون الاقتدا بولي دلك الله عليه واطلعك على ما اودعه
من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته فا
لقيت اليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد يعرفك برعونات نفسك وكماينها
ودقايقها ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار عما سوى الله ويسايرك في طريقك

حتى تصل الياه

حتى تصل اليه يوقفك على اساة نفسك ويعرفك باحسان الله اليك فيفيدك معرفة
اساة نفسك للهرب منها وعدم الركون اليها ويفيدك العلم باحسان الله اليك
للاقبال عليه والقيام بالشكر اليه والدوام على ممر الساعات بين يديه فان قلت
فاين من هذا وصفه لقد دللتني على اغرب من عنقا مغرب فاعلم انه لا يعوزك وجدان
الدالين وانما قد يعوزك وجود الصدق في طلبهم جد صدقا تجد مرشدا وتجد ذلك
في آيتين من كتاب الله تعالى قال الله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه وقال سبحانه وتعالى
فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فلو اضطررت الى من يوصلك الى الله اضطرار الظمآن الى الما
الخايف للامن لوجدت ذلك اقرب اليك من وجود طلبك لو اضطررت الى الله اضطرار
الام لولدها اذا فقدته لوجدت الحق منك قريبا ولك مجيبا ولوجدت الوصول غير
متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك انتهى في كلامه رحمه الله تنبيه
على ان الشيخ من منح الله وهداياه للعبد المريد اذا صدق في ارادته وبذل
في مناصحة مولاه جهدا استطاعته لا على من قد توهمه من لا علم عنده
وعند ذلك يكون شغله تعالى لا يستعمل الادب معه لما اشهده من علو مرتبته
ورفيع درجته قال سيدي ابو مدين رضي الله عنه الشيخ من شهدت له ذاتك
بالتقديم وسرك بالتعظيم الشيخ من هذبك باخلاقه وادبك باطراقه
واتار باطنك باشراقه الشيخ من جمعك في حضوره وحفظك في مغيبه قال المؤلف
رحمه الله في لطايف المنن وليس شيخك من سمعت منه انما شيخك من اخذت
عنه وليس شيخك من واجهتك عبارته انما شيخك الذي سرت فيك اشارته
وليس شيخك من دعاك الى الباب انما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب وليس
شيخك من واجهك مقاله انما شيخك الذي نهض بك حاله شيخك الذي
اخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى شيخك هو الذي ما زال يجلو
مراة قلبك حتى تجلت فيه انوار ربك نهض بك الى الله فنهضت اليه وسار
بك حتى وصلت اليه ولا زال محاذيا لك حتى القاك بين يديه فزج بك في نور الحضرة
وقال ها انت وربك انتهى واداب المريد مع الشيخ والشيخ مع المريد كثيرة مذكورة
في كتب ايمة الصوفية ومن ابلغ ذلك واوجزه ما ذكره الامام ابو القاسم القشيري
قال رضي الله عنه فشرط المريد ان لا يتنفس نفسا الا باذن شيخه ومن خالف
شيخه في نفسه سرا وجهرا فسوف يرى غبه من غير ما يحبه سريعا
ومخالفة الشيخ فيما يستشيرونه منهم اشد مما يكابدونه بالجهر واكثر

لان هذا يلتحق بالخيانة ومن خالف شيخه لا يشم رايحة الصدق فان برز منه شي
من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والافصاح عما حصل منه من المخالفه والخيانه ليهديه
شيخه الي ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في الغرامة ما يحكم به عليه فاذا رجع المريد الي شيخه
بالصدق وجب علي شيخه جبران تقصيره بهمته فان المريدين عيال علي شيوخهم فرض عليهم
ان ينفقوا من قوة احوالهم ما يكون جبرانا لتقصيرهم انتهي قال الشيخ العارف محي الدين ابو
العباس البوني رحمه الله تعالي واياك ان تحقر فعلا يخطر لك ان لا تلقيه للشيخ طاعة كان
او معصيه علي اي نوع برز لك ولو اختلف عليك التصرف في ساعة اختلفا اليه الف سلعة
في الخاطر ليعلمك الكدر الذي تزعجه به او يحل عنك بهمته قال ولقد رايت تلميذا من اصحاب
شيخنا الامام العارفين ابي محمد عبد العزيز ابن ابي بكر القرشي المهدوي رحمة الله عليه
وكنت جالسا عنده فدخل عليه وفي يده باقلا فقال يا سيدي اني وجدت هذه الباقلاه
فما اصنع بها فقال له اتركها حتي تقطع عليها فقلت يا سيدي حتي الباقلاه تعلم بها
فقال يا ولدي لو خالفني في لحظه من خطراته لم يفلح ابدا فاذا جاهدت النفس بهذه المجاهدات
وقوبلت هذه المقابله تراجعت عن جميع مالوفاتها الدنيه وعاداتها الرديه وزال عنها النفور
والاستكبار ودانت لمولاها بالعبودية والافتقار وتركت اعمالها وصفت احوالها وهذه
هي خاصيتها التي خلقت لاجلها ومرتبتها التي شرفت من قبلها وانما التبست هذه بامراض
اصابها من الركون الي هذا العالم الادني والانس بالشهوات التي تزول وتفني حتي امتنع
عليها ما خلقت لاجله من موجب سعادتها وغاية شرفها وارادتها فلما ان عالجتها بما ذكرناه
عادت الي امها والي طبعها الاصلي فالفت العبوديه والتزمتها وما رضيت بك مطمينه صالحه
لان يقال لها يا ايتها النفس المطمينه ارجعي الي ربك راضيه مرضيه فادخلي في عبادي وادخلي جنتي
قال الشيخ العارف ابو محمد عبد العزيز المهدوي النفس المطمينه هي التي تخلصت من السوء
ولم يبق بينها وبين السوء نسبه وكان مباديها في الاكتساب الايماني والرضي المكتسب
فلما صفت وتطهرت من جهة المخالفة نور الحجاب الذي هو صفة الخلق سمعت النداء
من مكان قريب فاجابت لعدم الحجاب فخرجت للمراد وهو الرضي الوضعي الموهبي الذي
قال الله فيهم رضي الله عنهم ورضوا عنه فدخلت في رضا الله المطلوب الموهوب وفي
عبادته وجنته لا في جنتها بوصف كسبها واعمالها انتهي وعلامة وصول المريد
الي هذا المقام الحميدات يستوي عنده الاحوال ولا يتاثر باطنه بما يواجه به
من قبيح الافعال والاقوال لاستغراق قلبه في مطالعة حضرة الكمال قال ابو عثمان
الحيري لا يكمل الرجل حتي يستوي قلبه في اربعة اشيا في المنع والعطا والعز
والذل

والذل وقال محمد ابن خفيف قدم علينا بعض اصحابنا فاعتل وكان به علة البطن
فكنت اخدمه واخذ منه الطست طول الليل فغفوت مرة فقال لي نمت
لعنك الله فقيل له كيف وجدت نفسك عند قوله لعنك الله قال كقوله
رحمك الله وحكي عن ابراهيم ابن ادهم رضي الله عنه انه قال ما سررت في الاسلام
الا مرات معدودة كنت في سفينة يوما وكان بها رجل يحكي الحكايات
المضحكة يضحك منه الناس وكان يقول رايت في معركة الترك علجا
فقلت هكذا وكان ياخذ بلحيتي ويمر يده علي حلقي هكذا والناس يضحكون
ولم يكن في ذلك المركب عنده احد احقر مني فسررت
بذلك ويوم اخر كنت جالسا في انسان وصفعني من غير سبب ويوم
اخر كنت جالسا في انسان وبال علي وكان في وقت حاتم الاصم رجل
يسي القول فيه ويقع في اصحابه ويواجههم كل يوم بالقبيح فوقع عليه جذع لكن
السقف في بعض الايام في حال مواجهته القوم بالسب والشتم فما تفقال
الحمد لله فقيل له هكذا اخلاقنا امرنا به فقال يا احمد لله شماتة بموته
بل حمدت الله اذ لم اسر بكبته هذا واشباهه من احوالهم معلومة ضرورة
ابلغ من هذا كله محبة الموت وكراهة البقا في الدنيا شوقا الي لقا المولي
ان بعضهم حقيقة زوال الهوي من القلب حين قال الله تعالي في كل نفس
من غير اختيار رحالة يكون المر وعليها فاذا وصل المريد لهذه الحالة
في نفسه فقد خرج من عالم جنسه ووصل الي حضرة قدسه وكان
كما قال الشاعر لكان الدهر طوع والانام عبيد فعش كل يوم في زمانك عيد
وكما قال سيدي ابو العباس ابن العريف رضي الله عنه في هذا المعني

بذكر سرطا العنك الكتمامه ... ولاح صباح كنت انت ظلامه
فانت حجاب القلب عن سر غيبه ... ولولاك لم يطبع عليك ختامه
فان غبت عنه حل فيه وطنبت ... علي موكب الكشف المصون خيامه
وجاء حديث لا يمل سماعه ... شهي الينا نثره ونظامه
اذا سمعته النفس طاب نعيمها ... وزال عن القلب المعنا غرامه
فلا ابالي الان بعد كيب ... فقد انجز الاحباب لي موعدي
قد كنت قبل اليوم مستانسا ... منك بخد مشفق مسعدي
هذا نسيم الوصل من نحوهم ... هب فلي عندك ظل سدي
وحيث لا حاجة الي اعلامهم ... فليس في فقري الي سر شدي

وان لم يجدها في نفسه فليستمر على سلوكه ومجاهداته ولا يغتر بما يظهر له من بعض
حالاته فانه لم يصل بعد ولم يحصل له من هو نفسه فقد وليس طريق موت
النفس بقطع جميع الارزاق عنها وردها الى الاجتزا بالحشيش والنخالة والمبالغة
في التقشف والتقلل مع قطع النظر عن احوال القلب وهمه وقصوده وارادته
وترك التفات الى ما يحمل منها وما يذم فذلك كله غلو وبدعة وقد غلط في هذا
طوايف من الناس عملوا عليه في رياضاتهم ومجاهداتهم ولم يفهموا بذلك اخلاص
العبودية لربهم فادى ذلك الى اختلال عقولهم وانحلال قوى ابدانهم ولم يحصلوا
من امرهم على فايده وذلك لجهلهم بالسنة وما كان عليه سلف هذه الامة
جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته
وانك جوهرة تنطوي عليك اصداف مكنوناته خلق الله تعالى الانسان في احسن
تقويم واتم تسويه وتعديل وجعل بنيته متضمنه اسرار جميع الموجودات
علويها وسفليها لطيفها وكثيفها فصار بذلك روحانيا جسمانيا ارضيا سماويا
ولذلك يقال له العالم الاصغر وهذا هو الذي يظهر في معنى جعله في العالم المتوسط
بين عالم الملك وعالم الملكوت وعالم الملك هو عالم الشهادة وعالم الملكوت
هو عالم الغيب فلا جرم لما كان الانسان بهذه المثابة من كونه يحيط بجميع
الموجودات الجسمانيات والروحانيات كانت الاكوان كلها له باعتبار احاطتها
به بمنزلة القشر والصوان الذي يحفظ الشي ويصونه وكان هو بمنزلة الجوهرة
النفيسة التي تحويها الصدفه والمقصود من هذا ان يعرف الانسان جلالة
قدره ومكانة امره ليعلو همته الى المراتب السامية اللايقة وذلك باخلاص العبودية
لربه عز وجل وقطع النظر عن كل ما سواه ويتنظر هذا المعنى الى ما قال الشاعر

وكنت من السر المصون بسره ... وادركت هذا بالحقيقة ادراكا
فقيم الثاني في الحضيض مثبطا ... مقيما مع الاسرى ما حان اسراكا

قال الشيخ ابو العباس المرسي الاكوان كلها عبيد مسخره وانت عبد الحضره
وقد ورد في بعض الكتب المنزله يا ابن ادم انا بدك اللازم فالزم بدك وفي بعض
الاخبار عن الله عز وجل يا ابن ادم خلقت الاشيا كلها من اجلك وخلقتك
من اجلي فلا تشتغل بما هو لك عما انت له وقال الواسطي في معنى قوله تعالى
ولقد كرمنا بني ادم بان سخر لهم الكون وما فيه لئلا يكونوا في تسخير شي

ويتفرغو

ويتفرغوا الى عبادة ربهم وسعك الكون من حيث جسمانيتك ولم يسعك من
حيث ثبوت روحانيتك انما وسعك الكون من حيث جسمانيتك
لوجود المناسبه والمجانسه ووسعه لك باعتبار ما ذكرناه انما هو بالتفاوت
به وقضا اوطارك منه ووقوفك في منازل حاجاتك عليه ولا خاصية لك
في هذا ايها الانسان لان مرتبتك اجل من ذلك وانما لم يسعك من حيث
ثبوت روحانيتك لعدم المناسبه فلا يسعك حينيذ ولا يناسبك الا التعلق
بالمكون وهذه هي خاصيتك التي بها سمو قدرك وعلو رفعة قدرك فلم تهملها
وتنحط منها الى اسفل سافلين وقد قال ابو عبد الله بن الجلا رضي الله عنه من
علت همته على الاكوان وصل الى مكونها ومن وقفت همته على شي سوى
الحق فاته الحق لانه اعز من ان يرضى معه بشريك وسيل احمد ابن خضرويه
اي الاعمال افضل فقال رعاية النفس عن الالتفات الى شي سوى الله الكاين
في الكون ولم يتفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل
ذاته من لازم الكون وبقي معه وقصر همته عليه ولم يتفتح له ميادين الغيوب
الملكوتيه ولا خلص بسره الى فضا مشاهدة الوحدانيه فهو مسجون بمحيطاته
ومحصور في هيكل ذاته وهذه هي صفات اهل النار كما قال تعالى احاط بهم سرادقها
وليس في جهنم عذاب اعظم من السجن والحصر والضيق والقهر كما قال الله تعالى واذا
القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وما ذكرناه هو حال من بقي
مع نفسه وعمل على نيل حظه كاينا ما كان وفي بعض الاثار المرويه عن الله تعالى
عبدي اجعلني مكان همك اكفك كل همك ما كنت بك فانت في محل البعد وما كنت
بي فانت في محل القرب فاختر لنفسك انت مع الاكوان ما لم تشهد
المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك فرق ما بين كونك مع الاكوان
وكون الاكوان معك فان كونك مع الاكوان يقتضي تغييرك بها وحاجتك
اليها فانت بذلك عبد لها هي حاكمة عليك ومسلطة عليك احوج ما تكون اليها وهذه
حالة خسيسة يقتضيها عدم شهودك للمكون وكون الاكوان معك
يقتضي ملكك لها واستغناك عنها فاستخدمتها حرضها وهي محتاجة
اليك خادمة لك ومتبركة بك حتى الجمادات والحيوانات قال الشبلي لم يسر
بخاطر الكون ببال من عرف المكون وهذه حالة نفيسة يقتضيها شهودك
للمكون قال بعض المشايخ رضي الله عنه انا ادخل السوق والاشيا مشتاقة
الي وانا من جميعها محروم عن المزين الكبير قال كنت مع ابراهيم الخواص

في بعض اسفاره فاذا عقرب تسعى على فخذه فقمنا لا قتلها فمنعني وقال دعها
كل شي يفتقر الينا ولسنا نفتقر الي شي قال محمد ابن المبارك الصوري
رحمه الله كنت مع ابراهيم ابن ادهم رضي الله عنه في طريق بيت المقدس فنزلنا
وقت القايلة تحت شجرة رمان فصلينا ركعات فسمعت صوتا من اصل
الرمان يا ابا اسحاق اكرمنا بان تاكل منا شيا فطاطا ابراهيم راسه فقال
ذلك ثلاث مرات ثم قال يا محمد كن شفيعنا اليه ليتناول منا شيا فقلت
يا ابا اسحاق لقد سمعت فقام واخذ منها رمانتين فاكل واحدة وناولني الاخرى
فاكلتها وفي هذه الحكاية ان الشجرة كانت قصيرة ورمانها حامض وانها تطعم في
كل عام مرة فعلت وارتفعت وحلا ثمرها وصارت تطعم في كل عام مرتين وكانت
السباع تجي الي سهل ابن عبد الله فيدخلون بيتا عنده ويضيفهم ويطعمهم اللحم وقال
ابراهيم الخواص كنت في البادية فسرت في وسط النهار فوصلنا الي شجرة
وبالقرب ما فنزلت فاذا انا بسبع عظيم قد اقبل فلما قرب مني اذا هو
يعرج فحمحم وبرك بين يدي ووضع يده في حجري فنظرت فاذا يده منتفخة فيها
قيح فاخذت خشبة وشققت الموضع الذي فيه القيح ثم شددت على يده خرقة
ثم فاذا انا به بعد ساعة معه شبلان يبصبصان بي وحمل الي رغيفا وقال
بعضهم رايت على ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه وهو في بستان يحفظه وقد اخذه
النوم واذا حية في فيها طاقة نرجس تروحه بها وحكي عن ابي اسحاق رحمه الله
خرجت مرة الي الحج فبينما انا في البادية اذ بهت فلما جن علي الليل وكانت
قمر سمعت صوت شخص ضعيف يقول يا ابا اسحاق قد انتظرتك من الفلاة
فدنوت منه واذا هو شاب نحيف اشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة
منها ما عرفته ومنها ما لم اعرفه فقلت من اين انت فقال من مدينة
شميساط كنت في عز وثروة فطالبتني نفسي بالعزلة فخرجت وقد اشرفت
الي الموت فسالت الله تعالى ان يقيض لي ولياً من اوليايه فارجو انك هو قال
فقلت الك والدان قال نعم واخوة واخوات فقلت هل اشتقت اليهم والي كرمهم
قال لا الا اليوم اردت ان اشم ريحهم فاحتوشتني السباع والبهايم وبكين معي
وجابت هذه الرياحين قال فبينما انا في تلك الحالة يبرق له قلبي اذا حية

اقبلت في فيها طاقة نرجس فقالت دع شركه عنه فان الله تعالى يغار على اوليايه
قال فغشي علي قال فما افقت حتى خرجت نفسه رحمة الله عليه ورضوانه ثم وقع
علي نوم فانتبهت وانا على الجادة قال فدخلت مدينة شميساط بعد ما حججت
فاستقبلتني امراة بيدها كوز فما رايت اشبه بالشاب منها فلما راتني قالت
يا ابا اسحاق كيف ابني الشاب فاني انتظرك مدة ثلاث قال فذكرت لها القصة الي ان
قلت اشتقت الي ان اشمهم فما خنقوا الشهقة بلغ الشهيق الشهيق وخرجت
نفسها فخرج اقوام بيدهن المرقعات والفوط فتكفلن امرها وتولين
شانها رضي الله عنهم اجمعين فهكذا احال من يكون عظمة الله شريف الارادة
والنيه لا يتساكن احوال المخلوقات لا يومن نفسه على شي من المصنوعات
يتكفل الله تعالى بامره ويجعل الكون خادما له بامره رزقنا الله تعالى محارة
ووفقنا لما وفقهم بجوده وكرمه امين لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم و
البشرية انما مثل الخصوصية كاشراق شمس النهار ظهرت في الافق
منه تارة تشرق شموس اوصافه علي ليل وجودكم وتارة تقبض ذلك عنك ف
الي حدودكم فالنهار ليس منكا اليك ولكنه وارد عليك ثبوت الخصوصية
لا يلزم منه عدم وصف البشرية لان الوصف البشري امر ذاتي لازم للعبد
الذاتية اللازمة يستحيل عدمها وانتقالها وانما اللازم من ذلك عدم
احكام ذلك الوصف علي العبد فقط لاجل قوة الغالب فان قد ذهبت
الغالب بقي وصف البشرية غالبا قاهرا وكان العبد في بدبه انسيا و
ذلك من المحسوسات اشراق شمس النهار على الافاق المظلمة ليزيل
فتستنير بذلك وتشرق فاذا غابت الشمس رجعت الي حالتها
لان النور ليس بذاتي لها وهو معنى قوله وليست منه ومعنى الخصوصية
هي ما يخص الحق تعالى به اولياه من ظهور اوصافه العلية ونعوته
عليهم فيغطي بذلك اوصاف نفوسهم الدنية الردية عنهم ليلا
في صفاتهم كما تقدم من قوله اذا اراد ان يوصلك اليه
وغطى نعتك بنعته فاذا اشرقت انوار ذلك على ليل وجودهم ذهب بظلمة
وبقوا في نهار الوصلة والقربة من غير حول منهم ولا قوة وهو معنى قوله
ليس منك اليك وان غابت عنهم تلك الانوار المشرقة رجعوا الي اصلهم و
الوقوف على حدهم وكانوا في ليل القطيعة والحجبة كما كانوا قبل ذلك والغرض

الردي طوايف غلطت في هذا الامر توهما لتنوزعمنا ان القرب من الله تعالى والوصول اليه
انما يكون بعدم اوصاف البشرية وزوالها بالكلية واتصافه بصفات الربوبية بدلا
منها وفسرت بهذا ما عبرته المشايخ من الفنا والبقا فوقعوا من ذلك في ظلال
وتزندق نعوذ بالله من ذلك والمعنى الصحيح في ذلك انما هو ما ذكره المولف رحمه
الله تعالى ههنا دل بوجود اثاره على وجود اسمايه وبوجود اسمايه على ثبوت
اوصافه وبوجود اوصافه على وجود ذاته اذ محال ان يقوم الوصف بنفسه
فارباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم الى شهود صفاته ثم
يرجعهم الى التعلق باسمايه ثم يردهم الى شهود اثاره والسالكون على عكس هذا
فنهاية السالكين بداية المجذوبين لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا في
الطريق هذا في ترقيه وهذا في تدليه عباد الله المخصوصون بالقرب منه
والوصول اليه ينقسمون الى قسمين سالكين ومجذوبين فشان السالكين
الاستدلال بالاشيا عليه وهم الذين يقولون ما راينا شيا الا راينا الله قبله
كان الدليل ابدا اظهر من المدلول فاول ما ظهر للسالكين الاثار وهي الافعال
فتوصلوا بها على الاسما وبالاسما على الصفات وبالصفات على وجود الذات فكان
شانهم الترقي والصعود من اسفل الى اعلا واول ما ظهر للمجذوبين حقيقة كمال
ذاته المقدسة ثم ردوا منها الى مشاهدة الصفات ثم رجعوا الى التعلق بالاسما
ثم نزلوا الى شهود الاثار فكان حالهم التدلي والتنزل من اعلا الى اسفل فما بدا به
السالكون من شهود الاثار اليه انتهى المجذوبون وما ابتدا به المجذوبون من
حقيقة الذات اليه انتهى السالكون لكن لا بمعنى واحد فان مراد السالكين
بشهود الاشيا لله والمراد بالمجذوبين بشهود الاشيا بالله فالسالكون عاملون
على تحقيق الفنا والمحو والمجذوبون مسلوك بهم طريق البقا وهما في طريق
السالك مترق والمجذوب متدل لا يعلم قدر انوار القلوب والاسرار الا في غيب
الملكوت كما لا يظهر انوار السما الا في شهادة الملك انوار القلوب والاسرار
المشرقة عليها من سما التوحيد والمعرفة لا يعرف قدرها الا في غيب الملكوت
وهو عالم الاخرة وهناك يحصل لهم تمام هذه الانوار فمن ابصر بالنفس كان له
من ذلك الحظ الاوفر كما ان انوار السما المشرقة على ظواهر الاجرام لا تظهر الا
في شهادة الملك وهو عالم الدنيا وذلك لحصول المناسبة بين هذه الاشيا وجد

ان ثمرات

ان ثمرات الطاعات عاجلا بشاير العاملين بوجود الجزا عليها اجلا
ما يجده العاملون بطاعة الله تعالى في الدنيا من حلاوة الايمان واليقين
وتنسم روح الانس ولذيذ القرب ولطيف الوصل بشاير من الله تعالى عاجلة
بوجود الجزا عليها في الدار الاخرة وانها مقبولة عند الله تعالى وقد تقدم
هذا المعنى عند قوله من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول
كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك ام كيف تطلب الجزا على صدق هو
مهديه اليك العمل الذي يصح طلب العوض والجزا عليه هو ما عملته لينتفع
به غيرك ولم يحصل لك بذلك نفعه ولم تندفع عنك بسببه مضرة والاعمال
الدينية المطلوبة منك ظاهرا وباطنا بخلاف هذا كله اذ هي مسلوبة عنك
منسوبة الى ربك خلقها واختراعها عايد ثمرة ذلك ومنفعته عليك
في ظاهرك وباطنك وهو غني عنك وعنها ولذلك عبر عنها بالتصدق والاهدا
تنبيها على ان ذلك لم يكن الا لينفعنك وطلب العوض والجزا اذا على عمل
صفته في غاية القبح وكذلك صدر المولف كلامه بكيف التعجب من ذلك
قال الواسطي رضي الله عنه مطالبة الاعواض على الطاعات نسيان
وسيل ابو العباس بن عطا عن اقرب شي الى مقت الله فقال رؤية النفس
وافعالها واشد من ذلك مطالبة الاعواض على افعالها واستعمال المولف رحمه
الله تعالى لفظ الصدقة في الاعمال الظاهرة ولفظ الهدية في الصدق وعليه
مدار الاعمال الباطنة اشعار بتباينهما في الشرف كتباين الصدقة والهدية
قوم تسبق انوارهم اذكارهم وقوم تسبق اذكارهم انوارهم ذاكر ذكر ليستنير
قلبه وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا سبقية الاذكار للانوار حال
المريدين السالكين وذلك لان شانهم المجاهدة والمكابدة فهم ياتون
بالاذكار على حال تكلف منهم وتعمل ليحصل لهم بذلك ورود الانوار اليهم والى هذا
المعنى الاشارة بقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
سبقية الانوار للاذكار هو حال المرادين المجذوبين الا انهم سابقون في
والخفة فهم لما وجهوا بالانوار حملتهم الاذكار بلا تكلف ولا تعمل
لطايف المنن حاكيا عن شيخه ابي العباس المرسي رضي الله عنه قال
الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله الى طاعة الله وقوم وصلوا بطاعة
الله الى كرامة الله قال الله سبحانه الله يجتبي اليه من يشا ويهدي اليه من ينيب

قال ومعنى كلام الشيخ هذا ان من الناس من حرك الله همته بطلب الوصول اليه فصار يطوي مهامه نفسه ويبكر اطبعه الى ان وصل الى حضرة ربه هذا قوله سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن الناس من فاجأته عناية الله من غير طلب ولا استعداد ويشهد لذلك قوله تعالى يختص برحمته من يشاء فالاول حال السالكين والثاني حال المجذوبين فمن كان مبداه المعاملة فنهايته المواصلة ومن كان مبداه المواصلة رد الى وجود المعاملة ولا تظن ان المجذوب لا طريق له بل له طريق طوتها عناية الله تسلكها مسرعا الى الله تعالى عاجلا وكثيرا ما تسمع من المنتسبين للطريق ان السالك اتم من المجذوب لان السالك عرف الطريق بها توصل اليه والمجذوب ليس كذلك وهذا انما على ان المجذوب لا طريق له ولا يعرف الامر كما زعموا فان المجذوب طويت الطريق اليه ولم تطو دونه الطريق لم يفته ولم تغب عنه وانما فاته متاعبها وطول امدها فالمجذوب قد تنطوي له الطريق الى ملكه والسالك كالسائر اليها على اكوار المطايا انتهى

في حال الجذب والسلوك وهو حسن فلا ان يوجد لغيره فلذلك ورد انه انما له ما كان ظاهر ذكرا لا عن باطن شهود وفكرا عما نتج لما يكون وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر وانما ذكرنا الظاهر لا محالة ثمرة باطن اشهد والذكر ثم بين هذا يعني بقوله اشهدك من قبل ان استشهدك فنطقت بالالهيته الظواهر وتحققت بتوحيده القلوب والسرائر كان شغل الله تعالى القلوب والاسرار في غيب الغيب بحقائق احديته واحاطة قيوميته فلما اشهدها ذلك اقرت بالوحدانية فلما اظهرها في عالم الشهادة ملتبسة بالاجسام والهياكل استشهدها تبعا لشهودها لما شهدت بلسان حالها ومقالها فكانت الشهادة له بالالهية فشهدت حيث ظاهره وجسمه بنعت الفرق ولا بد في هذا الطريق من وجود الجمع والفرق وقد قالوا كل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل وفي تحقيق هذا الجمع والتفرقة

ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني
فقد صيرك الوجد من الاحشاء داني

ذهب الجنيد رضي الله عنه الى ان قربه بالوجد جمع وغيبته في البشرية تفرقة اكرمك كرامات ثلاثة جعلك ذاكرا له

ولولا فضله لم تكن اهلا لجريان ذكره عليك وجعلك مذكورا به اذ حقق نسبته لديك وجعلك مذكورا عنده فتمم نعمته عليك اكرم الله تعالى عبده المؤمن بثلاث كرامات تجمع له فيها كل المفاخر والمحامد اولها كونه ذاكرا له بان اجرى ذكره على قلبه ولسانه ومن اين له ذلك ولا وسيلة له لولا فضل الله وكرمه وثانيها كونه مذكورا به فيقال هذا عبد الله ووليه وصفيه ومختاره وذلك بما اكرمه به من تحقيق النسبة لديه وهي اثبات الخصوصية له وقد تقدم معنى الخصوصية وثالثها كونه مذكورا عنده وهذه غاية الاكرام والامتنان قال الله تعالى ولذكر الله اكبر قيل معناه ذكر الله عبده اكبر من ذكر العبد

وفي حديث ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله امرني ان اقرا عليك القران قال قلت يا رسول الله سماني لك ربك قال نعم فقرا علي قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفي حديث اخر قال لما نزلت لم يكن الذين كفروا الى اخرها قال جبريل عليه السلام يا محمد ان ربك يامرك ان تقرئها ابيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ان جبريل عليه السلام امرني ان اقرئك هذه السورة قال ابي رضي الله عنه او ذكرت ثم قال نعم فبكى ابي وفي حديث ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وانا معه حيث يذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب مني شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة وعن ابي هريرة وابي سعيد رضي الله عنهما انهما شهدا على النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما جلس قوم مسلمون مجلسا يذكرون الله فيه الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده قال يحيى ابن معاذ يا غفول يا جهول لو سمعت صرير القلم حين يجري في اللوح المحفوظ بذكرك لمت طربا رب عمر اتسعت امداده وقلت اعداده ورب عمر قليلة امداده كثيرة امداده الالهية التي يمد الحق تعالى بها عباده المؤمنين زيادة في ايمانهم لا اثر فيها لطول العمر ولا قصره فلا ينقص بذلك ولا يزيد ولا يكثر وانما ترد عليهم من خزاين الفضل والكرم بحسب استعدادهم وكما قابليتهم وتختلف هذا باختلاف تركيب خلقهم و

لعمرهم ولا مدخل للزمان في هذا الا بالعرض وبهذا فضلت هذه الامه على ساير
الامم على قصر اعمارها وطول اعمارهم قال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان
الداراني رضي الله عنهما قد غبطت بني اسرايل قال باي شي قال بثمانماية سنه
حتى يصيرون كالشنان الباليه وكالحنايا وكالاوتار فقال ما ظننت الا وقد جيت
بشي والله ما يريد الله منا ان تيبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا
الا صدق النيه فيما عنده هذا اذا صدق في عشرة ايام نال ما نال ذلك في عمره
فكم له في عمره اذ ادرك في يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل
تحت دواير العبارة ولا تلحقه الاشارة البركة في العمر ان يرزق العبد من الفطنه
والتيقظ ما يحمله على اغتنام اوقاته وانتهاز فرصه امكانه حسبيه فواته
فيبادر الى الاعمال القلبيه والبدنيه ويستفرغ في ذلك مجهوده بالكليه
فيتيسر ذلك ما يصل اليه من المنح الالهيه ويشرق ذلك في زمن يسير
وقد ينتفع له في شهر مثلا ما ينتفع لغيره في الف شهر بمنزلة ليلة القدر العمل
بما فيها خير من العمل في الف شهر قال بعض العلما كل ليلة للعارف
ليلة القدر وقال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه وكان يقول
والحمد لله كلها ليلة القدر فهذا هو البركه في العمر لا تطويله وزيادة مدته
المعنى في تاويل ما روي في الخبر ليزيد في العمر الخذلان كل الخذلان ان تتفرغ
من الشواغل ثم لا تتوجه اليه وتقل عوايقك ثم لا ترحل اليه من الخذلان ان تفرغ
من الشواغل عن التوجه الى الله تعالى والرحيل اليه الواجب عليك ان
تنبذ لكونهن العوايق والشواغل خلف ظهرك كما قيل سيروا الى الله
عرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحه فان انتظار الصحه بطالة قال الله عز وجل
انفروا خفافا وثقالا وقد تقدم هذا المعنى عند قوله احالتك الاعمال على وجود
الفراغ من رعونات النفس فان زالت شواغلكم وقلت عوايقكم ثم قعدت
عن التوجه والرحيل فهو الخذلان كل الخذلان اعاذنا الله منه قال الامام
القشيري رضي الله عنه فراغ القلب عن الاشتغال نعمة عظيمه
فاذا كفر عبد هذه النعمه بان فتح على نفسه باب الهوى وانجر في قياد الشهوات
سلب الله عنه نعمة قلبه وسلبه فان كان يجد من صفا قلبه الفكر
... القلب في ميادين الاغيار الفكرة التي امر بها العبد وحض عليها